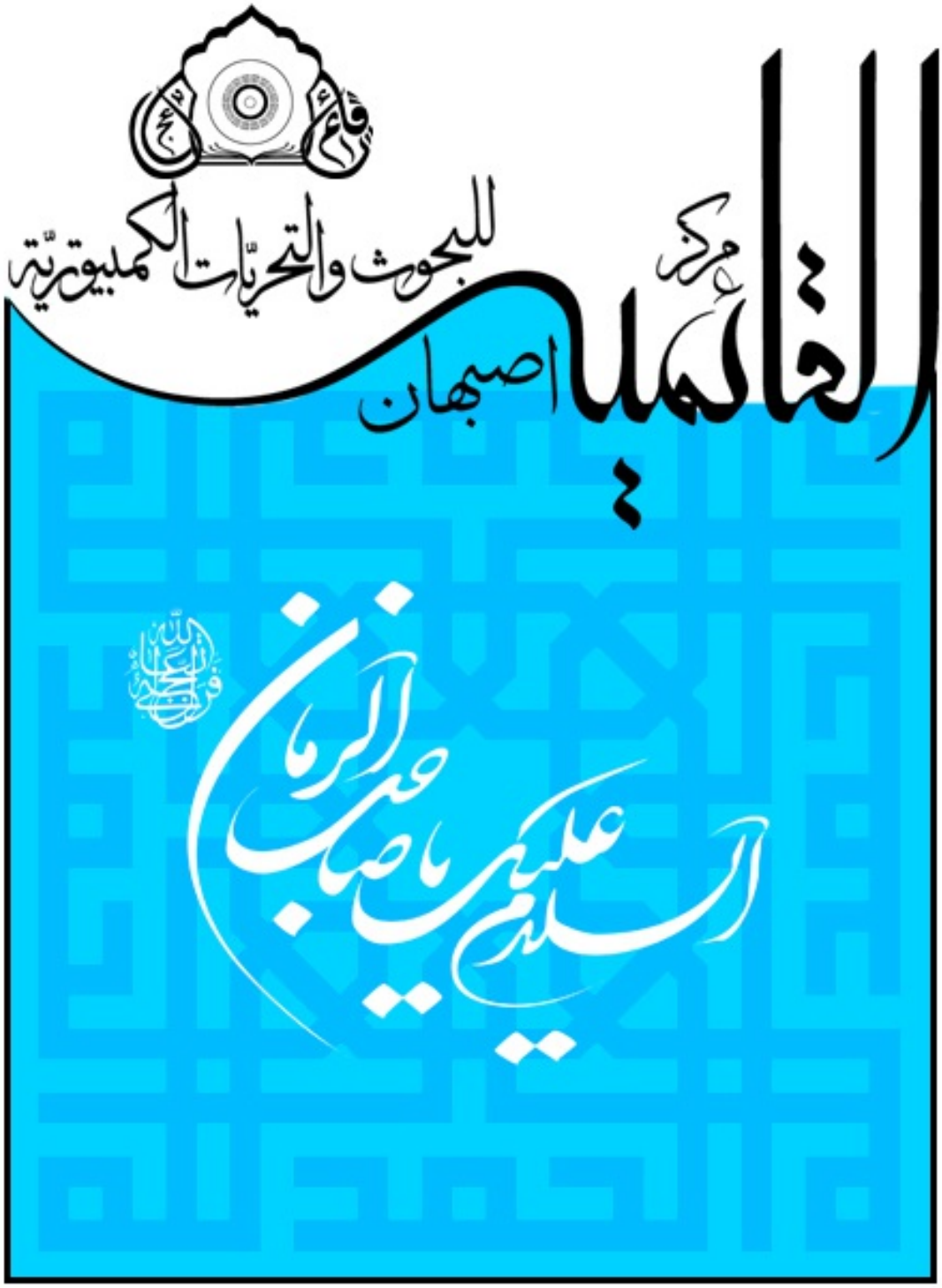

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإمام علي (ع)

من المهد إلى اللحد

تأليف

العلامة الخطيب

السيد محمد كاظم القزويني

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام على عليه‌السلام من المهد الى اللحد

كاتب:

محمدكاظم القزوينى

نشرت فى الطباعة:

دارصادق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام علی علیه‌السلام من المهد الی اللحد ----- ۹
اشارة ----- ۹
المقدمة ----- ۹
علی ولید الکعبة ----- ۱۱
علی أول المسلمین ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
ابوطالب حامی الرسول ----- ۱۹
علی لیلة المبیت ----- ۲۲
علی والهجرة ----- ۲۸
اقتران النورین ----- ۳۰
علی والجهاد ----- ۳۵
اشاره ----- ۳۵
علی یوم بدر ----- ۳۷
علی یوم أحد ----- ۳۹
علی یوم بنی النضیر ----- ۴۰
علی یوم الخندق ----- ۴۱
علی یوم خیبر ----- ۴۶
علی یوم حنین ----- ۴۹
علی والقرآن ----- ۵۰
اشاره ----- ۵۰
علی یوم المباهلة ----- ۵۲
صورة أخری للمباهلة ----- ۵۲

علی یتصدق بالخاتم ----- ۵۵
علی فی سورة هل أتی ----- ۵۷
مفاخرة علی والعباس ----- ۵۹
آیة النجوی ----- ۶۰
علی والعلم ----- ۶۱
اشاره ----- ۶۱
علی والخطابة ----- ۶۴
من خطبة له یذکر فیها بدیع خلقة الخفاش ----- ۶۵
من خطبة له یذکر فیها عجیب خلقة الطاووس ----- ۶۵
ومنها خطبتان له الأولی خالیة من الألف والثانیة خالیة من النقط ----- ۶۶
علی والفضائل النفسیة ----- ۷۰
اشاره ----- ۷۰
علی والیقین ----- ۷۱
علی والحفظ ----- ۷۲
علی والتعطف ----- ۷۲
علی والحق ----- ۷۲
علی والغنی ----- ۷۲
علی والعفو ----- ۷۳
علی والحکمة ----- ۷۳
علی والزهد ----- ۷۴
علی والعفة ----- ۷۵
علی والتواضع ----- ۷۶
علی والحلم ----- ۷۷
علی والمواساة ----- ۷۸

على والكرم ----- ۷۸
على والعدل ----- ۸۰
على والعبادة ----- ۸۲
على وطلاقة الوجه مع المهابة ----- ۸۳
على والخصائص ----- ۸۳
اشاره ----- ۸۳
خبر الطائر المشوى ----- ۸۷
حديث الطائر بصورة أخرى ----- ۸۸
حديث المنزلة ----- ۸۹
المواخاة بين النبى وعلى ----- ۹۱
مصادر حديث المواخاة بين رسول الله وعلى ----- ۹۲
سورة براءة ----- ۹۴
على يكسر الأصنام ----- ۹۶
حديث سد الأبواب ----- ۹۷
على يوم الغدير ----- ۹۹
اشاره ----- ۹۹
اكمال الدين ----- ۱۰۳
نزول العذاب ----- ۱۰۴
معانى المولى ----- ۱۰۵
عيد الغدير ----- ۱۱۴
على عند وفاة الرسول ----- ۱۱۵
اشاره ----- ۱۱۵
بعض النصوص الواردة حول الوصية ----- ۱۱۷
على فى مصيبة الزهراء ----- ۱۲۰

زواج علی بعد فاطمة ----- ۱۲۳
کلام حول أزواج الإمام وأولاده ----- ۱۲۴
علی جلیس البیت ----- ۱۲۴
علی یوم الجمل ----- ۱۲۷
علی فی صفین ----- ۱۴۳
علی والخوارج ----- ۱۴۸
الغارات الثلاث علی بلاد الإمام ----- ۱۵۲
علی بقلمه ولسانه ----- ۱۵۸
اشاره ----- ۱۵۸
الخطبة الشقشقیة ----- ۱۵۸
خطب أخری له ----- ۱۵۹
علی ینعی نفسه ----- ۱۶۲
علی طریح الفراش ----- ۱۶۹
علی یفارق الحیاة ----- ۱۷۱
اشاره ----- ۱۷۱
تابین علی ----- ۱۷۴
ختام واعتذار ----- ۱۷۶
پاورقی ----- ۱۷۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۸۱

الامام علی علیه‌السلام من المهد الی اللحد

اشارة

سرشناسه: قزوینی، محمدکاظم، ۱۳۷۳ - ۱۳۰۸

عنوان و نام پدیدآور: الامام علی علیه‌السلام من المهد الی اللحد/ محمدکاظم القزوینی

مشخصات نشر: تهران: صادق، ۱۳۸۰.

مشخصات ظاهری: ص ۲۸۹

فروست: (موسسه الصادق؛ الکتاب الاول)

شابک: ۹۶۴-۵۶-۴-۱۱-۷۱۵۰۰۰ریال؛ ۹۶۴-۵۶-۴-۱۱-۷۱۵۰۰۰ریال

وضعیت فهرست نویسی: فهرستنویسی قبلی

یادداشت: چاپ قبلی: مطبع الاداب، ۱۳۶۴

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

موضوع: علی‌بن ابی‌طالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- سرگذشتنامه

رده بندی کنگره: BP۳۷/ق۴ع۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱

شماره کتابشناسی ملی: م۸۰-۱۱۲۱۱

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله کما یرضی، وصلی الله علی سیدنا محمد المصطفی وآله سادات الوری.

وبعد: کم أنا معجب بحیاة أولیاء الله الذین کانوا المظهر الصحیح الکامل للانقیاد والخضوع لأوامر الله تعالی وإرادته وإنی لا أعرف فی قاموس اللغة العربی ألفاظاً کافیة فی التعریف والتعبیر عن شخصیة الإمام أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام)، لا أکتب هذا بقلم العاطفة والغلو ولا ـ طمعاً فی ربح مادی للجائزة الدنیویة بل بقلم الواقع والحقیقة، أنظر إلی الحقائق وأذکر انطباعاتی عنها وسیظهر صدق هذا الکلام من خلال سطور الکتاب، ویتجلی الحق الواضح لکل من یقرأ هذا الکتاب مجرداً عن الاتجاهات.

کلمة العظیم لا تکفی لبیان عظمة الرجل، وخاصة بعد أن استعملت هذه الکلمة فی الکثیر ممن یستحق ذلک أو لا یستحق، مع العلم أن العظمة تتفاوت من حیث القلة والکثرة والضعف والشدة وکذلک سائر الصفات الحمیدة التی یُعبّر عنها بالفضائل ویُنعت بها الرجال.

فکیف أستطیع أن أصف الإمام حق الوصف، وأؤدی واجب المقام حق الأداء، وکلما حاولت أن أطیر بقلمی إلی أرفع مستوی فی البیان وأعلی درجة فی الأداء مع ذلک کله فالعجز عن التعبیر لا یفارقنی، والأفضل أن نذکر حیاة الإمام بکل بساطة، ونحیل إدراک الموقف وأهمیة الحال إلی فکرة القارئ وذهنه وفهمه الفطری، وهذا أولی من تنمیق الألفاظ وتنضیدها وتکوین کتلة من الألغاز أو الکنایات التی تشبه کتب اللغة ولکن من غیر تبویب وتنظیم!! هناک صفات تمیل إلیها النفوس وتحبها وتحب من یتصف بها ویقال لها: الفضائل کالعلم والشجاعة والکرم وغیرها.

وهناک أیضاً صفات تنفر منها الطباع وتکره من یتصف بها ویقال لها: الرذائل کالجهل والجبن والبخل وغیرها، وهی أضداد الفضائل والصفات الحمیدة، کلتا الطائفتین من الصفات تقل فی النفوس وتکثر، وتضعف وتشتد، فقد یبلغ الکرم القمة، وقد ینتهی البخل إلی الحضیض وهکذا الکلام فی باقی الفضائل والرذائل، ونحن حین نراجع ترجمة حیاة الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) نجدها حافلة بالفضائل بأقصی درجة ممکنة وأرفع مستوی یُتصور، منزهة عن کل ما یمس ویحط ویشوه (بجمیع معنی الکلمة) بقدسیة الإمام وجلالته، ولیس هذا ادعاء أجوف، بل محتویات الکتاب کلها شواهد وبراهین علی ما نقول، بل التاریخ الصحیح أقوی دلیل وکتاب الله أقوی حجة ومن أصدق من الله قیلاً وأختم مقدمتی هذه بکلمتی الوجیزة:

أقول: إن الله تعالی الذی هو علی کل شیء قدیر ولا یعجزه شیء شاء أن یظهر لعباده الفرد الکامل من خلقه لیریهم قدرته علی الإبداع فی الصنع ویبرهن لهم علی أن من الممکن أن یقرب الله البشر إلی أعلی درجة من الشرف یمکن للموجود أن یبلغها، فخلق الله محمداً (صلّی الله علیه وآله) وعلی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) لیکون کل واحد مثالاً کاملاً للقدرة الإلهیة، وشاهداً حیاً لأرقی موجود فی مراتب الصعود.

وکثیراً ما کنت أحدث نفسی بتألیف کتاب یتضمن الإشارات إلی بعض مواهب هذا الإمام، المقتدی لقوافل الإنسانیة عبر القرون والأجیال والدهور، ولکن التفکیر حول أهمیة هذا العبء الثقیل وخطورة الموقف وضآلة وضعف البیان وسعة البحث کلها کانت موانع تحول دون الخوض فی هذه المعرکة العلمیة الفکریة!

حتی إذا اقترب شهر رمضان المبارک من سنة ۱۳۸۶ ه وثارت فی النفوس ثورة العبادة ونهضة الدین وانتبهت غرائز الإقبال علی فعل الخیر واستعد إخواننا الشباب لإعادة مجلسهم السنوی فی لیالی شهر رمضان وکان لی شرف الخدمة والتکلم فی ذلک المجلس الذی کانت الحیاة تنفجر من نواحیه، وینبعث النشاط من جوانبه، ففکرت حول اختیار حدیث إسلامی متسلسل، لله فیه رضی وللمستمعین فیه أجر وثواب.

وأخیراً: تقرر أن نتحدث حول شخصیة الإمام أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب، ونجعلها محور کلامنا، وندور فی فلکها لما فی ذلک من فوائد دینیة، علمیة، روحیة، تربویة، تنفع العباد والبلاد.

فالتحدث عن أمیرالمؤمنین یشمل التکلم عن الإسلام الصحیح فی جمیع مجالاته وخاصة فی دور التکوین والتأسیس وعن مدی تأثیر التربیة الإسلامیة فی النفوس وتبلورها ببرکة تلک التعالیم وتکهرب النفوس بنفسیة النبی (صلّی الله علیه وآله) تلک النفسیة القویة بالمبدأ الأعلی.

نذکر فی هذه الصحائف شیئاً عن حیاة الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) فی ظل الإسلام وبعض مواقفه فی المواطن الخطرة التی قل أن یثبت لها أحد، باستقبال الأخطار التی ارتعدت منها الفرائض وخفقت عندها القلوب خفقان الطیر.

تبدأ تلک الحوادث المتسلسلة من أیام بعثة النبی (صلّی الله علیه وآله) والشروع بالدعوة الصامتة، والناطقة والسریة والعلنیة وأدوار تلک الدعوة وتطورها فی مکة، وتنتهی بهجرة النبی (صلّی الله علیه وآله) إلی المدینة.

وهنا یتطور الموقف إلی العمل بصورة أوسع وأصعب، ویبدأ دور الحروب والغزوات والمجازر التی أجج الکفار نارها، فارتوت الأرض من الدماء وانقلبت البوادی إلی مقابر.

نذکر مواقف الإمام (علیه‌السلام) فی تلک المراحل المذهلة، واستعداده للتضحیة فی سبیل المبدأ بحیث ما کان یقف فی طریقه شیء یغیر اتجاهه وانطباعه عن الدین.

وتنتهی فترة الجهاد بوفاة الرسول الأعظم، فیتطور الجهاد بنوع من السکوت والصبر أو الکلام بما یقتضیه الحال وما تفرضه المصلحة العامة للإسلام والمسلمین.

ینقضی ربع قرن والإمام جلیس بیته، مسلوب الإمکانیات فاقداً قدرة النهوض بأعباء الخلافة وما هناک من لوازم ومتطلبات ومسؤولیة

أمام الله والتاريخ لأن المسؤولية تابعة للقدرة والقوة ونفوذ الكلمة وجوداً وعدماً.

وتنتهى تلك الفترة المؤلمة بمقتل عثمان وانتقال الخلافة إلى الإمام مرة ثانية بعد انتزاعها منه إثر واقعة الغدير.

فيبدأ دور المسؤولية وبيان مسؤوليات الحكم فى القانون الإسلامى، وتطبيق أحكام الله فى جميع المجالات، والاصطدام بالنزعات والاتجاهات المخالفة وما هناك من مشاكل وعراقيل ومواقف حرجة.

نسير مع التاريخ حيث سار الإمام حتى ينتهى البحث بشهادة الإمام (عليه السلام)، وما هناك من نماذج من العدالة الإلهية ونفسيات طيبة تتجلى فى وصايا الإمام عندما أحس بخطر الوفاة.

نتمم هذا البحث بما تيسر من كلمات الإمام وتعاليمه القيمة وفضائله ومكارم أخلاقه.

وبذلك ينتهى الكتاب إن شاء الله.

ونضطر أن نقتطف من كل حادثة جملة ترتبط بالإمام، ومن كل غزوة جانباً يتعلق بالذات بموقف الإمام فيها، رعاية لأسلوب الكتاب.

وأنا على يقين أن الإحاطة بجميع مزايا هذا الإمام خارج عن نطاق البشر وقدرة البيان، لأنه (عليه‌السلام) كالبحر لا يدرك طرفاه ولا يبلغ جانباه ولا يمكن الغوص إلى عمقه.

فالمتحدث عن شخصية الإمام يجد أمامه عوالم غير متناهية، يطير فى فضائها وأرجائها، ومهما أوتى من حول وقوة فإن التعب يدركه قبل أن يدرك مداها.

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فلنذهب إلى المجلس المنعقد فى الجامع المعروف بجامع الصافى مقابل صحن سيدنا أبى‌عبدالله الحسين (عليه‌السلام) لنستمع إلى ما يلى:

على وليد الكعبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الكرام البررة.

وبعد: لقد اتفقنا أن نجعل حديثنا وبحثنا فى هذا الشهر عن أكبر شخصية عرفها التاريخ بعد الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله).

وهى شخصية سيدنا ومولانا الإمام المرتضى أبى‌الحسن أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب عليه آلاف التحية والثناء، ونبدأ حديثنا بولادة الإمام (عليه‌السلام) فى الكعبة.

ولا بأس قبل الخوض فى بيان الواقعة، بذكر مقدمة تمهيدية فنقول: نحن بصفتنا مؤمنين بالله وبالقرآن العظيم لا محيص لنا عن قبول الأمور الخارقة للعادة والتى هى ما وراء الطبيعة، المذكورة فى القرآن الكريم، ويقال لها: (الماورائيات) أو (الميتافيزيقيا).

فإن القرآن الكريم يتضمن أكبر كمية من الحوادث الماورائيات، ولا نستطيع (بصفتنا مسلمين) أن نرفضها أو نتردد فى قبولها، وخاصة بعد أن آمنا أن القرآن كتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

مثلاً: طبيعة النار هى الإحراق، وإسناد الإحراق إلى النار من الأمور البديهية الثابتة، والقرآن الحكيم يحدثنا عن إبراهيم وأنه لما كسر الأصنام حكم المشركون عليه بالإعدام فقالوا: (حرّقوه) فأضرموا ناراً عظيمة اشترك جميع طبقات الناس فى جمع الحطب لها، فوضعوا إبراهيم الخليل فى آلة تسمى (المنجنيق)، وقذفوه من مكان بعيد فى وسط تلك النار العظيمة.

قال تعالى: (وقلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) [۱] فى الحديث فى تفسير هذه الآية: لما خاطب الله النار بقوله: (كونى برداً) كاد إبراهيم أن يموت من البرد فقال تعالى: (وسلاماً) فسلم إبراهيم من الموت بالبرد.

وكذلك عصا موسى (عليه‌السلام) وانقلابها إلى ثعبان وابتلاعه الحبال والعصى التى كانت يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى، ثم عادت العصا كما كانت.

وهکذا ما قام به عیسی بن مریم (علیه‌السلام) من إبراء الأکمه (الذی ولد أعمی) والأبرص، وإحیاء الموتی حتی الذین انقضت علی وفاتهم مئات السنوات، وقد أشار القرآن الکریم إلی هذه المعجزة فی ثلاثة مواضع.

وهکذا وهلم جراً، من القضایا والحوادث الخارقة للعادة والطبیعة المستندة إلی إرادة الله وقدرته، ویسهل الإیمان بهذه الأمور کلها إذا حصل الإیمان بأن الله قادر علی کل شیء، وأن جمیع الموجودات خاضعة ومطیعة لإرادة الله تعالی.

إذا ثبت هذا فلا مانع لدی العقل من قبول انشقاق جدار الکعبة لدخول فاطمة بنت أسد حتی تضع ولدها الإمام فی جوف الکعبة، وإلیک الواقعة:

أحست السیدة فاطمة بنت أسد بوجع الولادة وهی فی الشهر التاسع من الحمل، وأقبلت إلی المسجد الحرام وطافت حول الکعبة، ثم وقفت للدعاء والتضرع إلی الله تعالی لیسهل علیها أمر الولادة، قائلة: یا رب إنی مؤمنة بک وبکل کتاب أنزلته، وبکل رسول أرسلته ...

ومصدقة بکلامک وکلام جدی إبراهیم الخلیل (علیه‌السلام)، وقد بنی بیتک العتیق، وأسألک بحق أنبیاءک المرسلین، وملائکتک المقربین وبحق هذا الجنین الذی فی أحشائی.. إلا یسرت علیّ ولادتی.

انتهی دعاء السیدة، وانشق جدار الکعبة من الجانب المسمی (بالمستجار) ودخلت السیدة فاطمة بنت أسد إلی جوف الکعبة، وارتأب الصدع، وعادت الفتحة والتزقت وولدت السیدة ابنها علیاً هناک. [۲].

من المعلوم: أن للکعبة باباً یمکن منه الدخول والخروج، ولکن الباب لم ینفتح، بل انشق الجدار لیکون أبلغ وأوضح وأدل علی خرق العادة، وحتی لا یمکن إسناد الأمر إلی الصدفة.

والغریب: أن الأثر لا یزال موجوداً علی جدار الکعبة حتی الیوم بالرغم من تجدد بناء الکعبة فی خلال هذه القرون، وقد ملأوا أثر الانشقاق بالفضة والأثر یری بکل وضوح علی الجدار المسمی بالمستجار، والعدد الکثیر من الحجاج یلتصقون بهذا الجدار ویتضرعون إلی الله تعالی فی حوائجهم.

روی الشیخ الطوسی علیه الرحمة فی أمالیه عن الإمام الصادق (علیه‌السلام): کان العباس بن عبدالمطلب ویزید بن قعنب جالسین ما بین فریق بنی هاشم إلی فریق بنی عبدالعزی إزاء بیت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم، وکانت حاملة بأمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) لتسعة أشهر، وکان یوم التمام، فوقفت إزاء البیت الحرام، وقد أخذها الطلق، ورمت بطرفها نحو السماء وقالت...

إلی آخر کلامها الذی تقدم.

ووصل الخبر إلی أبی‌طالب، فأقبل هو وجماعة وحاولوا لیفتحوا باب الکعبة حتی تصل النساء إلی فاطمة لیساعدنها علی أمر الولادة، ولکنهم لم یستطیعوا فتح الباب، فعلموا أن هذا الأمر من الله سبحانه وتعالی.

وحدثت السیدة فاطمة بما جری علیها فی الکعبة، قالت: فجلست علی الرخامة الحمراء ساعة، وإذا أنا قد وضعت ولدی علی بن أبی‌طالب ولم أجد وجعاً ولا ألماً.

وبقیت السیدة فی الکعبة ثلاثة أیام، وانتشر الخبر فی مکة، وجعل الناس یتحدثون به حتی النساء، وازدحم الناس فی المسجد الحرام، لیشاهدوا مکان الحادثة، حتی کان الیوم الثالث، وإذا بفاطمة قد خرجت من الموضع الذی کان قد انشق لدخولها وعلی یدها صبی کأنه فلقة قمر وأسرعت الجماهیر المتجمهرة إلیها فقالت: معاشر الناس، إن الله عزوجل اختارنی من خلقه وفضلنی علی المختارات ممن مضی قبلی، وقد اختار الله آسیة بنت مزاحم فإنها عبدت الله سراً فی موضع لا یحب أن یعبد الله فیه إلا اضطراراً، ومریم بنت عمران، حیث هانت ویسرت ولادة عیسی فهزت الجذع الیابس من النخلة فی فلاة من الأرض حتی تساقط علیها رطباً جنیاً وإن الله تعالی اختارنی (فضلنی) علیها وعلی کل من مضی قبلی من نساء العالمین لأنی ولدت فی بیته العتیق، وبقیت فیه ثلاثة أیام آکل من ثمار الجنة وأرزاقها...

الخ. [۳].

وبعد هذا كله لم يبق مجال للشك فی هذه الحادثة والاستبعاد من قدرة الله تعالی وإرادته، وما المانع أن يختار الله لمولد وليه أشرف بقاع الأرض حتی يكون مولده فی ذلك المكان من مزاياه التی تفرد بها عن الخلق أجمعين؟؟ وما المانع أن يمنح الله عباده المقربين هذه العطايا والمنح كی تكون لهم دليلاً علی كرامتهم عند الله.

فقد ذكر الشيخ المفيد (ره) المتوفی سنة ۴۳۱ ه فی الإرشاد مولد الإمام فی البيت الحرام، وكذلك من جاء بعده كالشيخ الطوسی والنسابة علی بن أبی‌الغنائم والشهيد فی مزاره والسيد ابن‌طاووس فی المصباح والعلامة الحلی المتوفی سنة ۷۳۶ ه فی كتابه كشف الحق وكشف اليقين.

وتطرق السيد الحميری فی نظمه إلی هذه المفخرة وهو من شعراء القرن الثانی وهو قوله:

ولدته فی حرم الإله وأمنه

والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة

طابت وطاب وليدها والمولد

ما لف فی خرق القوابل مثله

إلا ابن آمنة النبی محمد

وكذلك الشاعر محمد بن منصور السرخسی، وهو من شعراء القرن السادس أشار إلی هذه الفضيلة بقوله:

ولدته منجبة وكان ولادها

فی جوف كعبة أفضل الأكنان

ولم ينفر أساطين الشيعة وعلماؤهم بذكر هذه المأثرة، بل شاركهم الكثير من علماء السنة، كالمسعودی فی مروج الذهب وإثبات الوصية وعبدالحميد خان الدهلوی، فی سيرة الخلفاء وغيرهما من المحدثين.

وأشار عبدالباقی العمری وعبدالمسيح الأنطاكی أيضاً إلی هذه الحادثة وأنها من الأمور المتفق عليها، وأنها من خصائص الإمام ولم يشاركه أحد قبله ولا بعده فی هذه المكرمة، حتی قال محمود الآلوسی فی شرح قصيدة عبدالباقی العمری ما هذا نصه: (وفی كون الأمير كرم الله وجهه ولد فی البيت أمر مشهور فی الدنيا وذكر فی كتب الفريقين السنة والشيعة...

ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه، وأحری بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين، سبحان من يضع الأشياء فی مواضعها وهو أحكم الحاكمين).

استقبل سيدنا أبوطالب السيدة فاطمة بنت أسد مهنئاً، وأخذ أبوطالب وليده الحبيب وضمه إلی صدره ثم رده إلی أمه، وأقبل رسول‌الله وذلك قبل أن يبعث فلما رآه علی جعل يهش ويضحك كأنه ابن سنة، من حيث المشاعر والإدراك فأخذه النبی (صلّی الله عليه وآله) وقبله وحمد الله علی ظهور هذا المولود الذی كان يعلم أنه سيكون له أحسن وزير وخير أخ وأول مؤمن به، وتتحقق به آمال رسول الله وأمانيه بنشر دينه الذی سيبعث به فسلم علی علی رسول‌الله ثم قرأ هذه الآيات:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون الذين هم فی صلاتهم خاشعون [۴] إلی آخر الآيات، فقال رسول‌الله (صلّی الله عليه وآله) قد أفلحوا بك.

وقرأ تمام الآيات إلی قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون). [۵].

فقال رسول‌الله (صلّی الله عليه وآله): أنت والله أميرهم تميرهم من علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون.

وأذن أبوطالب فی الناس أذاناً جامعاً وقال: هلموا إلی وليمة ابنی علی.

قال: ونحر ثلاث مائة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم واتخذوا وليمة عظيمة وقال: معاشر الناس، ألا من أراد من طعام على ولدى فهلموا وطوفوا بالبيت سبعاً سبعاً، وادخلوا وسلموا على ولدى على فإن الله شرفه. [۶].

وهنا سؤالان: الأول كيف تكلم على وهو ابن ثلاثة أيام، والسؤال الثانى كيف قرأ آيات القرآن والقرآن بعد لم ينزل على النبى؟

أما الجواب عن السؤال الأول: إن القرآن الكريم يصرح بتكلم عيسى لما حملته أمه مريم وجاءت به إلى قومها، فسألها قومها عن عيسى (فأشارت إليه) أى سلوا الطفل فإنه يخبركم عن الحقيقة.

قال اليهود: كيف نكلم من كان فى المهد صبياً؟ قال (عيسى): (إنى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً) فإذا أمكن أن يتكلم عيسى فى المهد صبياً فما المانع أن يتكلم على وهو طفل فإن كان عيسى نبياً فعلى خليفة نبى ووصيه وليس ذلك على الله بعزيز، وليس هذا بمستحيل أمام قدرة الله تعالى فإن الله على كل شىء قدير.

والجواب عن السؤال الثانى: أن القرآن الحكيم يقول: (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) [۷] مع العلم أن القرآن نزل على النبى (صلّى الله عليه وآله) فى خلال ثلاث وعشرين سنة، من يوم مبعثه إلى أيام قبل وفاته، فما المقصود من هذه الآية المباركة التى تصرح بنزول القرآن فى ليلة القدر؟

هناك أحاديث متواترة عن أهل البيت (عليهم‌السلام) فى تفسير هذه الآية مفادها: أن القرآن أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ومن السماء الدنيا نزل تدريجياً ومن هنا يستفاد أن القرآن كان موجوداً فى السماء قبل نبوة محمد (صلّى الله عليه وآله).

فالطفل الذى اختار الله له الكعبة مولداً وأنطق لسانه يوم ولادته لا مانع عند العقل أن يلهمه الله شيئاً من كتابه المخلوق الموجود فى السماء.

وكانت ولادته يوم الجمعة فى الثالث عشر من شهر رجب، بعد مضى ثلاثين سنة من عام الفيل.

وقيل: أقل من ذلك، والله العالم.

على أول المسلمين

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، والصلاة والسلام على محمد وآله خير البرية.

كلامنا الليلة: حول التربية الإسلامية التى تربها على (عليه‌السلام) خلال السنوات الطوال التى قضاها مع النبى (صلّى الله عليه وآله) منذ نعومة أظفاره حتى بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة، وهى المدة التى عاش فيها مع الرسول، ولا أملك بياناً كافياً لوصف تلك التربية المدهشة، وتأثيرها فى نفس على (عليه السلام)، والأفضل أن نستمع إلى كلام على (عليه‌السلام) فى هذا الموضوع، فإنه يشرح لنا مدى اختصاصه والتصاقه بالنبى (صلّى الله عليه وآله) من صغر سنه، يذكر (عليه‌السلام) ذلك فى خطبته الجليلة المعروفة بالقاصعة.

قال (عليه‌السلام): (أنا وضعت فى الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر.

وقد علمتم موضعى من رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعنى فى حجره وأنا ولد، يضمنى إلى صدره، ويكنفنى إلى فراشه، ويمسنى جسده ويشمنى عرقه.

وكان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه، وما وجد لى كذبة فى قول، ولا خطلة فى فعل، ولقد قرن الله به (صلّى الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرنى بالاقتداء به، ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى.

ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحى والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحى عليه (صلّى الله عليه وآله) فقلت يا رسول‌الله: ما هذه الرنة؟ فقال: إنه الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبى. ولكنك وزير وإنك لعلى خير. [۱۵].

فقد روى العلامة الحلى عليه الرحمة فى كشف اليقين وغيره : ... وقال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) لفاطمة بنت أسد: اجعلى مهده بقرب فراشى، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يلى علياً أكثر تربيته، وكان يطهر علياً فى وقت غسله، ويوجره اللبن (يجعله فى فمه) عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه فى يقظته، ويحمله على صدره، ويقول: هذا أخى ووليى، وصفيى، وذخرى وكهفى وظهرى، ووصيى، وزوج كريمتى، وأمينى على وصيتى وخليفتى، وكان يحمله دائماً ويطوف به فى جبال مكة وشعابها وأوديتها. [۱۶].

وذكر الثعلبى فى تفسيره عن مجاهد قال: كان من نعم الله على على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) وما صنع الله له وزاده من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة (قحط) شديدة، وكان أبوطالب ذا عيال كثير، فقال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) للعباس عمه وكان أيسر بنى هاشم: يا عباس أخوك أبوطالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، آخذ أنا من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت من بنيه رجلاً، فنكفيهما عنه من عياله.

قال العباس: نعم فانطلقا، حتى أتيا أباطالب فقالا: نريد أن نخفف عنك عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال أبوطالب: إن تركتما لى عقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ النبى (صلّى الله عليه وآله) علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرَ فضمه إليه، فلم يزل على مع رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) حتى بعثه الله نبياً، واتبعه على فآمن به وصدقه.. الخ.

وأخذ رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) علياً، فانتخبه لنفسه واصطفاه لمهم أمره، وعول عليه فى سره وجهره، وهو مسارع لمرضاته موفق للسداد فى جميع حالاته، وكان رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فى ابتداء طروق الوحى إليه، كلما هتف به هاتف أو سمع من حوله رجفة راجف، أو رأى رؤياً أو سمع كلاماً يخبر بذلك خديجة وعلياً (عليهماالسلام) ويستسرهما هذه الحالة فكانت خديجة نثبته وتصبره، وكان على (عليه‌السلام) يهنئه ويبشره ويقول له: والله يا ابن عم ما كذب عبدالمطلب فيك، ولقد صدقت الكهان فيما نسبته إليك، ولم يزل كذلك إلى أن أمر (صلّى الله عليه وآله) بالتبليغ.

فكان أول من آمن به من النساء خديجة، ومن الذكور أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) وعمره يومئذ عشر سنين، وكانت السيدة خديجة الكبرى (عليهاالسلام) تشاهد النبى يعطف ويحنو على على (عليه‌السلام) ويتولى رعايته منذ نعومة أظفاره، فكانت السيدة خديجة تستزيده وتزينه وتحليه وتلبسه وترسله مع جواريها، ويحمله خدمها.

وقد أجمع علماء النفس والتربية واتفقت كلمتهم على: أن جميع نفسيات الإنسان وأخلاقه وصفاته إنما هى انطباعات التربية التى تركزت فى نفسه منذ صغره، بحيث يمكن لنا أن نعرف مصير الطفل ومستقبله من منهاج التربية التى قام بها الوالدان والمربى تجاه الطفل فى صباه.

فالحقارة والعقد النفسية والدناءة والخمول وما شاكلها من الصفات التى تظهر فى الناس إنما هى من ولائد التربية الفاسدة فى باكورة حياتهم.

وكذلك شرافة النفس وعلو الهمة، وقوة الروح وما شابهها إنما هى من نتائج التربية الصحيحة فى أيام الصبا.

وفى المناقب: عن أبى‌رافع أن النبى (صلّى الله عليه وآله...)

قال لعمه أبى‌طالب: إنى أحب أن تدفع إلى بعض ولدك يعيننى على أمرى ويكفينى، وأشكر لك بلاءك عندى، فقال أبوطالب: خذ أيهم شئت.

فأخذ علياً (عليه‌السلام) فاستقى عروقه من منبع النبوة، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة، وتهدلت أغصانه عن نبعة الإمامة، ونشأ فى دار الوحى، وربى فى بيت التنزيل، ولم يفارق النبى (صلّى الله عليه وآله) فى حال حياته إلى حال وفاته، لا يقاس بسائر الناس، إذ كان (عليه‌السلام) فى أكرم أرومة، وأطيب مغرس، والعرق الصالح ينمى والشهاب الثاقب يسرى...

ولم يكن الرسول ليتولى تأديبه، ويتضمن حضانته وحسن تربيته إلا على ضربين: إما على التفرس فيه، أو بوحى من الله تعالى، فإن كان بالتفرس فلا تخطى فراسته، ولا يخيب ظنه، وإن كان بالوحى فلا منزلة أعلى ولا حال أدل على الفضيلة والإمامة.

بناء على هذا اهتم رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) غاية الاهتمام وبذل ما فى وسعه فى تربية على (عليه‌السلام) وتأديبه وتقوية نفسه وتوجيهه، وطبع غرائزه على أحسن ما يرام وتعليمه الفضائل والمكارم.

فأنتجت تلك التربية الإسلامية الفريدة فى نفس على (عليه‌السلام) أحسن الأثر، وتربى تحت ظل الرسول أفضل تربية، واجتمعت فيه جميع المؤهلات للصعود إلى أعلى مرقاة، فاستحق أن يجعله الله نفس النبى فى آية المباهلة، وكملت فيه الكفاءة والإنسانية بجميع معنى الكلمة حتى صار أهلاً لكل منحة إلهية وعطية ربانية وصار جديراً بالولاية والخلافة، والوصية، والوراثة، وبكل عظمة وكل تقدير من الخالق والمخلوق، وكل إكبار وإعجاب من الرسول، وتجلت فيه الفتوة والشهامة، والاعتماد على النفس، والإحساس بالشخصية وعظمة النفس حينما قدم لتقبل أكبر مسؤولية فى العالم، واستعد للقيام بأكبر مهمة من أقل لوازمها التضحية بكل غال ونفيس، وذلك يوم الدار أو الإنذار، وإليك الواقعة:

فى أمالى الشيخ عن ابن‌عباس عن على (عليه‌السلام) قال: لما نزلت هذه الآية على رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): (وأنذر عشيرتك الأقربين) [۱۷] دعانى رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقال لى: يا على إن الله تعالى أمرنى: أن أنذر عشيرتك الأقربين.

قال: فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنى متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت على ذلك.

فاصنع لى يا على صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لى بنى عبدالمطلب حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرنى به، ثم دعوتهم أجمع وهم يومئذ أربعون رجلاً- يزيدون أو ينقصون رجلاً- فيهم أعمامه: أبوطالب وحمزة والعباس وأبولهب، فلما اجتمعوا له، دعانى بالطعام الذى صنعت لهم فجئت به، ولما وضعته تناول رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) جذمة من اللحم فنتفها بأسنانه، ثم ألقاها فى نواحى الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله.

فأكل القوم حتى صدروا ما لهم بشىء من طعام حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم، وأيم الله الذى نفس على بيده أن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم جئتهم بذلك العسّ فشربوا حتى رووا جميعاً، وأيم الله أن كان الرجل الواحد منهم يشرب مثله، فلما أراد رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أن يكلمهم بدره أبولهب إلى الكلام فقال: لشد ما سحركم صاحبكم!! فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقال لى فى الغد: يا على إن هذا الرجل قد سبقنى إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم لى.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم، فدعانى بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، وأكلوا حتى صدروا ما لهم به من حاجة ثم قال: اسقهم.

فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا بنى عبدالمطلب إنى والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله عزوجل أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤمن بى ويؤازرنى على أمرى فيكون أخى، ووصيى ووزيرى وخليفتى فى أهلى من بعدى؟

قال: فأمسك القوم، وأحجموا (سكتوا) عنها جميعاً، قال: فقمت وإنى لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً، فقلت: أنا يا نبى الله أكون وزيرك على ما بعثك الله به...

قال: فأخذ بيدى ثم قال: إن هذا أخى ووصيى ووزيرى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى‌طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه.

وفى رواية فقال: ليقومن قائمكم أو ليكونن من غيركم ثم لتندمن، ثم أعاد الكلام ثلاث مرات فقام على فبايعه ثم قال له (صلّى الله عليه وآله): ادن منى، فدنا منه ففتح فاه، ومج من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال أبولهب: بئس ما حبوت به ابن عمك إن أجابك فملأت وجهه وفاهه بزاقاً! فقال النبى (صلّى الله عليه وآله): ملأته حكماً وعلماً وفهماً. [۱۸].

وللمأمون العباسى مناظرة لطيفة ظريفة قيمة مع الفقهاء، نقتطف منها محل الحاجة: المأمون: يا إسحاق أى الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟ إسحاق: الإخلاص بالشهادة.

المأمون: أليس السبق إلى الإسلام؟

إسحاق: نعم.

المأمون: اقرأ ذلك فى كتاب الله يقول: (والسابقون السابقون أولئك المقربون) [۱۹] إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟

إسحاق: يا أميرالمؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن، لا يجوز عليه الحكم، وأبوبكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

المأمون: أخبرنى أيهما أسلم قبل؟

ثم أناظرك من بعده فى الحداثة والكمال.

إسحاق: على أسلم قبل أبى‌بكر على هذه الشريطة.

المأمون: فأخبرنى عن إسلام على حين أسلم؟ لا يخلو من أن يكون رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟؟ أطرق إسحاق!!

المأمون: يا إسحاق لا تقل: إلهاماً.

فتقدمه على رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) لأن رسول‌الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرائيل عن الله تعالى.

إسحاق: أجل بل دعاه رسول‌الله إلى الإسلام.

المأمون: يا إسحاق فهل يخلو رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟؟ (أطرق إسحاق)!!.

المأمون: يا إسحاق لا تنسب رسول‌الله إلى تكلف، فإن الله قال: (وما أنا من المتكلفين). [۱۳].

إسحاق: أجل، يا أميرالمؤمنين بل دعاه بأمر الله.

المأمون: فهل من صفة الجبار (جل ذكره) أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟

إسحاق: أعوذ بالله.

المأمون: أفتراه فى قياس قولك يا إسحاق أن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد تكلف رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) من دعاء الصبيان ما لا يطيقون، فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم فى ارتدادهم شىء، ولا يجوز عليهم حكم الرسول (صلّى الله عليه وآله)؟؟ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول‌الله؟؟

إسحاق: أعوذ بالله ... الخ.

وليس هذا بأول خطوة كبيرة خطاها (عليه‌السلام) إلى مراقى الصعود ولا بأول موقف مشرف وقف فيه للحق، فقد دعاه الرسول قبل ذلك إلى الاعتراف له بالنبوة والتصديق له بالرسالة، وذلك يوم بعثه الله تعالى فى غار حراء وانحدر متحملاً أعباء الرسالة وقصد بيت خديجة وفتحت له الباب وقالت: ما هذا النور؟ فأجابها: إنه نور النبوة، اشهدى يا خديجة بأن لا إله إلا الله وإنى رسول الله.

فشهدت بذلک فکانت أول امرأة آمنت، ثم دعا علیاً (علیه‌السلام) لیشهد له بذلک فاعترف له علی فکان أول من أسلم من الرجال.

ویمتاز إسلام علی (علیه‌السلام) عن بقیة المسلمین فی ذلک العهد فإن الذین أسلموا علی ید النبی (صلّی الله علیه وآله) کان جلهم غیر موحدین، بل یهوداً ونصاری ومشرکین، وسبق الکفر أو الشرک إسلامهم، ولکن علیاً (علیه‌السلام) لم تتغیر فطرته التی فطره الله علیها، ولم یدنس ساحته شرک ولا کفر، بل کان موحداً وبقی علی التوحید، وازداد إیماناً بالله ویقیناً به علی أثر تلک العلوم والمعارف الإلهیة التی کان الرسول (صلّی الله علیه وآله) یزقه إیاها زقاً، ولما بعث النبی بالنبوة کان علی أول من صدقه وآمن به وقام بما یتطلب ذلک التصدیق والإیمان.

ولا بأس أن نذکر الشیء الیسیر من الأحادیث التی تصرح بهذه الفضیلة الفریدة لعلی (علیه‌السلام): قال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): أوّلکم وروداً علی الحوض أوّلکم إسلاماً علی بن أبی‌طالب.

ذکره الخطیب البغدادی فی تاریخه وابن أبی‌الحدید فی شرحه.

وأخذ النبی بید علی فقال: إن هذا أول من آمن بی، وهذا أول من یصافحنی یوم القیامة، وهذا الصدیق الأکبر.

وقال أیضاً: لقد صلت الملائکة علی وعلی علی سبع سنین لأنا کنا نصلی ولیس معنا أحد یصلی غیرنا.

وقال أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام): أنا عبدالله وأخو رسول‌الله، وأنا الصدیق الأکبر، لا یقولها بعدی إلا کاذب مفترٍ، ولقد صلیت مع رسول‌الله قبل الناس بسبع سنین، وأنا أول من صلی معه.

وقال أیضاً: أنا أول رجل أسلم مع رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله).

وقال أیضاً: أنا أول من صلی مع رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله).

وقال أیضاً: أسلمت قبل أن یسلم الناس بسبع سنین.

وقال أیضاً: اللهم إنی لا أعرف عبداً من هذه الأمة عبَدَک قبلی غیر نبیک.

(قاله ثلاث مرات) ثم قال: لقد صلیت قبل أن یصلی الناس.

وقال أیضاً: بُعث رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یوم الاثنین وأسلمت یوم الثلاثاء وقال فی أبیات له:

سبقتکم إلی الإسلام طراً

غلاماً ما بلغت أوان حلمی

وله أیضاً:

أنا أخو المصطفی لا شک فی نسبی

به ربیت وسبطاه هما ولدی

صدقته وجمیع الناس فی بُهَم

من الضلالة والإشراک والنکد

قال جابر: سمعت علیاً ینشد بهذا ورسول‌الله یسمع، فتبسم رسول‌الله وقال: صدقت یا علی.

وکان هذا الأمر من الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعین وقد روی ذلک نظماً ونثراً عن جماعة منهم یتجاوز عددهم خمسین رجلاً، تجد ذلک بالتفصیل فی الجزء الثالث من الغدیر لشیخنا الأمینی (رحمه الله).

ولشیخنا الأمینی کلام لطیف قیّم فی هذا الموضوع (وکل کلامه لطیف) قال: وأما نحن فلا نقول: إنه (علیاً) أول من أسلم بالمعنی الذی یحاوله ابن‌کثیر وقومه، لأن البدأة به (الإسلام) تستدعی سبقاً من الکفر، ومتی کفر أمیرالمؤمنین حتی یسلم؟ ومتی أشرک حتی یؤمن؟ وقد انعقدت نطفته علی الحنیفیة البیضاء، واحتضنه حجر الرسالة، وغذته ید النبوة، وهذبه الخلق النبوی العظیم، فلم یزل مقتصاً أثر الرسول قبل أن یصدع بالدین الحنیف وبعده، فلم یکن له هوی غیر هواه، ولا نزعة غیر نزعته (إلی أن قال) بل نحن نقول: إن

المراد من إسلامه وإيمانه وأوليته فيهما وسبقه إلى النبى فى الإسلام هو المعنى المراد من قوله تعالى عن إبراهيم الخليل (عليه‌السلام): (وأنا أول المسلمين). [۱۴].

وفيما قال سبحانه عنه: (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) [۱۵] وفيما قال سبحانه عن موسى (عليه‌السلام): (وأنا أول المؤمنين) [۱۶] وفيما قال تعالى عن نبيه الأعظم: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) [۱۷] وفيما قال: (قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم) [۱۸] وفى قوله: (وأُمرت أن أُسلم لرب العالمين). [۱۹].

وقال ابن أبى‌الحديد:

وما أقول فى رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله، وعبده، وكل من فى الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلا السابق إلى كل خير: محمد رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله).

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه الصلاة والسلام أول الناس اتباعاً لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإيماناً به، ولم يخالف فى ذلك إلا الأقلون.

ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق له ذلك، وعلمه واضحاً وإليه ذهب الواقدى وابن‌جرير الطبرى، وهو القول الذى رجحه ونصره صاحب كتاب الاستيعاب.

ابوطالب حامى الرسول

قد ذكرنا فى أول كلامنا الليلة أن التربية الصحيحة إنما تتسنى للطفل عن طريق المربى والوالدين والبيت الذى يفتح الطفل فيه عيناه، فقد كان على (عليه‌السلام) يتلقى دروس التوحيد من الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) من أيام صباه ويتعلم منه العلوم الإلهية طيلة أيام كونه طفلاً ـ ويافعاً وشاباً وخليفة، وكان يجد كل التشجيع من والده أبى‌طالب (عليه‌السلام) الذى كفل النبى من يوم وفاة عبدالمطلب، ولم يبلغ النبى يومذاك من العمر ثمان سنين وأخذه إلى بيته وضمه إلى أهله وولده، وكان هو وزوجته السيدة فاطمة بنت أسد يبذلان كل ما فى وسعهما فى خدمة النبى والترفيه عنه حتى أنهما كانا يفضلانه على أولادهما فى المطعم والملبس والعناية والخدمة، وقام أبوطالب بما قام من أنواع العطف والحنان والرعاية والاهتمام بشأن النبى والإشادة بمواهبه فى السفر والحضر.

ولأبى‌طالب (عليه‌السلام) الحظ الأوفر فى القيام بتزويج النبى من السيدة خديجة والقضاء على المشاغبات والمنافسات التى كادت أن تحول دون ذلك الزواج الميمون.

ومواقف أبى‌طالب فى سبيل التحفظ على النبى والدفاع عنه والحماية له من بدء بعثته إلى آخر حياة أبى‌طالب، مشكورة مذكورة فى تاريخ المسلمين، وإسلام أبى‌طالب (عليه‌السلام) وإيمانه بالنبى مما لا شك فيه عند كل مسلم منصف، وهذا بعض تلك البحوث الشاهدة لما نحن فيه الآن: قال ابن‌الأثير: إن أباطالب رأى النبى (صلّى الله عليه وآله) وعلياً يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر رضى الله عنه: صل جناح ابن عمك وصل عن يساره.

وفى رواية: فقام جعفر إلى جنب على، فأحس النبى، فتقدمهما، فأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا، فانصرف أبوطالب مسروراً، وأنشأ يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتى

عند ملم الزمان والنُوَب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما

أخى لأمى من بينهم وأبى

والله لا أخذل النبى ولا

يخذله من بنيَّ ذو حسب

وكـان أبوطـالب إذا رأى رسول‌الله (صـلّى الله عليه وآله) أحياناً يبكى ويقول: إذا رأيته ذكرت أخى، وكان عبـدالله أخاه لأبويه، وكان شديـد الحب والحنو عليه، وكـذلك كـان عبـدالمطلب شديـد الحب له، وكان أبوطالب كثيراً ما يخاف على رسول‌الله (صـلّى الله عليه وآله) البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال له على ليلة: يا أبت إنى مقتول.

فقال له:

اصبرنْ يا بنى فالصبر أحجى

كل حى مصيره لشعوب

قد بذلناك والبلاءُ شديد

لفداء الحبيب وابن‌الحبيب

لفداء الأغر ذى الحسب الثا

قب والباع والكريم النجيب

فأجاب على بقوله:

أتأمرنى بالصبر فى نصر أحمد

والله ما قلت الذى قلت جازعا

ولكننى أحببت أن تر نصرتى

وتعلم أنى لم أزل لك طائعا

سأسعى لوجه الله فى نصر أحمد

نبى الهدى المحمود طفلاً ويافعا

وقال القرطبى فى تفسيره: روى أهل السير قال: كان النبى قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلى، فلما دخل فى الصلاة قال أبوجهل لعنه الله: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صـلاته؟ فقام ابن‌الزبعرى فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبى (صـلّى الله عليه وآله) فانفتل النبى من صـلاته، ثم أتى أباطـالب عمه فقال: يا عم! ألا ترى إلى ما فعل بى؟ فقال أبوطالب: من فعل هـذا بك؟ فقال النبى (صـلّى الله عليه وآله): عبدالله بن الزبعرى.

فقام أبوطالب ووضع سـيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أباطالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبوطالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفى.

فقعـدوا حتى دنـا إليهم، فقـال: يـا بنى من الفاعـل بـك هـذا؟ فقـال: عبـدالله بن الزبعرى، فأخـذ أبوطالب فرثاً ودماً فلطـخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وأساء لهم القول.

وهناك أحاديث كثيرة متواترة حول إسـلام أبى‌طالب وإيمانه، بل وكتب طائفة من العلماء والفضـلاء مؤلفات واسـعة قيمة حول إيمان أبى‌طالب أمثال كتاب أسـنى المطالب، وأبوطالب مؤمن قريش، وكتاب: الحجة على الذاهب إلى تكفير أبى‌طالب، وفى المجلد السابع من الغدير لشيخنا الأمينى ما يروى الغليل.

ولسـيدنا أبى‌طالب (عليه‌السـلام) قصائد وأبيات فى مدح النبى (صـلّى الله عليه وآله) والاعتراف برسالته والتصديق بنبوته، وذكر الشيخ الأمينى فى المجلد السابع من الغدير عن بعض المؤرخين: أن الأبيات التى قالها أبوطالب فى مدح النبى (صـلّى الله عليه وآله) قد بلغت ثلاثة آلاف ونحن نقتطف أبياتاً تصرح بإيمان أبى‌طالب وتفانيه فى نصرة النبى، فقد كتب أبوطالب أبياتاً إلى النجاشـى ملك الحبشة وهى:

ليعلم خيار الناس أن محمداً

وزير كموسى والمسيح بن مريم

أتانا بهدى مثل ما أتنا به

فكل بأمر الله يهدى ويعصم

وقال أيضاً:

ألا أبلغا عنى على ذات بينها

لوَيا وخُصّا من لويِ بنى كعب

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً

رسولاً كموسى خُطّ فى أول الكتب

وقال أيضاً:

يرجون أن نسخى بقتل محمد

ولم تختضب سمر العوالى من الدم

كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا

جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

وقال يخاطب النبى:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسّد فى التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة

وابشر بذاك وقُرّ منك عيونا

ودعوتنى وعلمت أنك ناصحى

ولقد دعوت وكنت ثَم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد

من خير أديان البرية دينا

وقال يمدح النبى:

لقد أكرم الله النبى محمداً

فأكرم خلق الله فى الناس أحمد

وشق له من اسمه ليجله

فذو العرش محمود وهذا محمد [۲۰].

وقال أيضاً:

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً

ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرّع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهُلاك من آل هاشم

فهم عنده فى رحمة وفواضل

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب

لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل

فأيده رب العباد بنصره

وأظهر ديناً حقه غير باطل

وقال أيضاً:

أوصى بنصر نبى الخير أربعة

ابنى علياً وشيخ القوم عباسا

وحمزة الأسد الحامى حقيقته

وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا

كونوا فداءً لكم أمى وما ولدت

فى نصر أحمد دون الناس أتراسا

وقال أيضاً:

إن ابن آمنة النبى محمداً

عندى يفوق منازل الأولا

دراعيت فيه قرابة موصولة

وحفظت فيه وصية الأجداد

وغير ذلك من قصائده وأبياته المفصلة المذكورة فى ديوانه وسجلتها كتب التراجم والتاريخ.

أما تكفى هذه الأحاديث وهذه القصائد أن تكون وثيقة لإيمان أبى‌طالب وإسلامه، وهل الإسلام غير هذا؟ ولو كان جزء من هذه الآثار والمآثر لأبى قحافة والخطاب أو عفان لكانوا أول المسلمين، ولكن أباطالب (عليه‌السلام) بالرغم من تلك المواقف والمواطن التى وقف بها للدفاع عن النبى والمحافظة على حياته فى الشعب وقبله وبعده، وهذه الاعترافات منه بنبوة محمد ورسالته، لا تكفى للدلالة على إسلامه فيقولون: مات أبوطالب مشركاً كافراً.

فليكن كل هذا، فإن هذه الغارات التى تشن على كفيل رسول‌الله وناصره والمحامى عنه إنما هى لأجل ولده على (عليه‌السلام) فإن القوم لم يرضوا أن تكون ساحة نسب على (عليه‌السلام) منزهة عن كفر الجاهلية، ولم تطب نفوسهم أن تكون هذه المفاخر لعلى (عليه‌السلام) وسيعلمون غداً يوم يساقون إلى الحساب عما كتبت أيديهم.

على ليلة المبيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين.

قال الله تعالى: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد). [۲۱].

حديثنا الليلة حول ما قام به على (عليه لسلام) من التضحية والتفادى فى سبيل رسول‌الله والدفاع عنه، ولقد ذكرنا فى الليلة الماضية شيئاً

یسیراً مما قام به أبوه سیدنا أبوطالب (علیه‌السلام) فی الدفاع عن النبی (صلّی الله علیه وآله) والحمایة له.

ومن هذه اللیلة نبدأ بشرح ما قام به علی (علیه‌السلام) من توطین النفس لکل بلاء ومکروه فی سبیل الإسلام، ولقد صدق من قال:

ولولا أبوطالب وابنه

لما مثل الدین شخصاً وقاما

فذاک بمکة آوی وحامی

وهذا بیثرب جس الحماما

فلله ذا فاتحاً للهدی

ولله ذا للمعالی ختاما

فقد خلق الله تعالی علیاً (علیه‌السلام) لیکون أحسن وزیر وأشرف نصیر للرسول وأوفی مدافع وأقوی مجاهد فی سبیل الإسلام، ولقد تحقق الهدف الذی خلق علی (علیه‌السلام) من أجله، وقد ذکرنا نهضته المبارکة یوم الإنذار وإجابته طلب الرسول وتلبیته لندائه، وکانت تلک النهضة فاتحة قیامه وجهاده، إذ تجلت فیها شخصیة علی (علیه‌السلام) وعبقریته، وظهر مدی اعتماده علی الله تعالی وعلی نفسه المتشبعة بالإیمان وقلبه المطمئن بذکر الله.

واستمر الأمر من ذلک الیوم فکأنه فترة التدریب أو الامتحان التمهیدی الذی لا بد منه لکل مصلح منقذ أن یجس نبض المجتمع لیکون علی بصیرة أکثر فینضج فکره بالتجارب لاتخاذ التدابیر اللازمة لمشروعه الذی ینوی القیام به والسیر علی المخطط الذی جعله برنامجاً لحیاته.

ولولا خشیة الافتراء علی علی (علیه‌السلام) لقلت: إن قلب علی (علیه‌السلام) هو أقوی قلب خلقه الله فی صدور البشر، وإن أعصاب علی کانت تستمد القوی من طاقة غیر متناهیة.

وإلا فکیف یمکن للبشر أن لا یدخل الخوف قلبه، ولا تتوتر من الأهوال أعصابه، ولا یخشی من المستقبل المبهم الغامض ولا تستولی علیه الغرائز: غریزة حب الذات، حب الحیاة، الأنانیة وغیرها من الطبائع التی کثیراً ما تحول بین الإنسان وبین ما یرید؟

ومن هذا الحدیث ندرک الشجاعة التی خامرت نفس علی (علیه‌السلام) من صباه: عن أبی‌عبدالله (الصادق) (علیه‌السلام) أنه سئل عن معنی قول طلحة بن أبی‌طلحة لما بارزه علی (علیه‌السلام): یا قضم؟

قال: إن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) کان بمکة لم یجسر علیه أحد لموضع أبی‌طالب، وأغروا به الصبیان وکانوا إذا خرج رسول‌الله یرمونه بالحجارة والتراب، وشکی ذلک إلی علی (علیه‌السلام)، فقال: بأبی أنت وأمی یا رسول الله إذا خرجت فأخرجنی معک.

فخرج رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) ومعه أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) فتعرض الصبیان لرسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) کعادتهم، فحمل علیهم أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام)، وکان یقضمهم فی وجوههم وآنافهم وآذانهم، الصبیان یرجعون باکین إلی آبائهم ویقولون: قضمنا علی (علیه‌السلام) قضمنا علی.

فسمی لذلک: القضم.

ولقد حاول المشرکون وکفار مکة خنق الإسلام والقضاء علی حیاة الرسول (صلّی الله علیه وآله) بشتی الطرق والأسالیب، فکانت حرکاتهم فاشلة، وجاءوا إلی أبی‌طالب وسألوه أن یمنع الرسول عن سب الآلهة!! وإفساد الشبان!! وتسفیه الأحلام! فلم یجدوا التجاوب من أبی‌طالب (علیه‌السلام).

فجعلوا یحاربون النبی حرب الأعصاب، وجاءوا عن طریق التهدید والوعید وإسناد السحر والجنون إلیه، وقذفه بالحجارة وتلویث ثیابه بالدم والأقذار.

وکتبوا الصحیفة القاطعة وقاطعوا بنی هاشم أقسی مقاطعة، کل ذلک لا یزید النبی إلا ثباتاً واستقامة، وخاصة لما نزلت علیه الآیة:

(فاستقم كما أمرت) [۲۲] واستمر الحال على هذا المنوال حتى توفيت السيدة خديجة الكبرى وبعد مدة يسيرة توفى سيدنا أبوطالب، وكانا بمنزلة جناحين لرسول‌الله، وخيمت الأحزان على قلب الرسول حتى سمى تلك السنة (عام الحزن).

وعند ذلك خلا الجو للمشركين، واستضعفوا النبى لفقدان الناصر، وعزموا على اغتيال النبى وقتله، وإليكم التفصيل: اجتمع المشركون فى دار الندوة وتذاكروا حول قتل النبى (صلّى الله عليه وآله) وتقرر أخيراً أن يجتمع من كل قبيلة رجل واحد ويهجموا على النبى (صلّى الله عليه وآله)، ويقتلوه فى بيته، واجتمع أربعون رجلاً من أربعين قبيلة واجتمعوا على باب دار النبى (صلّى الله عليه وآله) ونزل جبرائيل على النبى وأخبره بمكيدة القوم وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة، فأرسل النبى إلى على وقال له: يا على إن الروح هبط على يخبرنى أن قريشاً اجتمعت على المكر بى وقتلى وأنه أوحى إلى عن ربى أن أهجر دار قومى وأن أنطلق إلى غار ثور، تحت ليلتى، وأنه أمرنى أن آمرك بالمبيت على مضجعى لتخفى بمبيتك عليه أثرى فما أنت قائل وصانع؟

فقال على (عليه‌السلام): أوَ تسلمنّ بمبيتى هناك يا نبى الله؟ قال: نعم، فتبسم على (عليه‌السلام) ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لما أنبأه به رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) من سلامته، فكان على (عليه‌السلام) أول من سجد لله شكراً، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمة بعد رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فلما رفع رأسه قال له: امضى لما أمرت، فداك سمعى وبصرى وسويداء قلبى، ومرنى بما شئت أكون فيه كمسرتك وأقع منه بحيث مرادك، وإن توفيقى إلا بالله، وقال النبى (صلّى الله عليه وآله): أو أن ألقى عليك شبهة منى، أو قال: شبهى، قال: أن يمنعونى نعم، قال: فارقد على فراشى واشتمل ببردى الحضرمى، ثم إنى أخبرك يا على أن الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا ابن أم وامتحننى فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم (عليه‌السلام) والذبيح إسماعيل (عليه‌السلام)، فصبراً صبراً، فإن رحمة الله قريب من المحسنين، ثم ضمه النبى (صلّى الله عليه وآله) إلى صدره وبكى إليه وجداً به، وبكى على (عليه‌السلام) جزعاً على فراق رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله).

وفى رواية: قال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) لعلى (عليه‌السلام): أرضيت أن أُطلب فلا أُوجد وتوجد؟ فلعله أن يبادر إليك الجهال فيقتلوك؟ قال: بلى يا رسول‌الله رضيت أن يكون روحى لروحك وقاءً ونفسى لنفسك فداء، بل رضيت أن يكون روحى ونفسى فداء أخ لك أو قريب...

وهل أحب الحياة إلا لخدمتك، والتصرف بين أمرك ونهيك، ولمحبة أوليائك ونصرة أصفيائك ومجاهدة أعدائك.

لولا ذلك لما أحببت أن أعيش فى هذه الدنيا ساعة واحدة.

وقال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): لعلى (عليه‌السلام) فإذا قضيت ما أمرتك من أمر فكن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إلى لقدوم كتابى عليك، ولا تلبث بعده.

فانطلق النبى إلى الغار، ونام على فى مكانه ولبس برده، فجاء قريش يريدون أن يقتلوا النبى (صلّى الله عليه وآله)، فجعلوا يرمون علياً وهم يرون أنه النبى وكان على (عليه‌السلام) يتضور (يتلوى) من الألم ولا يتكلم لئلا يعرفوه، وكان القوم يريدون الهجوم على البيت ليلاً فيمنعهم أبولهب ويقول لهم: يا قوم إن فى هذه الدار نساء بنى هاشم وبناتهم، ولا نأمن أن تقع يد خاطئة إذا وقعت الصيحة عليهن، فيبقى ذلك علينا مسبة وعاراً إلى آخر الدهر فى العرب.

فجلسوا على الباب حتى طلع الفجر، فتواثبوا إلى الدار شاهرين سيوفهم، وقصدوا نحو مضجع النبى ومعهم خالد بن الوليد، فقال لهم أبوجهل: لا تقعوا به وهو نائم لا يشعر، ولكن ارموه بالأحجار لينتبه بها ثم اقتلوه، أيقظوه ليجد ألم القتل، ويرى السيوف تأخذه!! فرموه بأحجار ثقال صائبة، فكشف عن رأسه، وقال: ما شأنكم؟ فعرفوه، فإذا هو على (عليه‌السلام) فقال أبوجهل: أما ترون محمداً كيف أبات هذا ونجا بنفسه لتشتغلوا به؟ وينجو محمد، لا تشتغلوا بعلى المخدوع لينجو بهلاكه محمد، وإلا فما منعه أن يبيت فى موضعه إن كان ربه يمنع عنه كما يزعم.

ثم قالوا: أين محمد؟ قال: أجعلتمونى عليه رقيباً؟ ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم.

فأرادوا أن يضربوه فمنعهم أبولهب، وقالوا لعلى: أنت كنت تخدعنا منذ الليلة (أى بنومك على فراش النبى خدعتنا وظننا أنك محمد) وبقى النبى (صلّى الله عليه وآله) فى الغار ثلاثة أيام وكان على يأتيه بالطعام والشراب وفى رواية: استأجر ثلاث رواحل للنبى ولأبى بكر ولدليلهم.

وخرج النبى بعد ذلك من الغار وتوجه نحو المدينة.

روى الثعلبى فى تفسيره قال: لما أراد النبى (صلّى الله عليه وآله) الهجرة خلف علياً (عليه‌السلام) لقضاء ديونه، ورد الودائع التى كانت عنده وأمر ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، وقال له يا على: اتشح ببردى الحضرمى، ثم نم على فراشى فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله، ففعل ما أمره، فأوحى الله عزوجل إلى جبرائيل وميكائيل: إنى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل منهما الحياة، فأوحى الله عزوجل إليهما: ألا كنتما مثل على بن أبى‌طالب؟ آخيت بينه وبين محمد (صلّى الله عليه وآله) فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل يقول: بخ بخ! من مثلك يا بن أبى‌طالب، يباهى الله بك ملائكته؟؟ فأنزل الله عزوجل على رسوله (صلّى الله عليه وآله) وهو متوجه إلى المدينة فى شأن على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد). [۲۳].

قال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): نزل على جبرائيل صبيحة يوم الغار، فقلت: حبيبى جبرائيل أراك فرحاً، فقال: يا محمد وكيف لا أكون كذلك وقد قرت عينى بما أكرم الله به أخاك ووصيك وإمام أمتك على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام)، فقلت: بماذا أكرمه الله؟ قال: باهى بعبادته البارحة ملائكته، وقال: ملائكتى! انظروا إلى حجتى فى أرضى بعد نبيى وقد بذل نفسه، وعفر خده فى التراب تواضعاً لعظمتى، أشهدكم أنه إمام خلقى ومولى بريتى.

وكان على (عليه‌السلام) يعتز ويفتخر بهذه الموفقية التى نالها من عند الله تعالى فقال شعراً:

وقيت بنفسى خير من وطأ الحصى

ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

محمد لما خاف أن يمكروا به

فوقاه ربى ذو الجلال من المكرو

بتُّ أراعيهم متى ينشروننى

وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

وبات رسول‌الله فى الغار آمناً

هناك وفى حفظ الإله وفى ستر

أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص

قلائص يفرين الحصى أينما تفرى

إن هذا العمل العظيم الذى قام به الإمام العظيم على (عليه‌السلام) وقع من أهل السماوات موقع الإعجاب والإكبار والتقدير، وهذه المواساة هى الفريدة من نوعها فى تاريخ الإسلام بل وفى تاريخ الأنبياء، فلا غرو ولا عجب إذا طأطأ العظماء رؤوسهم إجلالاً لعلى (عليه‌السلام) ونثروا الثناء الجميل نظماً ونثراً، ولم ينحصر التنويه والإشادة بهذه المكرمة بالمسلمين، بل شاركهم من غير المسلمين كل من تطبع بروح الفضيلة وحمل بين جوانح صدره قلباً وعى جزءً من الفتوة والشهامة والنجدة وكل يعمل على شاكلته، وكل إناء بالذى فيه ينضح.

أما من المسلمين فالسيد ابن‌طاووس له كلام لطيف وتحقيق ظريف سنذكره.

وأما من غير المسلمين فأحدهم جورج جرداق الكاتب المعاصر وبولس سلامة فى ملحمة الغدير، ونكتفى هنا بكلام ابن‌طاووس وجورج جرداق وبولس سلامة.

قال السيد ابن‌طاووس فى كتاب الإقبال...

ومن أسرار هذه المهاجرة: أن مولانا علياً (عليه‌السلام) بات على فراش المخاطرة وجاد بمهجته لمالك الدنيا والآخرة ولرسوله (صلّى الله عليه وآله) فاتح أبواب النعم الباطنة والظاهرة، ولولا ذلك المبيت واعتقاد الأعداء أن النائم على الفراش هو سيد الأنبياء (صلّى الله عليه وآله) لما كانوا صبروا عن طلبه إلى النهار حتى وصل إلى الغار، فكانت سلامة صاحب الرسالة من قبل أهل الضلالة صادرة عن تدبير الله جل جلاله بمبيت مولانا على (عليه‌السلام) فى مكانه وآية باهرة لمولانا على (عليه‌السلام) شاهدة بتعظيم شأنه، وأنزل الله جل جلاله فى مقدس قرآنه: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) [۲۴] فأخبر أن لمولانا على (عليه‌السلام) كانت بيعاً لنفسه الشريفة، وطلباً لرضاء الله جل جلاله دون كل مراد، وقد ذكرنا فى الطرائف من روى هذا الحديث من المخالف، ومباهاة الله جل جلاله تلك الليلة بجبرائيل وميكائيل فى بيع مولانا على (عليه‌السلام) بمهجته، وأنه سمح بما لم يسمح به خواص ملائكته.

ومنها: أن الله جل جلاله زاد مولانا علياً (عليه‌السلام) من القوة الإلهية والقدرة الربانية إلى أنه ما قنع له أن يفدى النبى (صلّى الله عليه وآله) بنفسه الشريفة، حتى أمره أن يكون مقيماً بعده فى مكة مهاجراً للأعداء قد هربه منهم وستره بالمبيت على الفراش وغطاه عنهم، وهذا ما لا يحتمله قوة البشر إلا بآيات باهرة من واهب النفع ودافع الضرر.

ومنها: أن الله عزوجل لم يقنع لمولانا على (عليه‌السلام) بهذه الغاية الجليلة حتى زاده من المناقب الجميلة، وجعله أهلاً أن يقيم ثلاثة أيام بمكة لحفظ عيال سيدنا رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله)، وأن يسير بهم ظاهراً على رغم الأعداء وهو وحيد من رجاله، ومن يساعده على ما بلغ من المخاطرة إليه.

ومنها: أن فدية مولانا على (عليه‌السلام) لسيدنا رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) كانت من أسباب التمكين من مهاجرته ومن كل ما جرى من السعادات والعنايات بنبوته، فيكون مولانا على (عليه‌السلام) قد صار من أسباب التمكين من ما جرت حال الرسالة عليه ومشاركاً فى كل خير فعله النبى (صلوات الله عليه)، وبلغ حاله إليه، وقد اقتصرت فى ذكر أسرار المهاجرة الشريفة النبوية على هذه المقامات الدينية، ولو أردت بالله جل جلاله أوردت مجلداً منفرداً فى هذه الحال، ولكن هذا كاف شاف للمنصفين وأهل الإقبال.

وقال الكاتب المسيحى جورج جرداق فى كتابه: (صوت العدالة الإنسانية): أما على بن أبى‌طالب، فما كان أعجب أمره يوم غامر فى سبيل عقيدته التى هى عقيدة محمد بن عبدالله، وفى سبيل الحق ورعاية الشرف والإخاء هذه المغامرة التى لم يعرف التاريخ أجل منها، وأقوى وأدل على وحدة الذات بين عظيم وعظيم.

وإنها لإرادة على التضحية قل أن تجد لها مثيلاً إلا فى الظروف النادرة التى تقف بها النفس الإنسانية الواعية بين حالين من وجود وفناء فى حيز من إدراك معنى الوجود على مثال خاص.

فإما أن تؤثر لهذا الجسد عيشاً يقربه دون ما يحييه من قيم الحياة الصاعدة، فتنكر هذه القيم وتفضل عليها وجوداً هو أشبه بالفناء من حيث أن الوجود حياة تحيا! وإما أن تؤثر لهذا الكيان الإنسانى انصهاراً بكليات القيم دونما نظر إلى وجود عضوى لا يتصل بروح الوجود الفذ، فتأتى هذه القيم سالكاً إليها طريق التهلكة.

وما فناؤك آنذاك إلا دليل على أن الوجود إنما هو لديك حياة تحيا لا عيش يعاش!

أجل، إنها لتضحية قل أن تجد لها مثيلاً إلا فى اختيار سقراط للموت وفى مسلك غيره من السقارطة، تضحية على بن أبى‌طالب يفدى النبى بنفسه راضياً مختاراً على صورة أهون منها على لقاء الموت فى ساحة القتال، أو على شفاه قمقم السم! فما أصعب على المرء أن

يأخذ مكان رجل حكم عليه المجرمون بالقتل.

وأن يرقد فى فراشه فلا يخطئه هؤلاء إذا دخلت إرادتهم طور التنفيذ وهم منه على خطوات ينظرون إليه ويسمع إليهم.

ثم إنه يترقب بين حين وحين رؤية أنظارهم تتوامض بالغدر تحت عينيه، وسيوفهم تتلامع بالموت فوق رأسه، طوال ليلة كاملة!

لقد كان على بمغامرته هذه استمراراً لمحمد.

وكانت تضحيته من روح المقاومة التى عرف بها ابن عمه العظيم، وكان مبيته فى فراش النبى تزكية للدعوة وحافزاً على الجهاد الطويل! ثم إن فى هذه المغامرة ما يوجز الحقيقة عن الإمام وطباعه ومزاجه، فإذا هى صادرة عنه كما تصدر الأشياء عن معادنها دون تكلف ودون إجهاد.

ففيها نموه الذهنى المبكر الذى جعله يدرك من الدعوة التى يدق فهمها فهماً صحيحاً على من كان فى مثل سنه.

وفيها زهده بالحياة إذا لم تكن عمراً لمكارم الأخلاق.

وفيها صدقه المر وإخلاصه العجيب.

وفيها عدله بين نفسه وبين سواه من أهل الجهاد وما يتوخاه بذلك من نصرة للمظلومين والمستضعفين إذا قتل هو ونجحت الرسالة على يدى صاحب الهجرة.

وفيها مواجهته للأمور بسماحة وبساطة لا يعرف معهما إلى الكلفة سبيلاً.

وفيها المروءة والوفاء والطيبة والشجاعة وسائر صفات الفروسية التى يمثلها على بن أبى‌طالب.

بل قل هى شىء من استشهاده المقبل وقال الأستاذ بولس سلامة فى ملحمة الغدير:

هزه الشوق للنبى فشد

العزم يهفو إلى جماع المآثر

فى رمال الصحراء يسرى وحيداً

مقفر الكف أعوزته الأباعر

صابر فى العذاب والجوع حتى

عجب القفر من تقشف صابر

إلى أن يقول:

لا فراش سوى الثرى، لا غطاء

لا ضياء سوى النجوم الزواهر

فيناجى السهى يصعد فى الأج

واء طرفاً يشق ستر الدياجر

إن هذا الصمت الرهيب لقدس

يغسل المرء بالعذاب الصاهرفا

لخطوب الجسام والألم الممـ

ـدود وحى مطهر للضمائر

فإذا كان طاهراً كعلى

شد لله قلبه بأواصر

يذكر الله بكرة وعشيا

ویصلی فی کل ومضة خاطر

فالمناجاة والصلاة عطور

تتعالی إلی السماء مباخر

یا رمال الصحراء هذا علی

فاملئی الدرب والضفاف أزاهر

هو بعد النبی أشرف ظل

لاح فی السبسب الخلی مهاجر

حملی أجنح الأثیر نسیماً

من جفون الأسحار ریان عاطروا

بسطی حوله الزنابق فرشاً

وانشری فوقه الغمام مقاصر

علی والهجرة

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله وصلی الله علی سید أنبیاء الله محمد وآله سادات أولیاء الله.

ومن کلام لإمامنا أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام): (أما إنه سیظهر علیکم بعدی رجل رحب البلعوم مندحق البطن یأکل ما یجد ویطلب ما لا یجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سیأمرکم بسبی والبراءة منی.

فأما السب فسبونی فإنه لی زکاة ولکم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا منی فإنی ولدت علی الفطرة وسبقت إلی الإیمان والهجرة).

هذه الجملات تجدونها فی أکثر کتب الحدیث وخصوصاً فی کتاب نهج‌البلاغة فی ضمن خطب الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام).

أخبر الإمام الناس باستیلاء معاویة علی رقاب المسلمین، وذکر صفة من رذائله وهی کثرة الأکل وعدم الشبع لأن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) دعا علیه بقوله: (لا أشبع الله بطنه).

ولسنا الآن فی مقام التحدث عن معاویة ونفسیاته وإنما نقتطف من هذه الجملات جملة واحدة، ونجعلها محور حدیثنا اللیلة، وهی قوله (علیه‌السلام): (سبقت إلی الإیمان والهجرة) أما السبق إلی الإسلام والإیمان فقد مضی الکلام عنه، وأما السبق إلی الهجرة، فلیس المقصود من الهجرة الانتقال من بلد إلی آخر، ولا یعد هذا فضیلة، فما أکثر المهاجرین! ولعل المقصود من الهجرة هو ترک الوطن وکل ما فیه لله وفی الله، وقد قال تعالی: (ومن یخرج من بیته مهاجراً إلی الله ورسوله ثم یدرکه الموت فقد وقع أجره علی الله) [۲۵] وهذه الآیة فی شأن المجاهدین الذین یقتلون فی سبیل الله والحجاج الذین یموتون فی طریق الحج.

والله تعالی یفضل المهاجرین علی غیرهم لأنهم ترکوا کل ما کانوا یملکون من المال والأهل والولد لأجل المحافظة علی دینهم والتخلص من المشرکین الذین کانوا یحاربون المسلمین أشد محاربة.

وعلی (علیه‌السلام) سبق المسلمین إلی الهجرة، وقد اتفق المؤرخون وأجمعوا علی أن علیاً هو أول من التحق بالرسول وهو فی المدینة وذلک بعد أن رد الودائع والأمانات إلی أهلها وعزم علی الخروج من مکة إلی المدینة، وقد ذکر المؤرخون: أن أبابکر هاجر مع النبی من الغار إلی المدینة فیمکن لنا أن نقول: أن خطاب علی (علیه‌السلام) کان موجهاً إلی الناس المخاطبین فی ذلک الیوم ولیس فیهم أبوبکر، وعلی سبق المسلمین إلی الهجرة، ویمکن أن نناقش فی خروج أبی‌بکر مع النبی بأنه لم یقصد الهجرة أی ترک مکة وما فیها وإنما خرج مداراة ومجاراة وصحبة مع النبی وسایره حتی وصل إلی قباء خارج المدینة.

وعلى خرج من مكة بهذا القصد، وترك وراءه كل شيء، فيصح أن يقال عنه: إنه أول المهاجرين على الإطلاق، ويمكن أن يكون المقصود الهجرة إلى الدين كما قال تعالى عن لسان لوط: (إني مهاجر إلى ربي) [۲۶] وأما كيفية هجرة على (عليه‌السلام) من مكة إلى المدينة فقد رواها المحدثون بهذه الكيفية: كتب رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إلى على بن أبي‌طالب (عليه‌السلام) كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه، وقلة التلوم، وكان الرسول بعث إليه أباواقد الليثي، فلما أتاه كتاب رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) تهيأ للخروج والهجرة.

قال ابن‌شهر آشوب: واستخلفه الرسول (صلّى الله عليه وآله) لرد الودائع، لأنه كان أميناً، فلما أداها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصية؟ هل من عدة له قبل رسول‌الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي.

وقال ابن‌شهر آشوب أيضاً: أمره النبي أن يؤدي عنه كل دين وكل وديعة وأوصى إليه بقضاء ديونه، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا ويتخففوا إذا ملأ الليل بطن كل واد إلى ذوى طوى، وخرج على (عليه‌السلام) بفاطمة (عليهاالسلام) بنت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وقد قيل: هي ضباعة، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله)، وأبوواقد رسول رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال على (عليه‌السلام): ارفق بالنسوة أباواقد! إنهن من الضعائف، قال: إني أخاف أن يدركنا الطالب أو قال: الطلب فقال على (عليه‌السلام): أربع عليك، فإن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) قال لي: يا على إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه، ثم جعل يعنى علياً (عليه‌السلام) يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلى الله فارفع ظنكا

يكفيك رب الناس ما أهمكا

وسار، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب سبع فوارس من قريش مستلئمين وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحا، فأقبل على (عليه‌السلام) على أيمن وأبي‌واقد وقد ترأى القوم فقال لهما: أنيخا الإبل وأعقلاها.

وتقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم على (عليه‌السلام) منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة، ارجع لا أبالك، قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لنرجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك.

ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوروها، فحال على (عليه‌السلام) بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ على (عليه‌السلام) عن ضربته، وتختله على (عليه‌السلام) فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كاثبة فرسه، فكان على (عليه‌السلام) يشد على قدمه شد الفرس، أو الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد

آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه، فقالوا له: اغن عنا نفسك يا ابن أبي‌طالب، قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) بيثرب، فمن سره أن أفرى لحمه وأهريق دمه فليتبعني، أو فليدن مني، ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي‌واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما، ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فتلوم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله)، فلبثوا هناك هو والفواطم: أمه فاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وفاطمة (عليهاالسلام) بنت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وفاطمة بنت الزبير يصلون لله ليلتهم ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى على (عليه‌السلام) بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه، فجعل وهم يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزوجل ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً) [۲۷] إلى قوله: (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو

أنثى). [۲۸].

ولما نزل الرسول (صلّى الله عليه وآله) بقباء خارج المدينة بقى ينتظر قدوم على (عليه‌السلام)، فقال له أبوبكر: انهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علياً، فما أظنه يقدم إليك إلى شهر، فقال له رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): كلا، ما أسرعه.

ولست أريم حتى يقدم ابن عمى وأخى فى الله عزوجل وأحب أهل بيتى إلى فقد وقانى بنفسه من المشركين فبقى النبى (صلّى الله عليه وآله) خمسة عشر يوماً فوافى على بعياله وقد تفطرت قدماه فاعتنقه النبى وبكى رحمة لما بقدميه من الورم.

وتفل فى يديه وأمرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك أبداً.

اقتران النورين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على رسول‌الله وعلى آله آل الله.

قال الله تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم). [۲۹].

النكاح من سنن الله تعالى فى عباده، والمقصود منه التناسل والتكاثر تحت ظل القانون الإلهى، وليس الهدف منه إشباع الغريزة الجنسية فقط بل هو فى ضمنه وإنما هو كالحصن يحفظ الإنسان من فساد الخلاعة وويلات الفجور.

والهدف الأسمى من النكاح هو: تأسيس بيت عائلى لتكوين جيل يربط الوالدين بتقبل المسؤوليات التى يتطلبها الجيل من بدو إيجاده إلى أن يقطع أدوار الحياة، وأطوارها من جنين ووليد ورضيع وفطيم وصبى وغلام ومراهق وشاب ويافع، أو بنت وشابة وفتاة وامرأة.

فالنسل بحاجة ماسة فى أدواره إلى الكفيل والمربى والمنفق والمؤدب والولى، إلى جانب حاجته إلى الرضاعة والحضانة والتربية والعناية والخدمة وتأمين لوازم الحياة من المأكل والملبس والمسكن والتعليم وما شابه ذلك.

ولا يندفع أحد إلى تحمل هذه المسؤوليات كما يندفع الوالدان، ولا أظن أنى أحتاج فى هذا البحث إلى إقامة الدليل والبرهان.

فهل تكون المرضعة كالأم؟، وهل الموظفات فى دور الحضانة والروضات يسهرن الليالى للطفل المريض كما تسهر الأم الحنون؟؟ وقد قيل: ليست الثكلى كالمستأجرة، فهناك فرق كبير وبون شاسع بين من يندفع للعناية والرعاية بالأطفال بدافع الأبوة والعاطفة والمحبة التى لا يكدرها شىء، وبين من يتحمل مسؤولية بدافع الراتب والوظيفة.

وإدراك أهمية هذا الموقف كثيراً ما يحول بين الوالدين وبين إجابة رغبات الأولاد وتحقيق هواياتهم التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، فالارتباط بالعائلة يدفع الإنسان إلى التفكير حول تأمين حياته والخوض فى معركة العمل المثمر والإنتاج المفيد، وفى الوقت نفسه يردعه عن كل مجازفة تهدد كيانه وحريته وتعرقل عليه المساعى كالإقدام على جريمة القتل أو ارتكاب الجنايات التى تؤدى إلى شقاء الوالدين.

وإن هذه الأحزاب والمبادئ التى استولت على الشباب واستنزفت منهم كل نشاط وطاقة لم تنجح إلا بعد أن تقهقرت سنة الزواج بين المسلمين، وكثر عدد العزاب والبطالين الذين لا تربطهم بالحياة البيتية والعائلية أية رابطة أو مسؤولية، ولعل الحديث المروى عن الإمام الصادق (عليه‌السلام) يشير إلى هذا الموضوع حيث قال (عليه‌السلام): من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله فى النصف الآخر.

هذا والبحث طويل والكلام يحتاج إلى تفصيل، وقد ذكرنا هذه المقدمة لحديثنا العذب فى هذه الليلة.

العراقيل والمشاكل التى سدت على شبابنا طرق الزواج وجعلتهم يهابون النكاح ولا يهابون السفاح، ويفضلون الكبت والضغط (على غرائزهم) أو يرجحون الفساد والمجون على انتخاب زوجة تشاركهم حلو الحياة ومرها وأفراحها وأتراحها.

هذه العراقيل كانت موجودة فى الجاهلية ولكن بصورة أخرى.

كغلاء المهر والعصبيات القبلية وما شاكلها، فتكونت عندهم الأزمات بجميع أقسامها، واشتدت الحالة حتى أدت إلى دفن البنات وهن فى قيد الحياة، قال تعالى: (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) [۳۰] وقال عزوجل: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون). [۳۱].

فكان من جملة الخطوات الإصلاحية التى قام بها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) هو القضاء على هذه العادات الجهنمية والتقاليد الجاهلية، وإلى هذه الناحية أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم). [۳۲].

ولم يكتف الرسول الأقدس (صلّى الله عليه وآله) بمكافحة هذه السيئات ن طريق اللسان، فالكلام وحده لا يجدى، وإنما قام الرسول بفكك هذه الأغلال عن طريق العمل.

فمن جملة ذلك: أنه زوج ابنته الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليهاالسلام) بأبسط ما يمكن، وتجسم التساهل فى ذلك الزواج المبارك بخفة المؤونة وانتهاء الأمر بكل بساطة بعيداً عن التكاليف المجهدة المتعبة التى يفر من شبحها الشباب المغلول بسلاسل التقاليد ويفضل العزوبة على الزواج المقرون بالمشاكل، وإليكم الواقعة:

لما أدركت فاطمة بنت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة فى الإسلام، والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أعرض عنه رسول‌الله بوجهه، حتى كان الرجل منهم يظن فى نفسه أن رسول‌الله فيه وحى من السماء.

ولقد خطبها من رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أبوبكر، فقال له رسول‌الله: أمرها إلى ربها، وخطبها بعد أبى‌بكر عمر بن الخطاب، فقال له رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) كمقالته لأبى‌بكر.

فجاء أبوبكر وسعد بن معاد إلى على (عليه‌السلام) وهو خارج المدينة يسقى نخلاً له، وسألاه عما يمنعه عن خطبة فاطمة (عليهاالسلام) فقال لهما على: ما يمنعنى إلا الحياء وقلة ذات اليد (المال) فقال له سعد: اذهب إلى رسول الله واخطب منه فاطمة، فإنه يزوجك، والله ما أرى رسول‌الله يحبسها إلا عليك.

فقال على: فأقول ماذا؟ فقال سعد: تقول: جئت خاطباً إلى الله ورسوله فاطمة بنت محمد.

فأقبل على (عليه‌السلام) يقصد دار النبى، وهبط جبرائيل على الرسول وأخبره بمجيء على، وكان رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فى دار أمسلمة، فدق على الباب، فقالت أم سلمة: من بالباب؟ فقال لها الرسول من قبل أن يقول على: أنا: قومى يا أمسلمة فافتحى له الباب، ومريه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما.

فقالت أمسلمة: فداك أبى وأمى، ومن هذا الذى تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟ فقال: مه يا أمسلمة، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق [۳۳] هذا أخى وابن عمى وأحب الخلق إلى.

فقامت أمسلمة وفتحت الباب وإذا هو على بن أبى‌طالب قالت أمسلمة: والله ما دخل حين فتحت الباب حتى علم أنى رجعت إلى خدرى، ثم دخل على رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: السلام عليك يا رسول‌الله ورحمة الله وبركاته.

فقال النبى: وعليك السلام اجلس.

فجلس على، وجعل ينظر إلى الأرض، كأنه قصد لحاجة وهو يستحى أن يبديها، فهو مطرق إلى الأرض حياء من رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقال النبى: إنى أرى أنك أتيت لحاجة، فقل ما حاجتك؟ وأبد ما فى نفسك فكل حاجة لك مقضية.

فقال على (عليه‌السلام): فداك أبى وأمى، إنك لتعلم أنك أخذتنى من عمك أبى‌طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبى، فغذيتنى بغذائك وأدبتنى بأدبك، فكنت إلى أفضل من أبى‌طالب ومن فاطمة بنت أسد فى البر والشفقة، وأن الله تعالى هدانى بك وعلى

یدیک وأنت (والله) یا رسول‌الله ذخری وذخیرتی فی الدنیا والآخرة.

یا رسول‌الله: فقد أحببت مع ما شد الله من عضدی بک أن یکون لی بیت وأن یکون لی زوجة أسکن إلیها، وقد أتیتک خاطباً راغباً، أخطب إلیک ابنتک فاطمة! فهل أنت مزوجی یا رسول‌الله؟ فتهلل وجه رسول‌الله فرحاً وسروراً، ثم تبسم فی وجه علی وقال: فهل معک شیء أزوجک به؟ فقال علی: فداک أبی وأمی، والله ما یخفی علیک من أمری شیء، أملک سیفی ودرعی وناضحی (البعیر الذی یحمل علیه الماء) وما لی شیء غیر هذا.

فقال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): یا علی أما سیفک فلا غنی بک عنه، تجاهد به فی سبیل الله وتقاتل به أعداء الله.

وناضحک تنضح به علی نخلک وأهلک، وتحمل علیه رحلک فی سفرک ولکنی قد زوجتک بالدرع، ورضیت بها منک.

یا علی أبشرک؟.

فقال: نعم فداک أبی وأمی، بشرنی فإنک لم تزل میمون النقیبة، مبارک الطائر، رشید الأمر، صلی الله علیک.

فقال (صلّی الله علیه وآله): ابشر فإن الله قد زوجکها فی السماء من قبل أن أزوجک فی الأرض.. إلی آخر کلامه.

ثم قال: یا علی إنه قد ذکرها قبلک رجال فذکرت ذلک لها فرأیت الکراهة فی وجهها ولکن علی رسلک حتی أخرج إلیک فدخل علیها فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعلیه وأتته بالوضوء فوضئته بیدها وغسلت رجلیه ثم قعدت فقال لها: یا فاطمة فقالت: لبیک ما حاجتک یا رسول‌الله؟ قال: إن علی بن أبی‌طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه وإنی قد سألت ربی أن یزوجک خیر خلقه وأحبهم إلیه وقد ذکر عن أمرک شیئاً فما ترین؟ فسکتت ولم تول وجهها ولم یر فیها رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) کراهة، فقام وهو یقول: الله أکبر، سکوتها إقرارها، فمضی علی إلی المسجد، وجاء رسول‌الله فی أثره، وفی المسجد المهاجرون والأنصار، فصعد رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) علی درجة من المنبر، فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال: معاشر المسلمین إن جبرائیل أتانی آنفاً فأخبرنی عن ربی عزوجل أنه جمع الملائکة عند البیت المعمور وأنه أشهدهم جمیعاً أنه زوج أمته فاطمة بنت رسول‌الله من عبده علی بن أبی‌طالب، وأمرنی أن أزوجه فی الأرض وأشهدکم علی ذلک، ثم جلس وقال لعلی: قم یا أباالحسن فاخطب أنت لنفسک: فقام وحمد الله وأثنی علیه وصلی علی النبی (صلّی الله علیه وآله) وقال: الحمد لله شکراً لأنعمه وأیادیه، ولا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضیه، وصلی الله علی محمد صلاة تزلفه وتحظیه، والنکاح مما أمر الله عزوجل به ورضیه، ومجلسنا هذا مما قضاه الله وأذن فیه، وقد زوجنی رسول‌الله ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعی هذا وقد رضیت بذلک فاسألوه واشهدوا.

فقال المسلمون لرسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): زوجته یا رسول‌الله؟ فقال: نعم.فقالوا بارک الله لهما شملهما.

وانصرف رسول‌الله إلی أزواجه وأقبل فقال: یا علی انطلق الآن فبع درعک وائتنی بثمنه حتی أهیئ لک ولابنتی فاطمة ما یصلحکما قال علی: فانطلقت فبعته بأربعمائة درهم سود هجریة وقیل بأربعمائة وثمانین أو خمسمائة من عثمان بن عفان فلما قبضت الدراهم أقبلت إلی رسول‌الله وطرحت الدراهم بین یدیه، فدعا رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) بأبی‌بکر فدفعها إلیه وقال: اشتر بهذه الدراهم لابنتی ما یصلح لها فی بیتها، وبعث معه سلمان وبلالاً لیعیناه علی حمل ما یشتریه، قال أبوبکر: أحصیت الدراهم التی أعطانیها ثلاثة وستین درهماً فانطلقت واشتریت فراشاً من خیش مصر محشواً بالصوف، ونطعاً من أدم، ووسادة من أدم حشوها من لیف النخل، وعباءة خیبریة، وقربة للماء، وکیزاناً، وجراراً، ومطهرة للماء، وستر صوف، رقیقاً وحملناه جمیعاً حتی وضعناه بین یدی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فلما نظر إلیه بکی، وجرت دموعه ثم رفع رأسه إلی السماء وقال: اللهم بارک لقوم جل آنیتهم الخزف! قال علی: ودفع رسول‌الله باقی ثمن الدرع إلی أم‌سلمة فقال: اترکی هذه الدراهم عندک.

ومکثت بعد ذلک شهراً لا أعاود رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فی أمر فاطمة بشیء استحیاء من رسول‌الله غیر أنی کنت إذا خلوت برسول‌الله یقول لی: یا أباالحسن ما زوجتک سیدة نساء العالمین.

قال علی: فلما کان بعد شهر دخل علی أخی عقیل بن أبی‌طالب فقال: یا أخی ما فرحت بشیء کفرحی بتزویجک فاطمة بنت محمد

(صلّی الله علیه وآله)، یا أخی فما بالک لا تسأل رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یدخلها علیک فتقر عیناً باجتماع شملکما؟ قال علی: والله یا أخی إنی لأحب ذلک وما یمنعنی من مسألته إلا الحیاء منه، فقال: أقسمت علیک إلا قمت معی.

فقمنا نرید رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فلقیتنا فی طریقنا أم أیمن مولاة رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فذکرنا ذلک لها فقالت لا تفعل ودعنا نحن نکلمه، فإن کلام النساء فی هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال.

ثم انثنت راجعة فدخلت علی أم‌سلمة فأعلمتها بذلک وأعلمت نساء النبی فاجتمعن عند رسول‌الله وکان فی بیته عائشة فأحدقن به وقلن: فدیناک بآبائنا وأمهاتنا یا رسول‌الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خدیجة فی الأحیاء لقرت بذلک عینها.

قالت أم‌سلمة: فلما ذکرنا خدیجة بکی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) ثم قال: خدیجة! وأین مثل خدیجة؟ صدقتنی حین کذبنی الناس وآزرتنی علی دین الله وأعانتنی علیه بمالها!! إن الله عزوجل أمرنی أن أبشر خدیجة ببیت فی الجنة من قصب الزمرد، لا صخب فیه ولا نصب.

قالت أم‌سلمة فقلنا: فدیناک بآبائنا وأمهاتنا یا رسول‌الله إنک لم تذکر من خدیجة أمراً إلا وقد کانت کذلک، غیر أنها قد مضت إلی ربها فهنأها الله بذلک وجمع بیننا وبینها فی درجات جنته ورضوانه ورحمته، یا رسول‌الله وهذا أخوک فی الدنیا وابن عمک فی النسب علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) یحب أن تدخل علیه زوجته فاطمة تجمع بها شمله.

فقال: یا أم‌سلمة فما بال علی لا یسألنی ذلک؟ فقلت: الحیاء منک یا رسول‌الله.

قالت أم‌أیمن: فقال لی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): انطلقی إلی علی فآتینی به، فخرجت من عند رسول‌الله، فإذا علی ینتظرنی، لیسألنی عن جواب رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله)، وحضر علی (علیه‌السلام) عند رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله).

فقال له رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): هیئ منزلاً حتی تحول فاطمة إلیه، فقال علی (علیه‌السلام): یا رسول‌الله ما هاهنا منزل إلا منزل حارثة بن النعمان وکان لفاطمة (علیهاالسلام) یوم بنی بها أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) تسع سنین، فقال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): والله لقد استحینا من حارثة بن النعمان قد أخذنا عامة منازله.

فبلغ ذلک حارثة فجاء إلی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فقال: یا رسول‌الله أنا ومالی لله ولرسوله، والله ما شیء أحب إلی مما تأخذه والذی تأخذه أحب إلی مما تترکه، فجزاه رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) خیراً، فحولت فاطمة إلی علی (علیه‌السلام) فی منزل حارثة، وبسطوا فی بیت علی کثیباً (الرمل)، ونصبوا عوداً یوضع علیه السقاء (القربة) وستروه بکساء ونصبوا خشبة من حائط إلی حائط للثیاب وبسط جلد کبش ومخدة لیف.

فقال النبی (صلّی الله علیه وآله): یا علی اصنع لأهلک طعاماً فاضلاً، فجاء أصحابه بالهدایا، فأمر النبی فطحن البر (الحنطة) وخبز، وذبح الکبش واشتری علی تمراً وسمناً، وأقبل رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وحسر عن ذراعیه، وجعل یشدخ التمر فی السمن فقال النبی: یا علی ادع من أحببت.

قال علی: فأتیت المسجد وهو غاص بالناس، فنادیت: أجیبوا إلی ولیمة فاطمة بنت محمد، فأجابوا من النخلات والزروع، وأقبل الناس إرسالاً ـ وهم أکثر من أربعة آلاف رجل، وساير نساء المدینة، ورفعوا منها ما أرادوا، ولم ینقص من الطعام شیء، ثم دعا رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) بالصحاف (الأوانی) فملئت، ووجه بها إلی منازل أزواجه ثم أخذ صحفة، وقال: هذه لفاطمة وبعلها.

(عن ابن‌بابویه): أمر النبی (صلّی الله علیه وآله) بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرین والأنصار أن یمضین فی صحبة فاطمة سلام الله علیها وأن یفرحن ویرجزن ویکبرن ویحمدن ولا یقولن ما لا یرضی الله.

قال جابر: فأرکبها علی ناقته وفی روایة علی بغلته الشهباء وأخذ سلمان زمامها والنبی وحمزة وعقیل وجعفر وأهل البیت یمشون خلفها مشهرین سیوفهم ونساء النبی (صلّی الله علیه وآله) قدامها یرجزن، فأنشأت أم‌سلمة تقول:

سرن بعون الله جاراتی

واشکرنه فی کل حالات

واذکرن ما أنعم رب العلا

من کشف مکروه وآفات

فقد هدانا بعد کفر وقد

أنعشنا رب السماوات

وسرن مع خیر نساء الوری

تفدی بعمات وخالات

یا بنت من فضله ذو العلا

بالوحی منه والرسالات

وقالت عائشة:

یا نسوة استترن بالمعاجر

واذکرن ما یحسن فی المحاضر

واذکرن رب الناس إذ یخصنا

بدینه مع کل عبد شاکر

والحمد لله علی أفضاله

والشکر لله العزیز القادر

سرن بها فالله أعطی ذکرها

وخصها منه بطهر طاهر

وقالت حفصة:

فاطمة خیر نساء البشر

ومن لها وجه کوجه القمر

فضلک الله علی کل الوری

بفضل من خص بآی الزمر

زوجک الله فتی فاضلاً

أعنی علیاً خیر من فی الحضر

فسرن جاراتی بها فإنها

کریمة بنت عظیم الخطر

وقالت معاذة أم سعد بن معاذ:

أقول قولاً فیه ما فیه

وأذکر الخیر وأبدیه

محمد خیر بنی آدم

ما فیه من کبر ولا تیه

بفضله عرفنا رشدنا

فالله بالخير يجازيه

ونحن مع بنت نبى الهدى

ذى شرف قد مكنت فيه

فى ذروة شامخة أصلها

فما أرى شيئاً يدانيه

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز ثم يكبرن ودخلن الدار ثم أنفذ رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إلى على (عليه‌السلام) ثم دعا فاطمة سلام الله عليها فأخذ يدها ووضعها فى يده وقال: بارك الله فى ابنة رسول‌الله.

يا على: نعم الزوجة فاطمة ويا فاطمة نعم الزوج على، ثم قال: يا على هذه فاطمة وديعتى عندك، ثم قال النبى (صلّى الله عليه وآله): اللهم اجمع شملهما، وألف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل فى ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك، اللهم إنهما أحب خلقك إلى، فأحبهما واجعل عليهما منك حافظاً وإنى أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم.

ثم خرج إلى الباب وهو يقول: طهركما وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله، وأستخلفه عليكما.

وباتت أسماء عندهما فى البيت، وأصبح الصباح، وجاء رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إلى زيارة العروسين، وقال: السلام عليكما، أأدخل؟ ففتحت أسماء الباب فدخل النبى، فسأل علياً (عليه‌السلام): كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله، وسأل فاطمة فقالت: خير بعل، وجاء النبى بعس (قدح) فيه لبن فقال لفاطمة: اشربى فداك أبوك، وقال لعلى: اشرب فداك ابن عمك.

ثم قال (صلّى الله عليه وآله): يا على آتينى بكوز من ماء، فجاء على بكوز من ماء فتفل فيه ثلاثاً، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى ثم قال: يا على اشربه، واترك فيه قليلاً ففعل على ذلك.

فرش النبى (صلّى الله عليه وآله) باقى الماء على رأسه وصدره، ثم قال: أذهب الله عنك الرجس يا على وطهرك تطهيراً.

وأمره بالخروج من البيت وخلى بابنته فاطمة وقال: كيف أنت يا بنية؟ وكيف رأيت زوجك؟ قالت: يا أبه خير زوج إلا أنه دخل على نساء من قريش وقلن لى: زوجك رسول‌الله من فقير لا مال له.

فقال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يا بنية ما أبوك بفقير، ولا بعلك بفقير.

ولقد عرضت على خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربى عزوجل، يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمحت الدنيا فى عينيك، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً، إنى زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً، يا بنية إن الله عزوجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك.

يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصى له أمراً. [۳۴].

على والجهاد

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وصلى الله على سيد العرب والعجم محمد وآله أهل الجود والكرم.

قال الله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) [۳۵] الآية.

الإسلام هو الدين الوحيد الذى يحافظ على الأمن والسلام، وهو الذى يحافظ على النفوس والأموال والحقوق أكثر من أى دين آخر، وأبغض شىء عند الإسلام هو إراقة دماء البشر وسلبهم نعمة الحياة بغير حق، ولكن الشرع والعقل والقانون يسمح بإراقة دم كل من يقف حجر عثرة فى سبيل إسعاد أبناء البشر.

مثلاً: بلدة ليس فيها طبيب ولا دواء، وقد انتشرت فيهم الأمراض وأخذت منهم كل مأخذ، فجاء طبيب يداوى المرضى ويهب لهم الدواء مجاناً وبلا عوض، ويصلح كل ما فسد منهم ويعيد إليهم ما فقدوه من الصحة والعافية والسلامة ليعيشوا سعداء أصحاء.

وإذا بجماعة يحولون بين الطبيب وبين تداوى الناس ويحاربونه بكل ما لديهم من قوة ليحطوا من نشاط الطبيب، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وكلما صاح فيهم الطبيب وصرخ وذكر لهم الهدف الذى يبتغيه لأجلهم وهو الخير ازدادوا عناداً، وجعلوا يهددون المرضى الذين قد تحسنت صحتهم ولمسوا العافية من نصائح الطبيب بالوعيد، وكأن هؤلاء لا يعجبهم أن يروا السلامة والصحة تخيمان على رؤوس المرضى.

أليس العقل يحكم على هؤلاء المهرجين بالإعدام؟ أليس هؤلاء أضر على البشر من الحيوانات المفترسة؟ أليس هؤلاء أشد خطراً من الأمراض الفتاكة التى تهدد البشر بالفناء؟ فالمريض هو المجتمع الجاهلى الفاسد، والطبيب هو الرسول، والمهرجون هم المناوئون للرسول، على هذا أمر الإسلام بجهاد المشركين والكفار الذين حاربوا رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يوم كان فى مكة وهجموا عليه ليقتلوه وكفاه الله شرهم، واضطر النبى أن يترك مسقط رأسه ويهاجر من وطنه كى يستطيع الاستمرار فى الدعوة إلى مبدئه وإذا بالأعداء يطاردونه، وتتحزب الأحزاب ضده، ويستعين بعضهم ببعض للقضاء على الرسول ومبدئه وعلى كل من اعتنق ذلك الدين الذى اعتبروه ديناً جديداً.

ولابد للرسول الأعظم أن يقف أمام هؤلاء للدفاع عن نفسه ومبدئه فهو بحاجة ماسة إلى الأنصار والأعوان ليقاوم بهم الأعداء الألداء، وهم الأنصار أصحابه الذين أسلموا على يديه وهاجروا من مكة، وفيهم الشيوخ والكهول والشبان والمراهقون، وقد امتلأوا حباً للإسلام وتسلحوا بسلاح الإيمان الذى هو أقوى سلاح.

ولكن غريزة حب الحياة ما فارقتهم فى بدء الأمر، فمن الصعب المستصعب عليهم أن يخوضوا غمار الموت، ويستقبلوا السيوف والرماح وخاصة وهم الأقلون عدداً وعدة، وعدوهم هو الأكثر عدداً وعدة.

وقعت الحرب الأولى للمسلمين فى منطقة بين المدينة ومكة يقال لها: (بدر) فقد خرج الرسول بجيشه إلى ذلك الموضع واستقبل المشركين الذين قصدوه من مكة، وفى بدر التقى العسكران وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وعدد المشركين بين التسعمائة والألف وقد اجتمع مشركو مكة وكفارها، وفيهم أقطاب الشرك كأبى‌جهل وأبى‌سفيان، وهم يزعمون أن الغلبة لهم والنصر والظفر من نصيبهم، ولكن الله أراد شيئاً آخر، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله.

وكان على (عليه‌السلام) له الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الشجاعة ومقاتلة الأبطال ومنازلة الشجعان، ولا أقصد من كلمتى هذه أن علياً كان سفاكاً للدماء، بل المقصود: أن إيمان على (عليه‌السلام) بالله كان فوق كل غريزة وكل اتجاه، مع العلم أنه كان يومذاك فى ريعان الشباب، والشاب أكثر تعلقاً بالحياة من الشيخ الذى قضى وطره فى حياة الدنيا، مع ذلك لم يكن على (عليه‌السلام) يعرف للخوف معنى، ولا للجبن مفهوماً فى نفسه، بل كان يستقبل الموت برحابة صدر ويهرول فى الحرب جانب العدو كأنه يقصد شيئاً يحبه حتى أجمع المسلمون وغير المسلمين أن علياً أشجع العرب والعجم، ولم يشهد التاريخ له مثيلاً ونظيراً فضلاً من أن يرى أشجع منه.

وهذه نبذة من غزوات الرسول (صلّى الله عليه وآله) التى حضرها الإمام.

وكان نصيبه من الجهد والعناء أكثر من غيره، ولم يسلم على من سهام العدو وسيوفهم، بل كانت الجراحات تأخذ من مقاديم بدنه كل مأخذ، ولولا حفظ الله وعنايته لكان على من المقتولين فى تلك الحروب.

قال ابن أبى‌الحديد: وأما الجهاد فى سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له؟ وقد

عرفت أن أعظم غزوة غزاها رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وأشدها نكاية في المشركين: بدر الكبرى التي قتل فيها سبعون من المشركين، قتل على نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر، وإذا رجعت إلى مغازى محمد بن عمر الواقدى وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذرى وغيرهما علمت صحة ذلك دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما...

فلنبدأ بذكر الغزوات حسب التاريخ مع رعاية الإجمال والاختصار ونذكر مواقف على (عليه‌السلام) فيها:

على يوم بدر

في البحار: ج ۶ قال الإمام الباقر (عليه‌السلام): انتدب رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ليلة بدر إلى الماء، فانتدب على (عليه‌السلام)، فخرج، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة فخرج بقربته، فلما كان إلى القليب (البئر) لم يجد دلواً، فنزل في الجب تلك الساعة، فملأ قربته، ثم أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتى مضت، ثم قام، ثم مرت به ريح أخرى فجلس حتى مضت، ثم قام، ثم مرت به أخرى فجلس حتى مضت، فلما جاء إلى النبي قال له النبي (صلّى الله عليه وآله): ما حبسك يا على؟ قال: لقيت ريحاً ثم ريحاً ثم ريحاً شديدة فأصابتني قشعريرة.

فقال: أتدرى ما كان ذلك يا على؟ فقال: لا.

فقال: ذاك جبريل مر في ألف من الملائكة وقد سلم عليك وسلموا، ثم مر ميكائيل في ألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا، ثم مر إسرافيا وألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا.

وفي هذه الليلة اختص أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) بثلاثة آلاف فضيلة وثلاث فضائل، لتسليم ثلاثة آلاف وثلاثة من الملائكة عليه، وفيها يقول الحميرى:

أقسم بالله وآلائه

والمرء عما قال مسؤول

إن على بن أبى‌طالب

على التقى والبر مجبول

كان إذا الحرب مرتها القنا

وأحجمت عنها البهاليل

يمشى إلى القرن وفي كفه

أبيض ماضى الحد مصقول

مشى العفرنا بين أشباله

أبرزه للقنص الغيل

ذاك الذى سلم في ليلة

عليه ميكال وجبريل

ميكال في ألف وجبريل في

ألف ويتلوهم اسرافيل

ليلة بدر مدداً أنزلوا

كأنهم طير أبابيل

ولما أصبح الصباح استعد الفريقان للحرب، وتقدم عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبرز

إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا: ارجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش، فنظر رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إلى عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف ونظر إلى حمزة فقال: قم يا عم، ثم نظر إلى علي فقال: قم يا علي (وكان أصغر القوم) فاطلبوا بحقكم الذى جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفئ نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فقاموا بين يدى رسول‌الله رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ثم قال: يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة: عليك بشيبة.

وقال لعلي (عليه‌السلام): عليك بالوليد، فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها (قطعها) فسقطا جميعاً وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما، وحمل أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، قال علي (عليه‌السلام) لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب (بهر) نهز عمك؟ فحمل عليه علي (عليه‌السلام) فقال: يا عم طأطئ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضرب علي (عليه‌السلام) شيبة فطرح نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه.

وفي رواية أخرى: أنه برز حمزة لعتبة، وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي للوليد فقتل حمزة عتبة، وقتل عبيدة شيبة، وقتل علي الوليد، وضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي، وحمل حمزة وعلي عبيدة حتى أتيا به رسول‌الله رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فاستعبر فقال: يا رسول‌الله ألست شهيداً؟ قال: بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي.

فقال: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه، قال: وأي أعمامي تعني؟ فقال: أبوطالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله يبزى محمد

ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول‌الله رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدى الله ورسوله وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة، فقال: يا رسول‌الله أسخطت علي في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك.

كان القتلى من المشركين في يوم بدر سبعين، قتل منهم علي بن أبي‌طالب سبعة وعشرين، وكان الأسرى سبعين!! صورة أخرى للواقعة: فصاح بهم عتبة: اتسبوا نعرفكم، فإن تكونوا أكفاء نقاتلكم.

فقال عبيدة: أنا عبيدة وهو يومئذ أكبر المسلمين، فقال: هو كفو كريم، ثم قال لحمزة: من أنت؟ قال: حمزة بن عبدالمطلب، أنا أسد الله وأسد رسوله، أنا صاحب الحلفاء، فقال له عتبة: سترى صولتك اليوم يا أسد الله وأسد رسوله قد لقيت أسد المطيبين!! فقال لعلي: من أنت؟ فقال: أنا عبدالله وأخو رسوله، أنا علي بن أبي‌طالب.

فقال: يا وليد دونك الغلام، فأقبل الوليد يشتد إلى علي، قد تنور وتخلق.

وعليه خاتم من ذهب، بيده السيف قال علي: قد طال علي في طول نحو من ذراع، فختلته حتى ضربت يده التي فيها السيف، فبدرت يده وبدر السيف حتى نظرت إلى بصيص (بريق) الذهب في البطحاء، وصاح صيحة أسمع أهل العسكرين فذهب مولياً نحو أبيه وشد عليه علي (عليه‌السلام)، فضرب فخذه فسقط، وقام علي (عليه‌السلام) وقال:

أنا ابن‌ذى الحوضين عبدالمطلب

وهاشم المطعم في العام السغب

أوفى بميثاقي وأحمى عن حسب ثم ضربه فقطع فخذه.

ففی ذلک تقول هند بنت عتبة:

أبی وعمی وشقیق بکری

أخی الذی کانوا کضوء البدر

بهم کسرت یا علی ظهری

علی یوم أحد

أحد: اسم منطقة بالقرب من المدینة فی سفح الجبل، وفیها وقعت واقعة أحد، والتقی المسلمون بالمشرکین، واشتعلت نار الحرب وقامت علی ساق، نقتطف من الواقعة موقف علی (علیه‌السلام) فیها، وما أصابه من العناء.

وقد کانت رایة قریش مع طلحة بن أبی‌العبدری من بنی عبدالدار، فبرز ونادی: یا محمد أو یا معاشر أصحاب محمد تزعمون أنکم تجهزونا بأسیافکم إلی النار ونجهزکم بأسیافنا إلی الجنة، فمن شاء أن یلحق بجنته فلیبرز إلی، فبرز إلیه أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وهو یقول:

یا طلح إن کنتم کما تقول

لکم خیول ولنا نصول

فاثبت لننظر أینا المقتول

وأینا أولی بما تقول

فقد أتاک الأسد الصؤل

بصارم لیس به فلول

ینصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت یا غلام؟ قال: أنا علی بن أبی‌طالب، قال: قد علمت یا قضم، إنه لا یجسر علی أحد غیرک، فشد علیه طلحة فضربه، فاتقاه أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) بالحجفة، ثم ضربه أمیرالمؤمنین علی فخذیه فقطعهما جمیعاً فسقط علی ظهره، وسقطت الرایة، فذهب علی (علیه‌السلام) لیجهز علیه فحلفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت علیه؟ قال: قد ضربته ضربة لا یعیش منها أبداً، ثم أخذ الرایة سعید بن أبی‌طلحة، فقتله علی (علیه‌السلام)، وسقطت رایته إلی الأرض فأخذها عثمان بن طلحة، فقتله علی (علیه‌السلام) وسقطت رایته إلی الأرض فأخذها الحارث بن أبی‌طلحة، فقتله علی (علیه‌السلام) وسقطت رایته إلی الأرض فأخذها عزیز بن عثمان فقتله علی (علیه‌السلام) وسقطت رایته إلی الأرض فأخذها عبدالله بن جمیلة بن زهیر فقتله علی (علیه‌السلام) وسقطت رایته إلی الأرض، فقتل أمیرالمؤمنین التاسع من بنی الدار وهو أرطأة بن شرحبیل مبارزة، وسقطت الرایة إلی الأرض فأخذها مولاهم صوأب فضربه أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) علی یمینه فقطعها، وسقطت الرایة إلی الأرض فأخذها بشماله، فضربه أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) علی شماله فقطعها فسقطت الرایة إلی الأرض فاحتضنها بیدیه المقطوعتین، ثم قال: یا بنی عبدالدار هل أعذرت فیما بینی وبینکم؟ فضربه أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) علی رأسه فقتله وسقطت الرایة إلی الأرض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثیة فنصبتها.

وانهزم المشرکون وتبعهم المسلمون وشرعوا بجمع الغنائم، ولما رأی المشرکون ذلک ووجدوا المسلمین مشغولین بالنهب رجعوا من طریق آخر، وجعلوا المسلمین فی الوسط، وحملوا علیهم حملة رجل واحد، بقیادة خالد بن الولید، وقتلوا من المسلمین مقتلة عظیمة، وانقسم الناس آنذاک إلی قسمین: المنهزمین وهم الأکثر عدداً، والثابتین وهم ما بین قتیل وجریح، وکان علی (علیه‌السلام) أکثرهم جراحاً، فقد أصیب فی ذلک الیوم بتسعین جراحة یصعب علاجها وتداویها. [۳۶].

فی البحار: وقال شقیق بن سلمة: کنت أماشی عمر بن الخطاب إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مه یا عمر؟ فقال: ویحک!! أما تری

الهزبر القثم بن القثم، والضارب بالبهم، الشديد على من طغى وبغى، بالسيفين والراية!!! فالتفت فإذا هو على بن أبى‌طالب.

فقال: ادن منى أحدثك عن شجاعته وبطولته، بايعنا النبى (صلّى الله عليه وآله) يوم أحد على أن لا نفر، ومن فر منا فهو ضال، ومن قتل منا فهو شهيد، والنبى (صلّى الله عليه وآله) زعيمه، إذ حمل علينا مائة صنديد، تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون، فأزعجونا عن طاحونتنا، فرأيت علياً (عليه‌السلام) كالليث يتقى الذر إذ قد حمل كفاً من حصى فرمى به وجوهنا، ثم قال: (شاهت الوجوه، وقطت وبطت ولطت، إلى أين تفرون؟ إلى النار؟) فلم نرجع، ثم كر علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت!!! فقال: بايعتم ثم نكثتم؟ فو الله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً، أو كالقدحين المملوءين دماً، فما ظننت إلا ويأتى علينا كلنا فبادرت أنا إليه من بين أصحابى فقلت: يا أباالحسن، الله الله!! فإن العرب تفر وتكر، وإن الكرة تنفى الفرة.

فكأنه استحيا، فوليا بوجهه عنى، فما زلت أسكن روعة فؤادى فو الله ما خرج ذلك الرعب من قلبى حتى الساعة...

ولم يبق مع رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إلا ـ أبودجانة سماك بن خرشة وأميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وكلما حملت طائفة على رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) استقبلهم أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) فيدفعهم عن رسول‌الله، ويقتلهم حتى انقطع سيفه.

عن عكرمة قال: سمعت علياً (عليه‌السلام) يقول: لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) لحقنى من الجزع عليه ما لم يلحقنى قط، ولم أملك نفسى وكنت أمامه أضرب بسيفى بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره فقلت: ما كان رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ليفر، وما رأيته فى القتلى، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء، فكسرت جفن سيفى، وقلت فى نفسى: لأقاتلن به عنه حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا عنى وإذا أنا برسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) قد وقع على الأرض مغشياً عليه فقمت على رأسه، فنظر إلى فقال: ما صنع الناس يا على: فقلت: كفروا يا رسول‌الله، وولوا الدبر من العدو، وأسلموك، فنظر النبى (صلّى الله عليه وآله) إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لى: رد عنى يا على هذه الكتيبة، فحملت عليها أضربها بسيفى يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار، فقال النبى (صلّى الله عليه وآله): أما تسمع يا على مديحك فى السماء؟ إن ملكاً يقال له رضوان ينادى: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على.

فبكيت سروراً وحمدت الله سبحانه على نعمته.

وفى رواية قال الصادق (عليه‌السلام): انهزم الناس عن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فغضب غضباً شديداً وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللؤلؤ من العرق، فنظر فإذا على (عليه‌السلام) إلى جنبه، فقال: ما لك لم تلحق ببنى أبيك؟ فقال على (عليه‌السلام): يا رسول‌الله أكفر بعد إيمانى؟ إن لى بك أسوة، فقال: أما الآن فاكفنى هؤلاء، فحمل على (عليه‌السلام) فضرب أول من لقى منهم، فقال جبرائيل (عليه‌السلام): إن هذه لهى المواساة يا محمد، قال: (إنه منى وأنا منه) قال جبرائيل: وأنا منكما.

وأقبل على (عليه‌السلام) إلى المدينة وهو ثقيل بالجراحات، وبات على الفراش، ولما أصبح النبى (صلّى الله عليه وآله) جاء إلى دار على يعوده، فبكى على (عليه‌السلام) وقال: يا رسول‌الله أرأيت كيف فاتتنى الشهادة؟ فقال الرسول: إنها من ورائك يا على. [۳۷].

على يوم بنى النضير

يوم توجه رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إلى بنى النضير عمد يحمل على حصارهم، فضرب قبته فى أقصى بنى حطمة من البطحاء، فلما جن الليل رماه رجل من بنى النضير بسهم، فأصاب القبة، فأمر النبى (صلّى الله عليه وآله) أن تحول قبته إلى السفح، وأحاط بها المهاجرون والأنصار فلما اختلط الظلام فقدوا أميرالمؤمنين (عليه‌السلام)، فقال الناس: يا رسول‌الله ما نرى علياً؟!، فقال (صلّى الله عليه وآله): أراه فى بعض ما يصلح شأنكم.

فلم يلبث أن جاء برأس اليهودى الذى رمى النبى (صلّى الله عليه وآله)، وكان يقال له: عزوراً، فطرحه بين يدى النبى (صلّى الله عليه وآله)، فقال النبى: كيف صنعت؟ فقال: إنى رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له، وقلت: ما أجرأ أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منا غرة، فأقبل مصلتاً بسيفه فى تسعة نفر من اليهود، فشددت عليه وقتلته، فأفلت أصحابه، ولم يبرحوا قريباً، فابعث معى نفراً فإنى

أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) معه عشرة، فأدرکوهم قبل أن یدرکوا الحصن، فقتلوهم وجاءوا برؤوسهم إلی النبی وأمر أن تطرح فی بعض آبار بنی حطمة.

وکان ذلک سبب فتح حصون بنی النضیر.

علی یوم الخندق

تحزبت الأحزاب ضد رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فی مکة وضواحیها وقصدت المدینة لمحاربة رسول‌الله، ونزل جبرائیل علی النبی وأخبره فاستشار النبی أصحابه، فأشار علیه سلمان بحفر الخندق حول المدینة، فأقبل رسول‌الله ومعه المهاجرون والأنصار، وحفروا الخندق، فی جانب من المدینة یشبه نصف الدائرة، فلما فرغوا من حفر الخندق، وصل المشرکون، ونزلوا بالقرب من الخندق.

وخرج فوارس من قریش منهم: عمرو بن عبدود أخو بنی عامر بن لؤی، وعکرمة بن أبی‌جهل، وضرار بن الخطاب وهبیرة بن أبی‌وهب ونوفل بن عبدالله قد تلبسوا للقتال، وخرجوا علی خیولهم حتی مروا بمنازل بنی کنانة فقالوا: تهیئوا للحرب یا بنی کنانة، فستعلمون الیوم من الفرسان؟ ثم أقبلوا تعنق بهم خیولهم حتی وقفوا علی الخندق فقالوا: والله إن هذه لمکیدة ما کانت العرب تکیدها، وتعرفها قبل ذلک فقیل لهم: هذا من تدبیر الفارسی الذی معه (سلمان) ثم تیمموا مکاناً ضیقاً من الخندق فضربوا خیولهم، فاقتحموا فجالت بهم فی السبخة بین الخندق وسلع، وخرج علی بن أبی‌طالب فی نفر من المسلمین حتی أخذ منهم الثغرة التی منها اقتحموا، وأقبلت الفرسان نحوهم، وکان بینهم عمرو بن عبدود فارس قریش وکان قد قاتل یوم بدر حتی ارتث (حمل من المعرکة) وأثقلته الجراح فلم یشهد أحداً، فلما کان یوم الخندق خرج معلماً لیری مشهده، وکان یعد بألف فارس وکان یسمی: فارس یلیل لأنه: أقبل فی رکب من قریش حتی إذا هو بیلیل وهو واد قریب من بدر عرضت لهم بنو بکر فی عدد فقال لأصحابه: امضوا، فمضوا، فقام فی وجوه بنی بکر حتی منعهم من أن یصلوا إلیه، فعرف بذلک، وکان اسم الموضع الذی حفر فیه الخندق: المداد، وکان أول من طفره عمرو وأصابه، فقیل فی ذلک:

عمرو بن ود کان أول فارس

جزع المداد وکان فارس یلیل

ورکز عمرو بن عبدود رمحه فی الأرض وأقبل یجول حوله، ویرتجز.

وذکر ابن‌إسحاق أن عمرو بن عبدود کان ینادی من یبارز؟ فقال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): من لهذا الکلب؟ فلم یجبه أحد فقام علی (علیه‌السلام) وهو مقنع فی الحدید، فقال: أنا له یا نبی الله، فقال إنه عمرو، اجلس، ونادی عمرو: ألا رجل؟ وجعل یؤنبهم ویسبهم، ویقول أین جنتکم التی تزعمون أن من قتل منکم دخلها؟ فقام علی (علیه‌السلام) فقال: أنا له یا رسول‌الله، فأمره النبی بالجلوس رعایة لابنته فاطمة التی کانت تبکی علی جراحات علی (علیه‌السلام) یوم أحد، ثم نادی الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء

بجمعکم هل من مبارز؟

ووقفت إذ جبن المشجع

موقف البطل المناجز

إنی کذلک لم أزل

متسرعاً نحو الهزائز

إن السماحة والشجا

عة فی الفتی خیر الغرائز

فقام علی (علیه‌السلام) فقال: یا رسول‌الله أنا.

فقال: إنه عمرو، فقال: وإن کان عمراً وأنا علی بن أبی‌طالب!! فاستأذن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فأذن له، وألبسه درعه ذات الفضول، وأعطاه سیفه ذا الفقار، وعممه عمامة السحاب علی رأسه تسعة أکوار (أدوار) ثم قال له: تقدم.

فقال لما ولی: (اللهم احفظه من بین یدیه ومن خلفه وعن یمینه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمیه).

ثم قال: برز الإیمان کله إلی الشرک کله.

فمشی إلیه وهو یقول:

لا تعجلن فقد أتا

ک مجیب صوتک غیر عاجز

ذو نیة وبصیرة

والصدق منجی کل فائز

إنی لأرجو أن أقیم

علیک نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء یبقی

ذکرها عند الهزاهز

وما زال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) آنذاک رافعاً یدیه مقحماً رأسه إلی السماء داعیاً به قائلاً: اللهم إنک أخذت منی عبیدة یوم بدر وحمزة یوم أحد، فاحفظ علی الیوم علیاً، رب لا تذرنی فرداً وأنت خیر الوارثین.

فقال عمرو: من أنت؟ وکان عمرو شیخاً کبیراً قد جاوز الثمانین، وکان ندیم أبی‌طالب بن عبدالمطلب فی الجاهلیة، فانتسب علی له.

فقال عمرو: أجل، لقد کان أبوک ندیماً لی وصدیقاً، فارجع فإنی لا أحب قتلک! فقال علی (علیه‌السلام): لکنی أحب أن أقتلک!

فقال عمرو: یا ابن أخی إنی لأکره أن أقتل الرجل الکریم مثلک، فارجع وراءک خیر لک، ما آمن ابن عمک حین بعثک إلی أن أختطفک برمحی هذا فأترکک شایلاً بین السماء والأرض لا حی ولا میت!! فقال له علی (علیه‌السلام): قد علم ابن عمی أنک إن قتلتنی دخلت الجنة وأنت فی النار، وإن قتلتک فأنت فی النار وأنا فی الجنة.

فقال عمرو: کلتاهما لک یا علی؟ تلک إذاً قسمة ضیزی!! فقال علی (علیه‌السلام): إن قریشاً تتحدث عنک أنک قلت: لا یدعونی أحد إلی ثلاث إلا أجبت، ولو إلی واحدة منها؟ قال: أجل.

قال: فإنی أدعوک إلی الإسلام، وفی روایة: أدعوک إلی شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول‌الله.

قال: دع هذه!! أو نح هذا.

قال: فإنی أدعوک إلی أن ترجع بمن یتبعک من قریش إلی مکة، فإن یک محمد صادقاً فأنتم أعلی به عیناً، وإن یک کاذباً کفتکم ذؤبان العرب أمره.

قال: إذن تتحدث نساء قریش عنی: أن غلاماً خدعنی وینشد الشعراء فی أشعارها أنی جبنت، ورجعت علی عقبی من الحرب، وخذلت قوماً رأسونی علیهم.

قال: فإنی أدعوک إلی البراز راجلاً، فجمی عمرو وقال: ما کنت أظن أحداً من العرب یرومها منی.

ثم نزل فعقر فرسه وقیل ضرب وجه فرسه ففر ثم قصد نحو علی (علیه‌السلام) وضربه بالسیف علی رأسه، فأصاب السیف الدرقة فقطعها، ووصل السیف إلی رأس علی (علیه‌السلام).

فضربه علی (علیه‌السلام) علی عاتقه فسقط، وفی روایة: فضربه علی رجلیه بالسیف فوقع علی قفاه، وثار العجاج والغبار، وأقبل علی لیقطع رأسه فجلس علی صدره، فتفل اللعین فی وجه الإمام (علیه‌السلام) فغضب (علیه‌السلام)، وقام عن صدره یتمشی حتی سکن غضبه، ثم عاد إلیه فقتله.

وقال ربیعة بن مالک السعدی: أتیت حذیفة بن الیمان، فقلت: یا أباعبدالله: إن الناس یتحدثون عن علی بن أبی‌طالب ومناقبه، فیقول لهم أهل البصیرة: إنکم لتفرطون فی تفریط (تقریظ) هذا الرجل.

فهل أنت محدثی بحدیث عنه أذکره للناس؟ فقال: یا ربیعة وما الذی تسألنی عن علی؟ وما الذی أحدثک به عنه؟ والذی نفس حذیفة بیده: لو وضع جمیع أعمال أمة محمد فی کفة المیزان منذ بعث الله تعالی محمداً إلی یوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علی فی کفة أخری لرجح علی أعمالهم کلها، فقال ربیعة: هذا المدح الذی لا یقام له ولا یقعد ولا یحمل، إنی لأظنه إسرافاً یا أباعبدالله!!! فقال حذیفة: یا لکع! وکیف لا یحمل؟ وأین کان المسلمون یوم الخندق وقد عبر إلیهم عمرو وأصحابه؟ فملکهم الهلع والجزع، ودعا إلی المبارزة فأحجموا عنه حتی برز إلیه علی فقتله؟

والذی نفس حذیفة بیده: لعمله ذلک الیوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد إلی هذا الیوم وإلی أن تقوم القیامة.

وجاء علی برأس عمرو إلی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فتهلل وجه رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فقام أبوبکر وعمر بن الخطاب وقبلا رأسه، وکان علی (علیه‌السلام) یقول:

أنا علی وابن عبدالمطلب

الموت خیر للفتی من الهرب

فقال عمر: هلا سلبته درعه، فإنه لیس فی العرب درع مثلها؟ فقال علی (علیه‌السلام): إنی استحییت أن أکشف سوأة ابن عمی.

وفی روایة: لما جلس علی (علیه‌السلام) علی صدر عمرو لیذبحه قال له عمرو: یا علی قد جلست منی مجلساً عظیماً، فإذا قتلتنی فلا تسلبنی حلتی، فقال (علیه‌السلام): هی أهون علی من ذلک.

ولما قتل علی (علیه‌السلام) عمراً انهزم المشرکون وانکسرت شوکتهم، وکفی الله المؤمنین القتال بعلی (علیه‌السلام).

قال حسان بن ثابت فی قتل عمرو بن عبدود:

أمسی الفتی عمرو بن عبدود یبتغی

بجنوب یثرب غارة لم تنظر

فلقد وجدت سیوفنا مشهورة

ولقد وجدت جیادنا لم تقصر

ولقد رأیت غداة بدر عصبة

ضربوک ضرباً غیر ضرب المحضر

أصبحت لا تدعی لیوم کریهة

یا عمرو أو لجسیم أمر منکر

فأجابه بعض بنی عامر:

کذبتم وبیت الله لم تقتلوننا

ولکن بسیف الهاشمیین فافخروا

بسیف ابن‌عبدالله أحمد فی الوغا

بکف علی نلتم ذاک فاقصروا

ولم تقتلوا عمرو بن عبدود ولا ابنه

ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر

على الذى فى الفخر طال ثناؤه

فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا

ببدر خرجتم للبراز فردكم

شيوخ قريش جهرة وتأخروا

فلما أتاهم حمزة وعبيدة

وجاء على بالمهند يخطر

فقالوا: نعم أكفاء صدق فاقبلوا

إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا

فجال على جولة هاشمية

فدمرهم لما عتوا وتكبروا

فليس لكم فخر علينا بغيرنا

وليس لكم فخر يعد ويذكر

وكان (عليه‌السلام) يقول مشيراً إلى هذه الفضيلة:

أعلىّ تفتخر الفوارس هكذا؟

عنى وعنهم خبروا أصحابى

اليوم يمنعنى الفرارَ حفيظتى

ومصمم بالرأس ليس بنابى

أرديت عمراً إذ طغى بمهند

صافى الحديد مجرب قضاب

نصر الحجارة عن سفاهة رأيه

ونصرت رب محمد بصواب

فصدرت حين تركته متجدلاً

كالجذع بين دكادك وروابى

وعففت عن أثوابه ولو أننى

كنت المقطّر بزّنى أثوابى

لا تحسبن الله خاذل دينه

ونبيه يا معشر الأحزاب

وقال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): ضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين.

وفى رواية الحاكم فى المستدرك: لمبارزة على بن أبى‌طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتى إلى يوم القيامة.

وسبب ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهنٌ بقتل عمرو، ولم يبق فى المسلمين بيت من بيوت المسلمين إلا ودخله عزٌّ بقتل عمرو.

ولما وصل الخبر إلى أخت عمرو قالت: من ذا الذى اجترأ عليه؟ فقالوا: على بن أبى‌طالب.

فقالت: لم يعد موته إلا على يد كفو كريم لا رقأت دمعتى إن هرقتها عليه، قاتل الأبطال وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفو كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بنى عامر، ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله

لكنت أبكى عليه آخر الأبد

لكن قاتله من لا يعاب به

وكان يدعى قديماً بيضة البلد

وفى نسخة: وكان يدعى أبوه بيضة البلد.

ولقد أجاد المرحوم الشيخ كاظم الأزرى (عليه الرحمة) فى قصيدته الألفية التى يقول فيها:

ظهرت منه فى الوغى سطوات

ما أتى القوم كلهم ما أتاها

يوم غصت بجيش عمرو بن عبدود

لهوات الفلا وضاق فضاها

وتخطى إلى المدينة فرداً

بسرايا عزائم ساراها

فدعاهم وهم ألوف ولكن

ينظرون الذى يشب لظاها

أين أنت عن قسور عامرى

تتقى الأسد بأسه فى شراها

فابتدى المصطفى يحدث عما

يؤجر الصابرون فى أخراها

قائلاً: إن للجليل جناناً

ليس غير المجاهدين يراها

أين من نفسه تتوق إلى

الجنات أو يورد الجحيم عداها

من لعمرو؟ وقد ضمنت على

الله له من جناته أعلاها

فالتووا عن جوابه كسوام

لا تراها مجيبة من دعاها

وإذا هم بفارس قرشى

ترجف الأرض خيفة إذ يطاها

قائلاً: ما لها سواى كفيل

هذه ذمة على وفاها

ومشی یطلب الصفوف کما

تمشی خماص الحشا إلی مرعاها

فانتضی مشرفیة فتلقی

ساق عمرو بضربة فبراها

وإلی الحشر رنة السیف منه

یملأ الخافقین رجع صداها

یا لها ضربة حوت مکرمات

لم یزن ثقل أجرها ثقلاها

هذه من علاه إحدی المعالی

وعلی هذه فقس ما سواها

علی یوم خیبر

قال الطبرسی (رحمه الله): لما قدم رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) المدینة من الحدیبیة مکث بها عشرین لیلة، ثم خرج منها غازیاً إلی خیبر.

خیبر اسم منطقة تبعد عن المدینة المنورة ساعات، وهی عبارة عن حصون وقلاع محصنة، کانت الیهود تسکنها یومذاک، فلما وصل النبی (صلّی الله علیه وآله) إلی خیبر، واستعد للقتال واصطف العسکران، خرج رجل من المسلمین اسمه: عامر بن الأکوع یبارز رجلاً من الیهود اسمه مرحب، وکان مرحب یرتجز ویقول:

قد علمت خیبر أنی مرحب

شاکی السلاح بطل مجرب

فأجابه عامر:

قد علمت خیبر أنی عامر

شاکی السلاح بطل مغامر

فتضاربا بالسیف، فوقع سیف عامر علی رکبته فمات منه.

وحاصر النبی تلک الحصون خمساً وعشرین یوماً، ثم أعطی رایته أبابکر وقیل: أعطی الرایة إلی عمر بن الخطاب أولاً فنهض ونهض معه المسلمون فلقوا أهل خیبر فرجعوا.

وأعطی الرایة أبابکر فی الیوم الثانی فذهب مع المسلمین فرجع یجبِّن أصحابه ویجبنونه، فلما علم النبی ذلک قال: لأعطین الرایة غداً رجلاً یحب الله ورسوله ویحبه الله ورسوله کرار غیر فرار، لا یرجع حتی یفتح الله علی یدیه.

فبات الناس یتفکرون حول الرجل الموصوف بهذا الصفات، المقصود بکلام رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وکان علی غائباً فی تلک الغزوة، وما کان الناس یحسبونه المقصود بکلام النبی، حتی قال بعضهم: أما علی فقد کُفیتموه فإنه أرمد لا یبصر موضع قدمه.

بل کان کل منهم یرجو أن یعطی الرایة، وأصبح الصباح وخرج رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) بالرایة، وأقبل الناس إلی النبی لیعرفوا الرجل الذی یستحق أن یکون حاملاً لرایة الإسلام وفاتحاً لحصون الیهود؟ فقال النبی (صلّی الله علیه وآله): أین علی بن أبی‌طالب؟ فقیل: هو یشتکی عینیه، فقال: أرسلوا إلیه.

فجاءوا به علی بغلة وعینه معصوبة بخرقة، فأخذ سلمة بن الأکوع بیده وأتی به إلی النبی (صلّی الله علیه وآله) فقال النبی: ما تشتکی یا

علی؟ قال: رمد ما أبصر معه، وصداع برأسی.

فقال النبی: اجلس وضع رأسک علی فخذی.

ففعل علی ذلک، فدعا له النبی (صلّی الله علیه وآله) وتفل فی یده فمسح بها علی عینیه ورأسه فانفتحت عیناه وسکن ما کان یجده من الصداع وقال النبی: اللهم قِهِ الحر والبرد.

وأعطاه الرایة وکانت بیضاء فقال له: خذ الرایة وامض بها، فجبرائیل معک، والنصر أمامک والرعب مبثوث فی صدور القوم، واعلم یا علی أنهم یجدون فی کتابهم: أن الذی یدمر علیهم اسمه: (إیلیا) فإذا لقیتهم فقل: أنا علی، فإنهم یخذلون إن شاء الله.

فأقبل علی (علیه‌السلام) بالرایة یهرول بها ولحقه الناس فرکز رمحه قریباً من الحصن، وأشرف علیه حبر من الأحبار فقال: من أنت؟ فقال: أنا علی بن أبی‌طالب.

فقال الیهودی: غُلبتم وما أُنزل علی موسی أی غلبتم قسماً بالتوراة التی نزلت علی موسی (علیه‌السلام).

فخرج إلیه مرحب فی عامة الیهود، وعلیه مغفرة وحجر قد ثقبه مثل البیضة علی أُم رأسه وهو یرتجز ویقول:

قد علمت خیبر أنی مرحب

شاکی السلاح بطل مجرب

أطعن أحیاناً وحیناً أضرب

فقال علی (علیه‌السلام):

أنا الذی سمتنی أمی حیدرة

ضرغام آجام ولیث قسورة

علی الأعادی مثل ریح صرصرة

أکیلکم بالسیف کیل السندرة

أضرب بالسیف رقاب الکفرة

فلما سمع مرحب منه ذلک هرب ولم یقف، خوفاً مما حذرته منه ظئره، فتمثل له إبلیس فی صورة حبر من أحبار الیهود فقال له: إلی أین یا مرحب؟ فقال: قد تسمی علی هذا القرن بحیدرة فقال له إبلیس: فما حیدرة؟ قال مرحب: إن فلانة ظئری (مرضعتی) کانت تحذرنی من مبارزة رجل اسمه: حیدرة.

وتقول: إنه قاتلک.

فقال إبلیس: شوهاً لک! لو لم یکن حیدرة إلا هذا وحده لما کان مثلک یرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء وهن یخطئن أکثر مما یصبن، وحیدرة فی الدنیا کثیر، فارجع فلعلک تقتله، فإن قتلته سدت قومک، وأنا فی ظهرک أستصرخ الیهود لک.

فرجع مرحب إلی قتال علی (علیه‌السلام) فدعاهم علی (علیه‌السلام) إلی الإسلام أو الجزیة أو الحرب فاختاروا الحرب، فضربه الإمام بالسیف علی رأسه ضربة قطعت الحجر والمغفر رأسه حتی وقع السیف فی أضراسه، فخر صریعاً، وحمل علی (علیه‌السلام) علی الجیش الیهودی فانهزموا ودخلوا الحصن، وسدوا بابه، وکان الباب حجراً منقوراً فی صخر، والباب من الحجر فی ذلک الصخر المنقور، کأنه حجر رحی، وفی وسطه ثقب لطیف، وقد ذکرنا فی الجزء الثانی من شرح نهج‌البلاغة بیاناً حول الباب المزبور.

رمی علی (علیه‌السلام) القوس من یده الیسری وجعل یده الیسری فی ذلک الثقب الذی فی وسط الحجر وکان السیف بیده الیمنی ثم جذبه إلیه فانهار الصخر المنقور، وصار الباب فی یده الیسری، فحملت علیه الیهود، فجعل علی (علیه‌السلام) الباب ترساً له، وحمل علیهم فانهزموا، فرمی الحجر بیده الیسری إلی خلفه فمر الحجر علی رؤوس الناس من المسلمین إلی أن وقع فی آخر العسکر، وإلی هذا أشار ابن أبی‌الحدید فی قصیدته مخاطباً الإمام (علیه‌السلام):

يا قالع الباب الذى عن هزه

عجزت أكف أربعون وأربع

واجتمع المسلمون ليرفعوا ذلك الحجر فلم يستطيعوا وهم أربعون رجلاً، وفتح على تلك الحصون.

وتقدم حسان بن ثابت واستأذن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أن يقول شعراً فقال له: قل.

فأنشأ يقول:

وكان على أرمد العين يبتغى

دواء فلما لم يحس مدا

وياشفاه رسول‌الله منه بتفلة

فبورك مرقياً وبورك راقيا

وقال: سأعطى الراية اليوم صارماً

كمياً محباً للرسول مواليا

يحب إلهى والإله يحبه

به يفتح الله الحصون الأوابيا

فأصفى بها دون البرية كلها

علياً وسماه الوزير المواخيا

فعند ذلك قال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) لعلى (عليه‌السلام): لولا أن تقول فيك طوائف من أمتى ما قالت النصارى فى عيسى بن مريم لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ إلا أخذوا من تراب رجليك، ومن فضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك: أن تكون أنت منى وأنا منك، ترثنى وأرثك، وأنك منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى، وأنك تبرئ ذمتى وتقاتل على سنتى، وأنك فى الآخرة أقرب الناس منى، وأنك غداً على الحوض خليفتى، وأنك أول من يرد على الحوض غداً، وأنك أول من يكسى معى، وأنك أول من يدخل الجنة من أمتى، وأن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولى أشفع لهم، ويكونون فى الجنة جيرانى، وأن حربك حربى، وأن سلمك سلمى، وأن سرك سرى وأن علانيتك علانيتى، وأن سريرة صدرك كسريرة صدرى وأن ولدك ولدى وأنك تنجز عدتى، وأن الحق على لسانك وفى قلبك، وبين عينيك، وأن الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمى ودمى، وأنه لا يرد على الحوض مبغض لك، ولن يغيب عنه محب لك غداً حتى يردوا الحوض معك.

فخر على ساجداً شكراً لله.

وقال المرحوم الشيخ الأزرى فى قصيدته الفريدة:

وله يوم خيبر فتكات

كبرت منظراً على من رآها

يوم قال النبى: إنى لأعطى

رايتى ليثها وحامى حماها

فاستطالت أعناق كل فريق

ليروا أى ماجد يعطاها

فدعى: أين وارث العلم والحل

م مجير الأيام من باساها

أین ذو النجدة الذی لو دعته

فی الثریا مروعة لباها

فأتاه الوصی أرمد عین

فسقاها من ریقه فشفاها

ومضی یطلب الصفوف فولّت

عنه علماً بأنه أمضاها

وبری مرحباً بکف اقتدار

أقویاء الأقدار من ضعفاها

ودحی بابها بقوة بأس

لو حمتها الأفلاک منه دحاها

عائد للمؤملین مجیب

سامع ما تسر من نجواها

إنما المصطفی مدینة علم

وهو الباب من أتاه أتاها

وهما مقلتا العوالم: یسرا

ها علی وأحمد یمناها

علی یوم حنین

وفی یوم حنین لما تقدم أبوجرول ووراءه المشرکون، وکانت الرایة بیده وهو یرتجز قائلاً:

أنا أبوجرول لا براح

حتی نبیح القوم أو نباح

فقصده أمیرالمؤمنین فضرب عجز بعیره ثم ضربه وقتله ثم قال:

قد علم القوم لدی الصباح

إنی لدی الهیجاء ذو نصاح

فکانت هزیمة المشرکین بقتل أبی‌جرول، وحمل علیهم المسلمون یقدمهم علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) فقتل منهم أربعین رجلاً وانهزم الباقون، وأُسر من أُسر منهم، وذلک بعد هزیمة المسلمین وتفرقهم عن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله)، وقد ذکر القرآن الکریم موقف المسلمین یومذاک بقوله تعالی: (ویوم حنین إذا أعجبتکم کثرتکم فلم تغن عنکم شیئاً وضاقت علیکم الأرض بما رحبت ثم ولیتم مدبرین) [۳۸] ثم أنزل الله سکینته علی رسول‌الله وعلی المؤمنین.

ولابن أبی‌الحدید کلمة بالمناسبة فی مقدمة شرحه علی النهج:

(أما الشجاعة: فإنه أنسی الناس فیها ذکر من کان قبله ومحی اسم من یأتی بعده، ومقاماته فی الحرب مشهورة، یضرب بها الأمثال إلی یوم القیامة، وهو الشجاع الذی ما فرّ قط، ولا ارتاع من کتیبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولی إلی ثانیة.

وفی الحدیث: کانت ضرباته وتراً، ولما دعی معاویة إلی المبارزة لیستریح الناس من الحرب بقتل أحدهما، فقال له عمرو بن العاص: لقد أنصفک! فقال معاویة: ما غششتنی منذ نصحتنی إلا الیوم!! أتأمرنی بمبارزة أبی‌الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق؟ أراک

طمعت فی إمارة الشام بعدی)....

علی والقرآن

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله وصلی الله علی محمد وآله الطاهرین.

القرآن کتاب الله عزوجل ذلک الکتاب الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه، وهو کلام الله الذی لا یتبع الهوی ولا یمیل إلی الاتجاهات بدافع العاطفة بل هو الحق.

هناک حدیث نبوی شریف اتفق علیه الشیعة والسنة، أنه قال (صلّی الله علیه وآله): (إنی تارک فیکم الثقلین: کتاب الله وعترتی أهل بیتی وإنهما لن یفترقا حتی یردا علی الحوض).

نجد فی الحدیث الرسول الأعظم (صلّی الله علیه وآله) یقرن العترة بالقرآن والقرآن بالعترة، ویخبر عنهما أنهما لن یفترقا ولن یختلفا فی المبدأ وفی أی شیء، فالقرآن یوافق العترة، والعترة تمشی تحت ظل القرآن، فلا اختلاف ولا تنافی بین القرآن والعترة، بل هما متلازمان ومتفقان.

وبناء علی هذا هل یمکن أن یسکت القرآن عن عدیله وقرینه؟ فیخلو عن اسم العترة والإشارة إلیهم؟؟ کلا ثم کلا، فالقرآن فیه تبیان کل شیء وحاشاه أن یسکت عن الإشادة والتنویه عن أشرف أسرة علی وجه الأرض وهم أسرة رسول‌الله الطیبة وعترته الطاهرة، وعلی رأسهم سید العترة أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام)، الذی ضرب الرقم القیاسی فی کل مباراة وفاز بکأس البطولة فی کل میدان سباق، وهو والقرآن یسیران فی طریق واحد، ویدعوان إلی مبدأ وهدف واحد، فعلی (علیه‌السلام) یعرف القرآن وفنونه وعلومه وأحکامه وفضائله ومزایاه، والقرآن یجلب الانتباه إلی شخصیة علی (علیه‌السلام) ومکارمه ومحاسنه وخصائصه، وینوّه عن مواقفه ومواطنه وتضحیاته فی سبیل الهدف الذی أنزل من أجله القرآن.

ألیس القرآن هدی للناس وبینات من الهدی والفرقان؟ أو لیس القرآن یهدی للتی هی أقوم؟ أو لیس القرآن فیه موعظة وشفاء وهدی ورحمة للمؤمنین؟ أو لیس القرآن هو الحق ویدعو إلی الحق؟ فهذا علی (علیه‌السلام) عدیل القرآن ویسیر مع القرآن جنباً بجنب، یدعو ویهدی ویبین ویعظ ویفرق بین الحق والباطل.

إذن، فلا مانع أن یحتوی القرآن (وهو کلام الله المجید) شیئاً من تقدیر الله تعالی لمواقف علی (علیه‌السلام) والإشادة بفضله وإن لم یکن التنویه صریحاً فقد تکون الکنایة أبلغ من التصریح وأوقع فی النفس للتحری عن الحقیقة المقصودة.

ولم یکتف القرآن بالإشارة إلی فضائل علی، فحسب، بل نجد کمیة هائلة وافرة من الآیات البینات التی شملت أهل البیت (علیهم‌السلام) أولاً ثم بقیة المسلمین ثانیاً، فقد روی ابن‌عباس عن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) أنه قال: ما أنزل الله آیة فیها: (یا أیها الذین آمنوا) إلا وعلی رأسها وأمیرها.

وروی ابن‌حجر فی الصواعق: عن ابن‌عباس لما نزلت هذه الآیة (إن الذین آمنوا وعملوا الصالحات أولئک هم خیر البریة) [۳۹] قال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): هم أنت یا علی وشیعتک، تأتی أنت وشیعتک یوم القیامة راضین مرضیین، وتأتی أعداؤک غضاباً مقحمین.

إلی غیر ذلک من عشرات الآیات المأولة بعلی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) المذکورة فی الصحاح ورواها المحدثون فی صحاحهم.

وفی القرآن آیات واضحات نزلت فی شأن أهل البیت (علیهم‌السلام) وکان علی (علیه‌السلام) أحدهم بل سیدهم، کما فی آیة

المباهلة وسورة هل أتى وآية التطهير وغيرها مما يطول الكلام بذكر تلك الآيات فلنذكر بصورة موجزة كلاماً حول آية التطهير والمباهلة وسورة هل أتى، ثم ننظر أين ينتهى بنا الكلام: لقد أجمع المفسرون والمحدثون إلا الشاذ النادر منهم واتفقت كلمتهم على: أن آية التطهير نزلت فى على وفاطمة والحسن والحسين (عليهم‌السلام) وإن كان هناك اختلاف فى ألفاظ الحديث فالمؤدى واحد.

وخلاصة الواقعة: أن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ألقى رداء أو عباءة أو كساء أو ثوباً أو قطيفة على على وفاطمة والحسن والحسين (عليهم‌السلام) وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فقالت أم‌سلمة: يا رسول‌الله فأنا؟ وفى رواية: فأنا من أهلك أو: وأنا معكم؟ أو: ألا أدخل معكم؟ فقال النبى (صلّى الله عليه وآله): إنك على خير، أو: مكانك، أو: تنحى وفى رواية: فرفعت الكساء لأدخل فجذبه من يدى وقال: إنك على خير وإنك من أزواج النبى.

فنزلت الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). [۴۰].

قال أبوسعيد الخدرى: كان النبى (صلّى الله عليه وآله) يأتى باب على أربعين صباحاً فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيرا، أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم.

وقال أبوالحمراء: خدمت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) تسعة أشهر أو عشرة أشهر فأما التسعة فلا أشك فيها ورسول‌الله يخرج من طلوع الفجر فيأتى باب فاطمة وعلى والحسن والحسين فيأخذ بعضادتى الباب فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الصلاة، يرحمكم الله.

فيقولون: وعليك السلام يا رسول‌الله ورحمة الله وبركاته.

فيقول رسول‌الله: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

أما المحدثون والمفسرون من الشيعة فكلهم متفقون على اختصاص آية التطهير بعلى وفاطمة والحسن والحسين، لا تشاركهم زوجات النبى فيها.

ومن أعلام السنة ذكر ذلك: الثعلبى فى تفسيره وأحمد بن حنبل فى مسنده، والواحدى فى تفسيره (البسيط)، وابن البطريق فى المستدرك.

والرازى فى تفسيره وغيرهم ممن يطول الكلام بذكرهم والباقون يقولون إن الآية تشمل أهل البيت وسائر زوجات النبى (صلّى الله عليه وآله).

وقد مر عليكم أن المفسرين والمحدثين ذكروا أن النبى لم يأذن لزوجته أم سلمة أن تدخل تحت الكساء أو الثوب، فكيف تشمل الآية صفية أخت مرحب التى كانت يهودية خيبرية وغيرهن ممن سبق الكفر والشرك إسلامهن؟ ولا دليل لهؤلاء إلا سياق الآية وترتيبها، أو ما يكفى مجىء رسول‌الله إلى باب بيت على وفاطمة أربعين صباحاً أو ستة أشهر أو تسعة أشهر يطرق عليهم الباب ويتلو عليهم الآية ليكون دليلاً على أن المقصود بآية التطهير هم أهل هذا البيت فقط، ولم يعهد من النبى (صلّى الله عليه وآله) أنه طرق باب إحدى زوجاته وتلى عليها الآية ولو مرة واحدة.

ثم إن سياق الآية وأسلوبها يدلان على كلامنا، فإن الخطابات الموجهة إلى زوجات النبى فى الآية كلها ضمائر مؤنثة.

قال تعالى: (يا نساء النبى (لستن) كأحد من النساء إن (اتقيتن) فلا (تخضعن) بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض و(قلن) قولاً معروفاً و(قرن) فى (بيوتكن) ولا (تبرجن) تبرج الجاهلية الأولى، و(أقمن) الصلاة و(آتين) الزكاة و(أطعن) الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، و(اذكرن) ما يتلى فى (بيوتكن) من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً). [۴۱].

ويظهر بكل وضوح أن الضمائر الموجودة فى آية التطهير تختلف عما سبقتها ولحقتها من الآيات والخطابات، فقد قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ولم يقل: عنكن، ويطهركن.

فالعدول عن الضمائر المؤنثة إلى الضمائر المذكرة يدل على اختصاص الخطاب بغير نساء النبى المخاطبات فى الآية.

هذا وقد ذكر سيدنا المغفور له السيد عبدالحسين شرف الدين فى كتابه: (الكلمة الغراء فى تفضيل الزهراء) بياناً كافياً وكلاماً شافياً حول الأدلة والبراهين والقرائن التى تدل على تخصيص آية التطهير بفاطمة وبعلها وبنيها، وقبل ذلك أسهب شيخنا المجلسى رحمه الله فى تفسير هذه الآية وفى ما قيل فيها من الدلالة على الاختصاص بأهل البيت (عليهم‌السلام).

وقد ذكروا فى شأن نزول آية التطهير واجتماع النبى (صلّى الله عليه وآله) مع على وفاطمة والحسن والحسين (عليهم‌السلام) وجوهاً كثيرة، والكل متفقون على أن آية التطهير نزلت فى هؤلاء (عليهم‌السلام).

وهذه الآية تدل بكل صراحة على عصمة أصحاب الكساء، وإنهم معصومون من كل ذنب وكل خطأ، والعصمة من مراتب الأنبياء والأوصياء وهى أعلى درجات الرقى والتقرب عند الله تعالى.

على يوم المباهلة

ذكر البيهقى فى الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده أن رسول‌الله كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه سورة النمل (طس) سليمان: (بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول‌الله إلى أسقف نجران وأهل نجران، إن أسلمتم فإنى أحمد إليكم الله إله إبراهيم، وإسحاق ويعقوب، أما بعد: فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم فقد أُوذنتم بحرب، والسلام) فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وادعة، فدفع إليه كتاب رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقرأه، فقال له الأسقف: ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن من أن يكون ذلك الرجل، ليس لى فى النبوة رأى، لو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه وجهدت لك، فبعث الأسقف إلى واحد من بعد واحد من أهل نجران فكلهم قال مثل قول شرحبيل، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وادعة وعبدالله بن شرحبيل وجبار بن فيض فيأتونهم بخبر رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فانطلق الوفد حتى أتوا رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فسألهم وسألوه، فلم تنزل بهم وبه المسألة حتى قالوا له: ما تقول فى عيسى بن مريم؟ فقال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): ما عندى فيه شىء يومى هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لى فى عيسى صبح الغداة، فأنزل الله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) [۴۲] إلى قوله: (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [۴۳] فأبوا أن يقروا بذلك.

فلما أصبح رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين فى خميلة له ومعه على (عليه‌السلام) وفاطمة تمشى عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: إنى أرى أمراً مقبلاً إن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فنُلاعنه ولا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك، فقالا له: ما رأيك؟ فقال: رأيى أن أحكمه فإنى أرى رجلاً مقبلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك، فتلقى شرحبيل رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: إنى قد رأيت خيراً من ملاعنتك، قال: وما هو؟ قال: أحكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز فرجع رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية.

صورة أخرى للمباهلة

عن على (عليه‌السلام) قال: لما قدم وفد نجران على النبى (صلّى الله عليه وآله) قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم: العاقب ومحسن والأسقف فجاءوا إلى اليهود وهم فى البيت، فصاحوا بهم يا إخوة القردة والخنازير هذا الرجل بين ظهرانيكم قد غلبكم، انزلوا إلينا، فنزل إليهم منصور اليهودى وكعب بن الأشرف اليهودى، فقالوا لهم: احضروا غداً نمتحنه، فقال: وكان النبى (صلّى الله عليه وآله) إذا صلى الصبح سأل: هيهنا من الممتحنة أحد؟ فإن وجد أحداً أجابه وإن لم يجد أحداً قرأ على أصحابه ما أنزل عليه فى تلك الليلة،

فلما صلى الصبح جلسوا بين يديه فقال له الأسقف: يا أباالقاسم فذاك موسى من أبوه؟ النبى (صلّى الله عليه وآله): عمران.

الأسقف: فيوسف من أبوه؟ النبى (صلّى الله عليه وآله): يعقوب.

الأسقف: فداك أبى وأمى فأنت من أبوك؟ النبى (صلّى الله عليه وآله): عبدالله بن عبدالمطلب.

الأسقف: فعيسى من أبوه؟ فسكت النبى (صلّى الله عليه وآله) فنزل جبرائيل، فقال هو روح الله وكلمته.

الأسقف: يكون روح بلا جسد؟ فسكت النبى (صلّى الله عليه وآله)، فأوحى إليه (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له: كن فيكون) [۴۴] فوثب الأسقف وثبة إعظام لعيسى أن يقال له من تراب.

ثم قال: ما نجد هذا يا محمد فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا نجد هذا إلا عندك.

فأوحى الله إليه (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم [...) ۴۵].

فقالوا: أنصفتنا يا أباالقاسم، فمتى موعدك؟ قال: بالغداة إن شاء الله، ثم قال على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام): فلما صلى النبى (صلّى الله عليه وآله) الصبح أخذ بيدى وجعلنى بين يديه، وأخذ فاطمة (عليهاالسلام) فجعلها خلف ظهره، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وعن شماله ثم برك لهما باركاً، فلما رأوه قد فعل ذلك ندموا وتآمروا فيما بينهم وقالوا: والله إنه لنبى، ولئن باهلنا ليستجيبن الله له علينا فيهلكنا ولا ينجينا شىء منه إلا أن نستقيله، قال: فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه، ثم قالوا: يا أباالقاسم أقلنا، قال: نعم، قد أقلتكم، أما والذى بعثنى بالحق لو باهلتكم ما ترك الله على ظهر الأرض نصرانياً إلا أهلكه.

قال الشيخ المفيد رحمه الله فى كتاب الفصول: قال المأمون يوماً للرضا (عليه‌السلام): أخبرنى بأكبر فضيلة لأميرالمؤمنين (عليه‌السلام) يدل عليها القرآن؟ قال: فقال الرضا (عليه‌السلام) فضيلة فى المباهلة، قال جل جلاله: (فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) [۴۶] فدعا رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) الحسن والحسين (عليهماالسلام) فكانا ابنيه، ودعا فاطمة (عليهاالسلام) فكانت فى هذا الموضع نساءه ودعا أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فكان نفسه بحكم الله عزوجل، وقد أثبت أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أجل من رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وأفضل، فواجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول‌الله بحكم الله عزوجل، قال: فقال المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ابنيه خاصة؟ وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ابنته وحدها؟ فألا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه فى الحقيقة دون غيره؟ فلا يكون لأميرالمؤمنين (عليه‌السلام) ما ذكرت من الفضل، قال: فقال له الرضا (عليه‌السلام): ليس يصح ما ذكرت يا أميرالمؤمنين وذلك أن الداعى إنما يكون داعياً لغيره كما أن الآمر آمر لغيره ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه فى الحقيقة كما لا يكون آمراً لها فى الحقيقة، وإذ لم يدع رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فى المباهلة رجلاً إلا أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فقد ثبت أنه نفسه التى عناها الله سبحانه فى كتابه وجعل حكمة ذلك فى تنزيله.

قال: فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال.

قال الطبرسى (رحمه الله): أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين (عليهماالسلام)، قال أبوبكر الرازى: هذا يدل على أن الحسن والحسين ابنا رسول‌الله، وأن ولد الابنة ابن فى الحقيقة.

وقال ابن أبى‌علان وهو أحد أئمة المعتزلة: هذا يدل على أن الحسن والحسين (عليهماالسلام) كانا مكلفين فى تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

وقال أصحابنا: إن صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافى كمال العقل، وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية، وكان سنهما فى تلك الحال سناً لا يمتنع معها أن يكونا كاملى العقل، على أن عندنا يجوز أن يخرق العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح أن كمال العقل غير معتاد فى تلك السن لجاز ذلك فيهم إبانة لهم عمن سواهم، ودلالة على مكانهم من

الله تعالی واختصاصهم به، ومما یؤیده من الأخبار قول النبی (صلّی الله علیه وآله): ابنای هذان إمامان قاما أو قعدا.

(ونساءنا) اتفقوا علی أن المراد به فاطمة (علیهاالسلام) لأنه لم یحضر المباهلة غیرها من النساء، وهذا یدل علی تفضیل الزهراء علی جمیع النساء، (وأنفسنا) یعنی علیاً خاصة، ولا یجوز أن یکون المعنی به النبی (صلّی الله علیه وآله) لأنه هو الداعی، ولا یجوز أن یدعی الإنسان نفسه، وإنما یصح أن یدعو غیره.

وإذا کان قوله: (وأنفسنا) لا بد أن یکون إشارة إلی غیر الرسول وجب أن یکون إشارة إلی علی (علیه‌السلام) لأنه لا أحد یدعی دخول غیر أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وزوجته وولدیه (علیهم‌السلام) فی المباهلة، وهذا یدل علی غایة الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه إلی حیث لا یبلغه أحد، إذ جعله الله سبحانه نفس الرسول، وهذا ما لا یدانیه أحد ولا یقاربه انتهی.

قال شیخنا المجلسی (رحمه الله): ویدل علی کون المراد بأنفسنا أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) ما رواه ابن‌حجر فی صواعقه روایة عن الدار قطنی: أن علیاً (علیه‌السلام) یوم الشوری احتج علی أهلها فقال لهم: أنشدکم الله هل فیکم أحد أقرب إلی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فی الرحم منی؟ ومن جعله نفسه، وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غیری؟ قالوا: اللهم لا.

ولا یخفی أن تخصیص هؤلاء من بین جمیع أقاربه (صلّی الله علیه وآله) للمباهلة دون عباس وعقیل وجعفر وغیرهم لا یکون إلا لأحد شیئین:

إما لکونهم أقرب الخلق إلی الله بعده، حیث استعان بهم فی الدعاء علی العدو دون غیرهم، وإما لکونهم أعز الخلق علیه حیث عرضهم للمباهلة إظهاراً لوثوقه علی حقیته، حیث لم یبال بأن یدعو الخصم علیهم مع شدة حبه لهم، وظاهر: أن حبه (صلّی الله علیه وآله) لم یکن من جهة البشریة والأمور الدنیویة، بل لم یکن یحب إلا من یحبه الله، ولم یکن حبه إلا خالصاً لله ... الخ.

قال بعض الأعلام: وخلاصة الکلام: أن مدار الحب فی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) التقوی والورع وسائر الفضائل والملکات الحسنة لا الأغراض الدنیویة الفاسدة، فتخصیصه (صلّی الله علیه وآله) هؤلاء من بین جمیع أقاربه دلیل علی محبته إیاهم، ومحبته دلیل علی کونهم أتقی وأورع وأفضل من غیرهم.

قال المجلسی (رحمه الله): فإذا ثبت ذلک فیرجع هذا أیضاً إلی کونهم أقرب الخلق وأحبهم إلی الله، فیکونون أفضل من غیرهم، فیقبح عقلاً تقدیم غیرهم علیهم.

وأیضاً لما ثبت أن المقصود بنفس الرسول (صلّی الله علیه وآله) فی هذه الآیة، لیس المراد النفسیة الحقیقیة، لامتناع اتحاد الاثنین، وأقرب المجازات إلی الحقیقة اشتراکهما فی الصفات والکمالات وخرجت النبوة بالدلیل، فبقی غیرها، ومن جملتها وجوب الطاعة والرئاسة العامة والفضل علی من سواه وسائر الفضائل.

قال الإمام الرازی فی کتابه الأربعین: وأما الشیعة فقد احتجوا علی أن علیاً أفضل الصحابة بوجوه: الحجة الأولی التمسک بقوله تعالی (فقل تعالوا) [۴۷] وثبت بالأخبار الصحیحة أن المراد من قوله: (وأنفسنا) هو علی، ومن المعلوم أنه یمتنع أن تکون نفس علی هی نفس محمد بعینه فلا بد أن یکون المراد هو المساواة بین النفسین وهذا یقتضی أن کل ما حصل لمحمد من الفضائل والمناقب فقد حصل مثله لعلی، ترک العمل بهذا فی فضیلة النبوة فوجب أن تحصل المساواة بینهما وراء هذه الصفة، ثم لا شک أن محمداً (صلّی الله علیه وآله) کان أفضل الخلق فی سائر الفضائل، فلما کان علی مساویاً له فی تلک الفضائل وجب أن یکون أفضل الخلق، لأن المساوی للأفضل یجب أن یکون أفضل.

ولنعم ما قال الشیخ کاظم الأزری فی هذه المناسبة:

یا بن عم النبی أنت ید

الله التی عم کل شیء نداها

أنت قرآنه القدیم وأوصا

فک آیاته التی أوحاها

خصک الله فی مآثر شتی

هی مثل الأعداد لا تتناهی

لیت عیناً بغیر روضک ترعی

قذیت واستمر فیها قذاها

أنت بعد النبی خیر البرایا

والسما خیر ما بها قمراها

لک ذات کذاته حیث لولا

أنها مثلها لما آخاها

علی یتصدق بالخاتم

عن الإمام الباقر (علیه‌السلام) فی قوله عزوجل: (إنما ولیکم الله ورسوله والذین آمنوا) [۴۸] الآیة قال: إن رهطاً من الیهود أسلموا، منهم: عبدالله بن سلام وأسد وثعلبة وابن‌صوریا، فأتوا النبی (صلّی الله علیه وآله) فقالوا: یا نبی الله إن موسی أوصی إلی یوشع بن نون فمن وصیک یا رسول‌الله؟ ومن ولینا بعدک؟ فنزلت هذه الآیة: (إنما ولیکم الله ورسوله والذین آمنوا الذین یقیمون الصلاة ویؤتون الزکاة وهم راکعون) ثم قال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): قوموا.

فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج، فقال: یا سائل أما أعطاک أحد شیئاً؟ قال: نعم هذا الخاتم، قال: من أعطاکه؟ قال: أعطانیه ذلک الرجل الذی یصلی، قال: علی أی حال أعطاک؟ قال: کان راکعاً.

فکبر النبی (صلّی الله علیه وآله) وکبر أهل المسجد، فقال النبی (صلّی الله علیه وآله): علی بن أبی‌طالب ولیکم بعدی، قالوا رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً وبعلی بن أبی‌طالب ولیاً، فأنزل الله عزوجل: (ومن یتول الله ورسوله والذین آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) [۴۹] فتقدم حسان بن ثابت وأنشأ یقول:

أباحسن تفدیک نفسی ومهجتی

وکل بطیء فی الهدی ومسارع

أیذهب مدحی والمحبر ضائع

وما المدح فی جنب الآله بضائع

فأنت الذی أعطیت إذ کنت راکعاً

فدتک نفوس القوم یا خیر راکع

فأنزل فیک الله خیر ولایة

وبیّنها فی محکمات الشرایع

وقال أیضاً:

علی أمیرالمؤمنین أخو الهدی

وأفضل ذی نعل ومن کان حافیا

وأول من أدی الزکاة بکفه

وأول من صلی ومن صام طاویا

فما أتاه سائل مد كفه

إليه ولم يبخل ولم يك جافيا

فدس إليه خاتماً وهو راكع

وما زال أواهاً إلى الخير داعيا

فبشر جبريل النبى محمداً

بذاك وجاء الوحى فى ذاك ضاحيا

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:

فديت علياً إمام الورى

سراج البرية مأوى التقى

وصى الرسول وزوج البتول

إمام البرية شمس الضحى

تصدق خاتمه راكعاً

فأحسن بفعل إمام الورى

ففضله الله رب العباد

وأنزل فى شأنه هل أتى

صورة أخرى لنزول الآية عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال: كنا جلوساً عند رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إذ ورد علينا أعرابى أشعث الحال عليه أثواب رثة والفقر ظاهر بين عينيه، ومعه عياله، فلما دخل المسجد سلم على النبى (صلّى الله عليه وآله) ووقف بين يديه وأنشد يقول:

أتيتك والعذراء تبكى بِرنةٍ

وقد ذهلت أم الصبى عن الطفل

وأخت وبنتان وأم كبيرة

وقد كدت من فقرى أخالط فى عقلى

وقد مسنى فقر وذل وفاقة

وليس لنا شىء يمر ولا يحلى

ولسنا نرى إلا إليك فرارنا

وأين مفر الخلق إلا إلى الرسل

فلما سمع النبى (صلّى الله عليه وآله) ذلك بكى بكاء شديداً، ثم قال لأصحابه: معاشر المسلمين إن الله تعالى، قد ساق إليكم ثواباً، وقاد إليكم أجراً، والجزاء من الله غرف فى الجنة، تضاهى غرف إبراهيم الخليل (عليه‌السلام)، فمن منكم يواسى هذا الفقير؟ فلم يجبه أحد، وكان فى ناحية المسجد على بن أبى‌طالب يصلى ركعات تطوعاً كانت له دائماً، فأومأ إلى الأعرابى بيده فدنا منه، فدفع إليه الخاتم من يده وهو فى صلاته فأخذه الأعرابى وانصرف.

ثم إن النبى أتاه جبرائيل ونادى: السلام عليك يا رسول‌الله ربك يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون.

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون). [۵۰].

فعند ذلك قام النبى (صلّى الله عليه وآله) قائماً على قدميه وقال: معاشر المسلمين أيكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله ولى كل من آمن؟ قالوا: يا رسول‌الله ما فينا من عمل خيراً سوى ابن عمك على بن أبى‌طالب فإنه تصدق بخاتمه على الأعرابى وهو يصلى.

فقال النبى (صلّى الله عليه وآله): وجبت الغرف لابن عمى على بن أبى‌طالب، فقرأ عليهم الآية ... الخ. صورة ثالثة فى المناقب وكشف الغمة: بينا عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل كلما قال ابن‌عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه نفسى: أنا جندب بن جنادة البدرى أبوذر الغفارى سمعت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) بهاتين وإلا صُمّتا، ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول: على قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

أما إنى صليت مع رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل فى المسجد، فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنى سألت فى مسجد رسول‌الله فلم يعطنى أحد شيئاً.

وكان على (عليه‌السلام) راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيه، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبى (صلّى الله عليه وآله) وهو يصلى، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخى موسى سألك فقال: (اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) [۵۱] فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا) [۵۲] اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى، واجعل لى وزيراً من أهلى علياً أشدد به أزرى.

قال أبوذر: فلما أتم رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) كلامه حتى نزل جبرائيل من عند الله عزوجل فقال: يا محمد: اقرأ فأنزل الله عليه (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون).

وقد روى المفسرون فى نزول هذه الآية أنها نزلت فى شأن على (عليه‌السلام) لما تصدق بخاتمه على السائل، وإن اختلفت ألفاظ الحديث فالمفاد والمضمون واحد.

وهذه الآية تصرح لعلى (عليه‌السلام) بالولاية العامة على المسلمين تلك الولاية الثابتة لله ولرسوله، وسنذكر فى حديث الغدير ما تيسر من معنى الولى والمولى إن شاء الله...

على فى سورة هل أتى

بسم الله الرحمن الرحيم‌الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

فى أمالى الصدوق عن الصادق (عليه‌السلام) عن أبيه فى قوله عزوجل: (يوفون بالنذر) [۵۳] قالا: مرض الحسن والحسين (عليهماالسلام) وهما صبيان صغيران فعادهما رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أباالحسن لو نذرت فى ابنك نذراً إن الله عافاهما، فقال أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عزوجل، وكذلك قالت فاطمة (عليهاالسلام) وقال الصبيان: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق على (عليه‌السلام) إلى جار له من اليهود يقال له: شمعون.

يعالج الصوف فقال هل لك أن تعطينى جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة (عليهاالسلام) فقبلت وأطاعت، ثم عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرصاً، وصلى على (عليه‌السلام) مع النبى (صلّى الله عليه وآله) المغرب؟ ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها على (عليه‌السلام) وإذا مسكين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع على (عليه‌السلام) اللقمة من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين

يا بنت خير الناس أجمعين

إلى آخر الأبيات.

ومضمونها التعطف على المسكين ويطلب (عليه‌السلام) من فاطمة (عليهاالسلام) أن تعطى شيئاً للمسكين.

فأقبلت فاطمة تقول:

أمرك سمع يا بن عم وطاعة

ما بى من لؤم ولا وضاعة

إلى آخر الأبيات التى تذكر فيها استعدادها لمساعدة المسكين الواقف على الباب ينتظر، وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح.

ثم عمدت إلى الثلث الثانى من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعاً من الشعير وطحنته وغزلته وخبزت منه خمسة أقرصة لكل واحد قرصاً، وصلى على المغرب مع النبى (صلّى الله عليه وآله) ثم أتى منزله فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها على (عليه‌السلام) وإذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعمونى مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع على اللقمة من يده ثم قال:

فاطم بنت السيد الكريم

قد جاءنا الله بذا اليتيم

إلى آخر أبياته التى يحرضها على إطعام اليتيم.

ثم أقبلت فاطمة وهى تقول:

فسوف أعطيه ولا أبالى

وأوثر الله على عيالى

أمسوا جياعاً وهم أشبالى

إلى آخر الأبيات التى تظهر فيها الموافقة على إطعام اليتيم ثم عمدت فأعطته جميع ما على الخوان، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح، وأصبحوا صياماً، وعمدت فاطمة (عليهاالسلام) فغزلت الثلث الباقى من الصوف وطحنت الباقى وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً.

وصلى على المغرب مع النبى (عليهماالسلام)، ثم أتى منزله، فقرب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها على (عليه‌السلام) وإذا بأسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا؟ فوضع على (عليه‌السلام) اللقمة من يده ثم قال:

فاطم يا بنت النبى أحمد

بنت نبى سيد مسود

إلى آخر الأبيات.

ثم أقبلت فاطمة وهى تقول:

لم يبق مما كان غير صاع

قد دبرت كفى مع الذراع

ثم تذكر استعدادها لمواساة الأسير.

وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جياعاً، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء.

قال شعيب في حديثه: وأقبل علي بالحسن والحسين (عليهماالسلام) نحو رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: يا أباالحسن شد ما يسوؤني ما أرى بكم!؟ انطلق إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ضمها إليه وقال: واغوثاه بالله؟ أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟ فهبط جبرائيل فقال: يا محمد خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبرائيل؟ قال: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) [۵۴] حتى إذا بلغ (إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً). [۵۵].

وقال الحسن بن مهران في حديثه: فوثب النبي (صلّى الله عليه وآله) حتى دخل منزل فاطمة (عليهاالسلام) فرأى ما بهم فجمعهم ثم انكب عليهم فبكى وهو يقول: أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم؟ فهبط عليه جبرائيل بهذه الآيات: (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) [۵۶] قال: هي عين في دار النبي (صلّى الله عليه وآله) يفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين (يوفون بالنذر) [۵۷] يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم‌السلام) وجاريتهم (ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) (ويطعمون الطعام على حبه) [۵۸] يقول: على شهوتهم للطعام وإيثارهم له (مسكيناً) من مساكين المسلمين (ويتيماً) من يتامى المسلمين (وأسيراً) من أسراء المشركين ويقولون إذا أطعموهم: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) [۵۹] قال: والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم أضمروه في أنفسهم، فأخبر الله بما في ضمائرهم، ويقولون: لا نريد جزاء تكافئوننا، به ولا شكوراً تثنون علينا به، ولكن إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه، قال الله تعالى ذكره: (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة) [۶۰] في الوجوه (وسروراً) في القلوب (وجزاهم بما صبروا جنة) [۶۱] يسكنونها (وحريراً) يفترشونه ويلبسونه (متكئين فيها على الأرائك) والأريكة: السرير عليه الحجلة (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) [۶۲] قال شيخنا المجلسي (رحمه الله) بعد ذكر أقوال المفسرين والمحدثين: في هذه السورة أقوال: بعدما عرفت من إجماع المفسرين والمحدثين على نزول هذه السورة في أصحاب الكساء (عليهم‌السلام) علمت أنه لا ـ يريب (يشك) أريب ولا لبيب في أن مثل هذا الإيثار لا يتأتى إلا من قبل الأئمة الأخيار وأن نزول هذه السورة مع المائدة عليهم يدل على جلالتهم ورفعتهم ومكرمتهم لدى العزيز الجبار ... الخ.

أقول: وأما كيف يمكن لهؤلاء أن يتجوعوا ثلاثة أيام بلياليها فليس ذلك بمستبعد، لأننا نسمع ونقرأ في الصحف أن بعض الأفراد استمر صومهم تسعة أيام بدون أن يدخل شيء في جوفهم، وأما المرتاضون الذين يتجوعون بصورة مدهشة وينحصر أكلهم في كل يوم في لوزة واحدة ولا ـ يموتون من الجوع بل يعيشون أعواماً وأعواماً، ويمكن أن نقول: إن العادة في التجوع وعدمه لها تأثير ودخل في الموضوع.

وما قاله بعض الجهال: أنه هل يجوز أن يبالغ الإنسان في الصدقة إلى هذا الحد ويجوع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك؟ فقد ضرب الرقم القياسي في التجاهل أو العناد، لأن هذا هو المواساة والله تعالى يقول: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [۶۳] مع احتياجهم إلى الطعام يفضلون غيرهم على أنفسهم فلو كان هذا الإيثار قبيحاً لما مدحهم الله تعالى: وأيضاً: إن الله تعالى أنزل سورة على نبيه تقديراً لهذا الإيثار الذي لا نظير له في البشر، إلا عند الأنبياء فما دونهم.

فما قيمة انتقاد المخلوق الجاهل لهذا العمل العظيم الذي لم يسجل ولا يسجل التاريخ شبيهاً ومثيلاً له في تاريخ الكرماء الأسخياء فضلاً عن غيرهم؟؟

مفاخرة علي والعباس

روى الحاكم أبوالقاسم الحسكاني عن ابن‌بريدة عن أبيه قال: بينا شيبة بن أبي‌طلحة والعباس عم النبي يتفاخران إذ مر بهما علي بن أبي‌طالب (عليه‌السلام) فقال: بماذا تتفاخران؟ فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد: سقاية الحاج.

وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام.

فقال على (عليه‌السلام) استحييت لكما فقد أوتيت على صغرى ما لم تأتيا، فقالا: وما أوتيت يا على؟ قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله.

فقام العباس يجر ذيل ثوبه حتى دخل على رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وقال: أما ترى إلى ما يستقبلنى به على؟ فقال (صلّى الله عليه وآله): ادعوا لى علياً فدعى له، فقال: ما حملك على ما استقبلت به عمك؟ فقال: يا رسول‌الله صدمته (دفعته) بالحق، فمن شاء ليغضب ومن شاء فليرضى.

فنزل جبرائيل وقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك‌السلام ويقول: أتل عليهم: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون) [۶۴] فقال العباس: إنا قد رضينا ثلاث مرات.

آية النجوى

المفاخرة بصورة أخرى قد ذكرنا فيما مضى شيئاً من خصائص الإمام (عليه‌السلام) التى تفرد بها عن غيره وكان يفتخر بها، لأن الله تعالى أنزل فى حقه وشأنه آية أو أكثر.

ومن جملة تلك الخصائص الفريدة والمزايا الحميدة ما رواه المفسرون، فى تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر). [۶۵].

فقد أورد الثعلبى والواحدى وغيرهما من علماء التفسير: أن الأغنياء أكثروا مناجاة النبى (صلّى الله عليه وآله) وغلبوا الفقراء على المجالس عنده حتى كره رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ذلك واستطالة جلوسهم وكثرة مناجاتهم، فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) فأمر بالصدقة أمام المناجاة.

وأما أهل العسرة (الفقراء) فلم يجدوا، وأما الأغنياء فبخلوا، وخف ذلك على رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وخف ذلك الزحام، وغلبوا على حبه والرغبة فى مناجاته حب الحطام، واشتد على أصحابه، فنزلت الآية التى بعدها راشقة لهم بسهام الملام، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الإقدام.

وقال على (عليه‌السلام): إن فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى، وهى آية المناجاة، فإنها لما نزلت كان لى دينار فبعته بعشر دراهم وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى فنيت الدراهم، فنسخت (الآية) بقوله: (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) [۶۶] الآية.

وقال ابن‌عمر: ثلاث كن لعلى لو أن لى واحدة منهن كانت أحب إلى من حمر النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطاءه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وروى الشيخ الطوسى (ره) عن الترمذى والثعلبى عن على (عليه‌السلام) أنه قال: بى خفف الله عن هذه الأمة، لأن الله امتحن الصحابة بهذه الآية فتقاعسوا عن مناجاة الرسول، وكان قد احتجب فى منزله من مناجاة كل أحد إلا من تصدق وكان معى دينار فتصدقت به، فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالآية، ولو لم يعمل بها أحد لنزل العذاب لامتناع الكل عن العمل بها.

وفى كتاب فرائد السمطين: أن علياً (عليه‌السلام) ناجى رسول‌الله عشر مرات بعشر كلمات قدمها عشر صدقات، فسأل فى الأولى: ما الوفاء؟ قال: التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم قال: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله عزوجل.

قال: وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك.

قال: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

قال: وما علی؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله، قال: وکیف أدعو الله تعالی؟ قال: بالصدق والیقین، قال: وما أسأل الله تعالی؟ قال: العافیة.

قال: وماذا أصنع لنجاة نفسی؟ قال: کل حلالاً وقل صدقاً قال: وما السرور؟ قال: الجنة.

قال: وما الراحة؟ قال: لقاء الله تعالی، فلما فرغ نسخ حکم الآیة.

قال بعض الأعلام: وأنت إذا تأملت فی هذه الکلمات العشر وما فیها من الحکم والخیر الکثیر التی لا یعطیها الله ولا یؤتیها إلا خاصة خلقه والصالحین من عباده تجد أنها جدیرة بأن یبذل بإزائها الدنیا وما فیها، وکیف لا وقد بذل أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) کل ما کان یملک وهو دینار واحد کما استفدنا من الروایات السابقة لیأخذ هذه الکنوز الغالیة من الحکم...

الخ وقد ذکرنا فیما مضی نزول قوله تعالی: (ومن الناس من یشری نفسه ابتغاء مرضات الله). [۶۷].

أنها نزلت فی مبیت علی (علیه‌السلام) علی فراش رسول‌الله، وقد ذکر ذلک المفسرون من الشیعة والسنة.

وقد ذکر المفسرون والمحدثون من الفریقین آیات کثیرة نزلت فی شأن علی (علیه‌السلام) وأنه المقصود بها تفسیراً أو تأویلاً بأنه: الشهید، والشاهد، والمشهود، والذکر والنور والهدی والصادق والمصدق والصدیق والفضل والرحمة والنعمة، والذی عنده علم الکتاب، وقد ورد لکل اسم من هذه الأسماء حدیث أو أکثر، یصرح بأن علیاً (علیه‌السلام) هو المقصود بذلک الاسم ورعایة للاختصار اکتفینا بالإشارة فقط، ولنا فی المستقبل مجال للتحدث عن الآیات القرآنیة التی ترتبط بالإمام علی (علیه‌السلام).

علی والعلم

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله فوق حمد الحامدین وصلی الله علی سید الأنبیاء والمرسلین محمد وآله الطیبین الطاهرین.

قال الله تعالی فی کتابه العزیز: (قل هل یستوی الذین یعلمون والذین لا یعلمون) [۶۸] لا شک أن العلم فضیلة وکمال، ویعترف البشر بشرفه، ویفضل العالم علی الجاهل بالفطرة لا بالتقلید، وعلی هذا الأساس لم یسکت الإسلام عن فضیلة العلم والعالم فقد قال الرسول الأعظم (صلّی الله علیه وآله): طلب العلم فریضة علی کل مسلم.

والقرآن الکریم یشیر إلی مزیة العلم وقیمته وکرامته فی کثیر من الآیات، ویثنی علی کل من أوتی العلم نصیباً.

ومن أهم الأسس للوظائف الراقیة والمناصب السامیة (کالحکم والقضاء) هو العلم بالأحکام الشرعیة وتعالیم آداب القضاء والفتوی، ودرجات الإیمان بالله ومعرفته تابعة لمراتب العلم.

ونحن لا نستطیع أن نعرف علم الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) ومدی إیمانه بالله تعالی، لأن الرسول (صلّی الله علیه وآله) قال فی حدیث صحیح: یا علی لا یعرف الله إلا أنا وأنت، ولا یعرفنی إلا الله وأنت، ولا یعرفک إلا الله وأنا.

ولا نستطیع أن نحدد علم الإمام ونحیط به، لأنه من علم رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وعلم رسول‌الله من الله تعالی، ولیس عن طریق الاکتساب والتحصیل بل بالإفاضة من عند الله تعالی، ونجد فی القرآن الکریم طائفة کبیرة من الآیات البینات التی تصرح بأن علوم الأنبیاء من عند الله تعالی عن طریق الإفاضة والإلقاء فی القلب، ومعلوم: أن هذا النوع من العلم لا یشوبه شیء، ولا مجال للباطل إلیه، بل هو الحق الصحیح الصدق المطابق للواقع، وإلیکم بعض تلک الآیات: (وقل: رب زدنی علماً). [۶۹].

(فوجدا عبداً من عبادنا آتیناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً). [۷۰].

(وزاده بسطة فی العلم والجسم). [۷۱].

(وکلاً آتیناه حکماً وعلماً). [۷۲].

(ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً). [۷۳].

(ولقد آتينا داود وسليمان علماً). [۷۴].

(فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً). [۷۵].

(إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى). [۷۶].

(إذ قال الله يا عيسى بن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلاً، وإذ علمتك الكتاب والحكمة). [۷۷].

(وعلم آدم الأسماء كلها). [۷۸].

(يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك). [۷۹].

(ففهمناه سليمان). [۸۰].

(ذلكما مما علمنى ربى). [۸۱].

(وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم). [۸۲].

(وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء). [۸۳].

(وإنه لذو علم لما علمناه). [۸۴].

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله). [۸۵].

إذا عرفتم ذلك فكيف نستطيع أن نعرف مقياس علوم الإمام ومستوى معارفه وثقافته الإلهية؟ وكيف نتمكن من الإحاطة بعلم باب مدينة علم الرسول (صلّى الله عليه وآله) والتلميذ الأول للرسول الأعظم الذى فرغ رسول‌الله علومه فى صدر الإمام، وعلمه فى وجبة واحدة ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب؟.

وما يدرى هل آسف على الإمام الذى ضاع قدره فى ذلك العهد فلم يفسح له المجال ليبث للمسلمين شيئاً من علومه الإلهية ومعارفه الربانية؟ أم آسف على المسلمين الذين حرموا من ذلك المنهل العذب وهم بأمس الحاجة إلى العلم؟ فقد مضى خمس وعشرون سنة وعلى (عليه‌السلام) جليس بيته مسلوب الإمكانيات مكبوتاً عليه لا يستطيع تنوير العقول بعلومه وتزويد النفوس بمواهبه؟ قد نسمع أن بعض الغربيين يبدى أسفه على مكتبة الإسكندرية التى حكم عليها بالإحراق، وما ضاعت هناك من علوم وكنوز وأسرار وفنون وصارت طعمة للحريق، فلو كانت تلك العلوم فى متناول البشر اليوم وقبل اليوم لكانوا فى أرقى درجات الحضارة وأوج العظمة يتصرفون فى تلك الكنوز ويعيشون فى أوسع فضاء يستنشقون شتى العلوم ويتنعمون بتلك الثروة الفكرية التى كانت تساعدهم فى التقدم بصورة مدهشة.

وسبب تأخر المسلمين خاصة والبشر عامة فى خلال هذه القرون إنما هو من بركات ذلك العمل اللاإنسانى!.

إن كان احتراق مكتبة تضم الكتب المتنوعة يوجب التأثر والتألم فى نفوس هواة العلم ورواد الفضيلة مع العلم أن الكتب كانت صامتة لا ينتفع بها الأميون والذين لا يحسنون لغة تلك الكتب، فإن تجميد شخصية قد تمثلت وتجمعت فيها دوائر المعارف بكافة أنواعها وجميع أقسامها يؤسف له أكثر وأكثر، أليس من المؤسف أن تعيش أمة من الناس فى الظلمات، وعندهم الضياء اللامع والسراج المنير الذى يضىء لهم الدروب والطرق وهم بأمس الحاجة إليه؟؟ وإذا بجماعة يحاولون إخفاء ذلك الضياء والحيلولة بينه وبين الإضاءة والإشراق، ويعجبهم أن يشاهدوا الناس محرومين عن الاستضاءة بأنوار ذلك القمر، وفعلاً وصلوا إلى ما أرادوا، وحكموا على المجتمع الإسلامى بالخيبة والحرمان من العلوم الإلهية وكنوز المعارف الربانية، وذلك حينما حكموا على على (عليه‌السلام) بالاعتزال وسلبوه كل نشاط علمى، وضيقوا عليه المجال غاية التضييق خلال خمس وعشرين سنة كما تقدم الكلام.

وبعد أن وجد المجال وعادت إليه الإمكانيات واسترد ما سلب منه، وإذا بالحروب الداخلية والاضطرابات تحط من نشاطه العلمى

وتبلبل فكره وتشغل قلبه، وتسلب القرار والاطمئنان من ذلك المجتمع، فينقلب النشاط العلمى إلى طاقة حربية، وتنقلب المعاهد الثقافية إلى معارك دامية ومجازر مشجية وما هنالك من نتائج وخيمة.

بالرغم من هذا كله فقد استطاع الإمام أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) أن يرفع أضوأ مشعل للعلم فى سماء الثقافة والمعرفة، فهذا كتاب نهج البلاغة وهو جزء من أربعة وعشرين جزءاً من خطب الإمام وكلماته الحكمية ورسائله القيمة، وهذه الكمية هى التى حفظها التاريخ ولا تسأل عن الخطب والعلوم التى ضاعت ولم تلتقطها الأدمغة ولم تسجلها مسجلات التاريخ، فقد روى أن علياً (عليه‌السلام) خطب فى الناس يوماً من بعد صلاة الصبح إلى قبيل الظهر، فكان الإمام يفيض على الخلائق العلوم بشتى أنواعها طيلة ست ساعات تقريباً.

والآن نذكر لكم ما تيسر من الأحاديث الواردة حول علوم الإمام ومدى سعة معلوماته الجمة: (فى البحار) قال أميرالمؤمنين (عليه‌السلام): لو ثنيت لى الوسادة لحكمت بين أهل القرآن حتى يزهر إلى الله ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله، ولولا آية فى كتاب الله لأنبأتكم بما يكون حتى تقوم الساعة.

وقال على (عليه‌السلام): لأنا أعلم بالتوراة من أهل التوراة وأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل.

عن الأصبغ بن نباتة قال: لما قدم على (عليه‌السلام) الكوفة صلى بهم أربعين صباحاً فقرأ بهم: (سبح اسم ربك الأعلى) [۸۶] فقال المنافقون: والله ما يحسن أن يقرأ ابن أبى‌طالب القرآن، ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة، قال: فبلغه ذلك، فقال ويلهم! إنى لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وفصاله من وصاله، وحروفه من معانيه، والله ما حرف نزل على محمد (صلّى الله عليه وآله) إلا وأنا أعرف فيمن أنزل وفى أى يوم نزل وفى أى موضع نزل، ويلهم أما يقرءون (إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) [۸۷] والله عندى، ورثتها من رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وورثها رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) من إبراهيم وموسى، ويلهم! والله إنى أنا الذى أنزل الله فى: (وتعيها أذن واعية) [۸۸] فإنا كنا عند رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فيخبرنا بالوحى، فأعيه ويفوتهم، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟.

عن عبابة بن ربعى قال: سمعت علياً (عليه‌السلام) يقول: سلونى قبل أن تفقدونى، ألا تسألون من عنده علم المنايا والبلايا والأنساب؟

عن الأصبغ بن نباته، قال: لما بويع أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) لابساً برديه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سرته، ثم قال: يا معشر الناس سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى فإن عندى علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنى لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك.

والله إنى لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدّعٍ علمه، ولولا آية فى كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة.

ثم قال: سلونى قبل أن تفقدونى، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونى عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها والله ما من فئة تضل أو تهدى إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة.

قال ابن‌عباس: على علم علماً علمه رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ورسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) علمه الله، فعلم النبى صلوات الله عليه وآله من علم الله، وعلم على من علم النبى (صلّى الله عليه وآله) وعلمى من علم على (عليه‌السلام)، وما علمى وعلم أصحاب محمد (صلّى الله عليه وآله) فى علم على إلا كقطرة فى سبعة أبحر.

عن ابن‌عباس أن عمر بن الخطاب قال له: يا أباالحسن إنك لتعجل فى الحكم والفصل للشىء إذا سئلت عنه! قال: فأبرز على كفه وقال له: كم هذا؟ فقال عمر: خمسة، فقال عجلت: أباحفص؟ قال: لم يخف على، فقال على (عليه‌السلام): وأنا أسرع فيما لا يخفى على.

قال الصادق (علیه‌السلام) لابن أبی‌لیلی: أتقضی بین الناس یا عبد الرحمن؟ قال: نعم یا ابن‌رسول‌الله، قال: بأی شیء تقضی؟ قال: بکتاب الله.

قال: فما لم تجد، فی کتاب الله؟ قال من سنة رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وما لم أجده فیهما أخذته عن الصحابة بما اجتمعوا علیه، قال: فإذا اختلفوا فبقول من تأخذ منهم؟ قال: بقول من أردت وأخالف الباقین، قال أبوعبدالله (علیه‌السلام): ما تقول یوم القیامة إذا رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) قال: أی رب إن هذا بلغه عنی قول فخالفه؟ قال: وأین خالفت قوله یا ابن‌رسول‌الله؟ قال: فبلغک أن رسول‌الله قال: أقضاکم علی (علیه‌السلام)؟ قال: نعم، قال: فإذا خالفت قوله ألم تخالف قول رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله)؟ فاصفر وجه ابن أبی‌لیلی وسکت.

عن الأصبغ بن نباتة وجماعة أن أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) قال بحضرة المهاجرین والأنصار وأشار إلی صدره کیف ملئ علماً لو وجدت له طالباً؟ سلونی قبل أن تفقدونی، هذا سفط العلم هذا لعاب رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) هذا ما زقنی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) زقاً، فاسألونی فإن عندی علم الأولین والآخرین أما والله لو ثنیت لی الوسادة..

الخ.

وفی نهج‌البلاغة: (فوالذی نفسی بیده لا تسألونی عن شیء فیما بینکم وبین الساعة ولا عن فئة تهدی مائة وتضل مائة إلا نبأتکم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ رکابها ومحط رحالها، ومن یقتل من أهلها قتلاً ویموت موتاً).

وعن سلمان أنه قال (علیه‌السلام): عندی علم المنایا والبلایا والوصایا والأنساب وفصل الخطاب، ومولد الإسلام ومولد الکفر، وأنا صاحب المیسم، وأنا الفاروق الأکبر، ودولة الدول فسلونی عما یکون إلی یوم القیامة، وعما کان قبلی وعلی عهدی وإلی أن یعبد الله.

علی والخطابة

ألا ترى إلى خطبه (علیه‌السلام) مثل: التوحید والشقشقیة والهدایة والملاحم واللؤلؤة والغراء والقاصعة والافتخار والأشباح والدرة الیتیمة والأقالیم والوسیلة والطالوتیة والقصبیة والسلمانیة والناطقة والدامغة والفاضحة، بل إلی نهج‌البلاغة عن الشریف الرضی، وکتاب خطب أمیرالمؤمنین عن إسماعیل بن مهران السکونی عن زید بن وهب أیضاً، قال الرضی: کان أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مکنونها، وعنه أخذت قوانینها.

الجاحظ فی کتاب الغرة: کتب علی (علیه‌السلام) إلی معاویة: غرّک عزّک، فصار قصار ذلک ذلک، فاخش فاحش فعلک فعلک تهدا بهدا.

وقال (علیه‌السلام): (من آمن أمن).

قال ابن أبی‌الحدید فی شرحه علی نهج‌البلاغة: وأما الفصاحة فهو (علیه‌السلام) إمام الفصحاء، وسید البلغاء وعن کلامه قیل: هو (دون کلام الخالق وفوق کلام المخلوق) ومنه تعلم الناس الخطابة والکتابة.

قال عبدالحمید بن یحیی: حفظت سبعین خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت.

وقال نباتة: حفظت من الخطابة کنزاً لا یزیده الإنفاق إلا سعة وکثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علی بن أبی‌طالب.

ولما قال محفن بن أبی‌محفن لمعاویة: (جئتک من عند أعیی الناس) قال له: ویحک! کیف یکون أعیی الناس؟! فو الله ما سن الفصاحة لقریش غیره.

ویکفی هذا الکتاب الذی نحن شارحوه دلالة علی أنه لا یجاری فی الفصاحة، ولا یبارى فی البلاغة، وحسبک أنه لم یدون لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشر مما دون له، وکفاک فی هذا الباب ما یقوله أبوعثمان الجاحظ فی مدحه فی کتاب (البیان والتبیین) وفی غیره من کتبه.

من خطبة له یذکر فیها بدیع خلقة الخفاش

منها: ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحکمة فی هذه الخفافیش التی یقبضها الضیاء الباسط لکل شیء ویبسطها الظلام القابض لکل حی.

وکیف عشیت أعینها، عن أن تستمد من الشمس المضیئة نوراً تهتدی به فی مذاهبها، وتتصل بعلانیة برهان الشمس إلی معارفها، وردعها بتلألؤ ضیائها عن المضی فی سبحات إشراقها، وأکنها فی مکانها عن الذهاب فی بلج ائتلاقها، فهی مسدلة الجفون بالنهار علی أحداقها، وجاعلة اللیل سراجاً تستدل به فی التماس أرزاقها.

فلا یرد أبصارها إسداف ظلمته، ولا تمتنع من المضی فیه لغسق دجنته، فإذا ألقت الشمس قناعها، وبدت أوضاح نهارها، ودخل من إشراق نورها علی الضباب فی وجارها، أطبقت الأجفان علی مآقیها، وتبلغت بما اکتسبت من ضیء ظلم لیالیها، فسبحان من جعل اللیل لها نهاراً ومعاشاً، والنهار سکناً وقراراً، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلی الطیران کأنها شظایا الآذان، غیر ذوات ریش ولا قصب، إلا أنک تری مواضع العروق بینة أعلاماً، لها جناحان لم یرقا فینشقا، ولم یغلظا فیثقلا.

تطیر وولدها لاصق بها، لاجئ إلیها، یقع إذا وقعت، ویرتفع إذا ارتفعت.

لا یفارقها حتی تشتد أرکانه، ویحمله للنهوض جناحه، ویعرف مذاهب عیشه ومصالح نفسه.

فسبحان البارئ لکل شیء علی غیر مثال خلا من غیره.

من خطبة له یذکر فیها عجیب خلقة الطاووس

ابتدعهم خلقاً من حیوان وموات، وساکن وذی حرکات.

فأقام من شواهد البینات علی لطیف صنعته وعظیم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به..

ومسلمة له.

ونعقت فی أسماعنا دلائله علی وحدانیته وما ذرأ من مختلف طیور الأطیار التی أسکنها أخادید الأرض وخروق فجاجها، ورواسی أعلامها.

من ذات أجنحة مختلفة، وهیئات متباینة، مصرفة فی زمام التسخیر ومرفرفة بأجنحتها فی مخارق الجو المنفسح، والفضاء المنفرج.

کونها بعد أن لم تکن فی عجائب صور ظاهرة، ورکّبها فی حقاق مفاصل محتجبة.

ومنع بعضها بعبالة خلقه أن یسمو فی السماء خفوفاً، وجعله یدف دفیفاً.

ونسقها علی اختلافها فی الأصابیغ بلطیف قدرته ودقیق صنعته.

فمنها مغموس فی قالب لون لا یشوبه غیر لون ما غمس فیه.

ومنها مغموس فی لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن أعجبها خلقاً: الطاووس الذی أقامه فی أحکم تعدیل، ونضد ألوانه فی أحسن تنضید، بجناح أشرج قصبه، وذنب أطال مسحبه، إذا درج إلی الأنثی نشره من طیه، وسما به مطلاً علی رأسه کأنه قلع داری عنجه نوتیه.

یختال بألوانه، ویمیس بزیفانه، یفضی کأفضاء الدیکة، ویؤر بملاحقةِ أرّ الفحول المغتلمة فی الضراب.

أحیلک من ذلک علی معاینة، لا کمن یحیل علی ضعیف إسناده.

ولو کان کزعم من یزعم أنه یلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف فی ضفتی جفونه وأن أنثاه تطعم ذلک، ثم تبیض لا من لقاح فحل سوی الدمع المنبجس لما کان ذلک بأعجب من مطاعمة الغراب، تخال قصبه مداری من فضة وما أنبت علیها من عجیب داراته

وشموسه خالص العقبان وفلذ الزبرجد فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت جنى جنى من زهرة كل ربيع.

وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشى الحلل أو كمونق عصب اليمن.

وإن شاكلته بالحلى فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكلل، يمشى مشى المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً لجمال سربال وأصابيغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجعه، لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله فى موضع العرف قنزعة خضراء موشاة، ومخرج عنقه كالإبريق ومغرزها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر أسحم، إلا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه أن الخضرة الناضرة ممتزجة به.

ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم فى لون الأقحوان أبيض يقق.

فهو ببياضه فى سواد ما هنالك يأتلق.

وقل صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه، فهو كالأزاهير المبثوثة لم تربها أمطار ربيع ولا شموس قيظ.

وقد يتحسر من ريشه، ويعرى من لباسه، فبسقط تترى، وينبت تباعاً...

فينحت من قصبه انحتات أوراق الأغصان، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه.

لا يخالف سالف ألوانه، ولا يقع لون فى غير مكانه.

وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية، وتارة خضرة زبرجدية، وأحياناً صفرة عسجدية فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن تصفه.

فسبحان الذى بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدوداً مكوناً، ومؤلفاً ملوناً.

وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقعد بها عن تأدية نعته.

وسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة إلى ما فوقهما من خلق الحيتان والأفيلة.

ووأى على نفسه أن لا يضطرب شبح مما أولج فيه الروح إلا وجعل الحمام موعده والفناء غايته.

ومنها خطبتان له الأولى خالية من الألف والثانية خالية من النقط

إحداهما بلا ألف والأخرى بلا نقطة (الأولى) فى المناقب روى الكلبى عن أبى‌صالح وأبوجعفر بن بابويه قدس سره بإسناده عن الرضا (عليه‌السلام) عن آبائه (عليهم‌السلام) أنه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أن الألف أكثر دخولاً فى الكلام فارتجل (عليه‌السلام) الخطبة المونقة وهى:

حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت رحمته غضبه، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيته، حمدته حمد مقر بربوبيته، متخضع لعبوديته، متنصل من خطيئته، متفرد بتوحده، مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شهود مخلص موقن، وفردته تفريد مؤمن متيقن، ووحدته توحيد عبد مذعن، ليس له شريك فى ملكه ولم يكن له ولى فى صنعه، جل عن مشير ووزير، وعن عون ومعين ونصير ونظير علم فستر، وبطن فخبر، وملك فقهر، وعصى فغفر، وحكم فعدل، لم يزل ولن يزول ليس كمثله شىء وهو بعد كل شىء، رب معتزز بعزته، متمكن بقوته، متقدس بعلوه متكبر بسموه ليس يدركه بصر، ولم يحط به نظر، قوى منيع، بصير سميع، رؤوف رحيم عجز عن وصفه من يصفه، وضل عن نعته من يعرفه، قرب فبعد، وبعد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفى، وبطش قوى، ورحمة موسعة، وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة مونقة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة، وشهدت ببعث محمد رسوله وعبده وصفيه ونبيه ونجيه وحبيبه وخليله، بعثه

فی خیر عصر، وحین فترة، وکفر، رحمة لعبیده ومنه لمزیده، ختم به نبوته، وشید به حجته، فوعظ، ونصح وبلغ وکدح، رؤوف بکل مؤمن رحیم، رضی ولی زکی، علیه رحمة وتسلیم وبرکة وتکریم، من رب غفور رحیم قریب مجیب، وصیتکم معشر من حضرنی بوصیة ربکم وذکرتکم بسنة نبیکم، فعلیکم برهبة تسکن قلوبکم، وخشیة تذری دموعکم، وتقیة تنجیکم قبل یوم یبلیکم ویذهلکم، یوم یفوز فیه من ثقل وزن حسنته، وخف وزن سیئته ولتکن مسألتکم وتملقکم مسألة ذل وخضوع، وشکر وخشوع، بتوبة ونزع، وندم ورجوع، ولیغتنم کل مغتنم منکم صحته قبل سقمه، وشیبته قبل هرمه، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل تکبر وتهرم وتسقم، یمله طبیبه ویعرض عنه حبیبه، ویقطع عمره ویتغیر عقله، ثم قیل هو موعوک، وجسمه منهوک، ثم جد فی نزع شدید، وحضره کل قریب وبعید، فشخص بصره وطمح نظره، ورشح جبینه وعطف عرینه، وسکن حنینه، وحزنته نفسه، وبکته عرسه، وحفر رمسه، ویتم منه ولده، وتفرق منه عدده، وقسم جمعه، وذهب بصره وسمعه، ومدد وجرد وعری وغسل، ونشف وسجی، وبسط له وهیئ، ونشر علیه کفنه، وشد منه ذقنه، وقمص وعمم، وودع وسلم، وحمل فوق سریر، وصُلی علیه بتکبیر، ونقل من دور مزخرفة، وقصور مشیدة، وحجر منجدة، وجعل فی ضریح ملحود وضیق مرصود، بملبن منضود، مسقف بجلمود، وهیل علیه حفره، وحثی علیه قدره وتحقق حضره، ونسی خیره، ورجع عنه ولیه، وصفیه وندیمه ونسیبه، وتبدل به قرینه وحبیبه، فهو حشو قبر، ورهین قفر، یسعی بجسمه دود قبره ویسیل صدیده من منخره، یسحق برمته لحمه، وینشف دمه ویرم عظمه، حتی یوم حشره.

فنشر من قبره حین ینفخ فی صور، ویدعی بحشر ونشور فثم بعثرت قبور، وحصلت سریرة صدور، وجیء بکل نبی وصدیق وشهید، وتوحد للفصل قدیر، بعبده خبیر بصیر، فکم من زفرة تضنیه، وحسرة تنضیه، فی موقف مهول، ومشهد جلیل، بین یدی ملک عظیم وبکل صغیر وکبیر علیم، فحینئذ یلجمه عرقه، ویحصره قلقه، عبرته غیر مرحومة، وصرخته غیر مسموعة وحجته غیر مقبولة، زاول جریدته، ونشر صحیفته، نظر فی سوء عمله، وشهدت علیه عینه بنظره، ویده ببطشه، ورجله بخطوه، وفرجه بلمسه، وجلده بمسه، فسلسل جیده، وغلت یده، وسیق فسحب وحده، فورد جهنم بکرب وشدة فظل یعذب فی جحیم، ویسقی شربة من حمیم، تشوی وجهه وتسلخ جلده، وتضربه زبنیته بمقمع من حدید، ویعود جلده بعد نضجه کجلد جدید، یستغیث فتعرض عنه خزنة جهنم، ویستصرخ فیلبث حقبة یندم، نعوذ برب قدیر، من شر کل مصیر، ونسأله عفو من رضی عنه، ومغفرة من قبله، فهو ولی مسألتی، ومنجح طلبتی، فمن زحزح عن تعذیب ربه جعل فی جنته بعزته وخلد فی قصور مشیدة، وملک بحور عین وحفدة، وطیف علیه بکؤوس وسکن حظیرة قدس، وتقلب فی نعیم، وسقی من تسنیم، وشرب من عین سلسبیل، ومزج له بزنجبیل، مختم بمسک وعبیر، مستدیم للملک، مستشعر للسرور، یشرب من خمور فی روض مغدق لیس یصدع من شربه، ولیس ینزف، هذه منزلة من خشی ربه، وحذر نفسه معصیته، وتلک عقوبة من جحد مشیئته، وسولت له نفسه معصیته، فهو قول فصل، وحکم عدل، وخبر قصص قص، ووعظ نص، تنزیل من حکیم حمید، نزل به روح قدس مبین، علی قلب نبی مهتد رشید، صلت علیه رسل سفرة مکرمون بررة، عذت برب علیم رحیم کریم من شر کل عدو لعین رجیم، فلیتضرع متضرعکم ولیبتهل مبتهلکم ویستغفر کل مربوب منکم لی ولکم وحسبی ربی وحده.

ثم ارتجل الإمام (علیه‌السلام) خطبة أخری خالیة من النقط وهی علی نسختین (الأولی):

الحمد لله الملک المحمود، المالک الودود مصور کل مولود، ومآل کل مطرود، ساطح المهاد وموطد الأطواد، ومرسل الأمطار ومسهل الأوطار، عالم الأسرار ومدرکها، ومدمر الأملاک ومهلکها، ومکور الدهور ومکررها، ومورد الأمور ومصدرها، عم سماحه وکمل رکامه، وهمل، وطاوع السؤال والأمل، وأوسع الرمل وأرمل، أحمده حمداً ممدوداً، وأوحده کما وحد الأواه، وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسواه أرسل محمداً علماً للإسلام وإماماً للحکام مسدداً للرعاع ومعطل أحکام ودٍّ وسواع، أعلم وعلم، وحکم وأحکم، وأصل الأصول، ومهد وأکد الموعود، وأوعد أوصل الله له الإکرام، وأودع روحه‌السلام، ورحم آله وأهله الکرام، ما لمع رائل وملع دال، وطلع هلال، وسمع إهلال، اعملوا رعاکم الله أصلح الأعمال واسلکوا مسالک الحلال، واطرحوا الحرام، ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع،

ومصاهرکم أطهرالأحرار مولداً وأسراهم سؤدداً، وأحلاهم مورداً، وها هو أمکم وحل حرمکم مملکاً عروسکم المکرمه وما مهر لها کما مهر رسول‌الله أمسلمه، وهو أکرم صهر أودع الأولاد وملک ما أراد وما سها مملکه ولا وهم ولا وکس ملاحمه ولا وصم، اسأل الله حکم أحماد وصاله، ودوام إسعاده، وألهم کلاً إصلاح حاله والأعداد لمآله ومعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله أحمد.

(الثانیة): فی المناقب روی الکلبی عن أبی‌صالح وأبوجعفر بن بابویه بإسناده عن الرضا (علیه‌السلام) عن آبائه (علیهم‌السلام) أن أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) ارتجل خطبة أخری من غیر النقط التی أولها:

الحمد لله أهل الحمد ومأواه وأوکد الحمد وأحلاه وأسرع الحمد وأسراه وأطهر الحمد وأسماه وأکرم الحمد وأولاه إلی آخرها.

ومنهم الشعراء وهو (علیه‌السلام) أشعرهم وذکر البلاذری فی أنساب الأشراف أن علیاً أشعر الصحابة وأفصحهم وأکتبهم.

فی تاریخ البلاذری: کان أبوبکر یقول الشعر، وعمر یقول الشعر وعثمان یقول الشعر، وکان علی (علیه‌السلام) أشعر الثلاثة.

ومنهم الوعاظ ولیس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ والزواجر ما له نحو قوله (علیه‌السلام): (من زرع العدوان حصد الخسران، من ذکر المنیة نسی الأمنیة، من قعد به العقل قام به الجهل، یا أهل الغرور ما ألهجکم بدار خیرها زهید، وشرها عتید، ونعیمها مسلوب، وعزیزها منکوب، ومسالمها محروب، ومالکها مملوک وتراثها متروک؟).

ومنهم الفلاسفة وهو (علیه‌السلام) أرجحهم، قال (علیه‌السلام): أنا النقطة أنا الخط، أنا الخط أنا النقطة، أنا النقطة والخط، فقال جماعة: إن القدرة هی الأصل، والجسم حجابه، والصورة حجاب الجسم، لأن النقطة هی الأصل، والخط حجابه ومقامه، والحجاب غیر الجسد الناسوتی.

وسئل (علیه‌السلام) عن العالم العلوی فقال: صور عاریة من المواد، عالیة عن القوة و الاستعداد، تحلی لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقی فی هویتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة.

إن زکاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارک بها السبع الشداد.

قال ابن‌سینا: لم یکن شجاعاً فیلسوفاً قط إلا علی (علیه‌السلام).

قال الشریف الرضی: من سمع کلامه (علیه‌السلام) لا یشک أنه کلام من قبع فی کسر بیت أو انقطع فی سفح جبل، لا یسمع إلا حسه، ولا یری إلا نفسه، ولا یکاد یوقن بأنه کلام من ینغمس فی الحرب، مصلتاً سیفه، فیقطّ الرقاب ویجدل الأبطال، ویعود به ینطف دماً ویقطر مهجاً، وهو مع ذلک زاهد الزهاد وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجیبة وخصائصه التی جمع بها بین الأضداد.

ومنهم المنجمون وهو (علیه‌السلام) أکیسهم، قال سعید بن جبیر استقبل أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) دهقان فقال له: یا أمیرالمؤمنین تناحست النجوم الطالعات وتناحست السعود بالنحوس فإذا کان مثل هذا الیوم وجب علی الحکیم الاختفاء، ویومک هذا یوم صعب قد اقترن کوکبان، وانفکأ فیه المیزان، وانقدح من برجک النیران، ولیس الحرب لک بمکان، فقال أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام): أیها الدهقان، المنبئ بالآثار، المخوف من الأقدار ما کان البارحة صاحب المیزان؟ وفی أی برج کان صاحب السرطان؟ وکم الطالع من الأسد والساعات فی الحرکات؟ وکم بین السراری والزراری؟ قال: سأنظر فی الإسطرلاب فتبسم أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وقال له: ویلک یا دهقان أنت مسیر الثابتات؟ أم کیف تقضی علی الجاریات؟ وأین الأسد من المطالع؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ وما دور السراری المحرکات؟ وکم قدر شعاع المنیرات؟ وکم التحصیل بالغدوات؟ فقال: لا علم لی بذلک یا أمیرالمؤمنین، فقال له: یا دهقان هل نتج علمک أن انتقل بیت ملک الصین، واحترقت دور بالزنج، وخمد بیت نار فارس وانهدمت منارة الهند، وغرقت سراندیب، وانقض حصن الأندلس، ونتج بترک الروم بالرومیة؟؟ فخر الدهقان ساجداً فلما أفاق قال أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) ألم أروک من عین التوفیق؟ فقال: بلی، فقال: أنا وصاحبی لا شرقیون ولا غربیون، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلک، أما قولک (انقدح من برجک النیران وظهر منه السرطان) فکان الواجب أن تحکم به لی لا علی، أما نوره وضیاؤه فعندی، وأما حریقه ولهبه فذهب عنی وهذا مسألة عقیمة احسبها إن کنت حاسباً.

فقال الدهقان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول‌الله، وأنک علی ولی الله.

هذا وللإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) آراء ونظریات فی التوحید حول الإلهیات، کالصفات الثبوتیة والسلبیة، وما یتعلق بذلک وله کلام وبحث دقیق حول العلوم الکونیة والطبیعیة کالفلک والنجوم والسحاب والرعد والبرق وتکوُّن الأمطار وما شابه من المواضیع المتعلقة بالعالم الأعلی.

وله تحلیل جلیل حول الإنسان نطفة وجنیناً ورضیعاً ووولیداً وشاباً وکهلاً وما یدور فی هذا الفلک من علم النفس والفلسفة البشریة، وغیر ذلک.

یظهر کل هذا من مطاوی کلماته وخطبه الموجودة فی نهج‌البلاغة وغیره من کتب الحدیث.

وتتمیماً لهذا البحث نذکر کلام ابن‌الحدید فی هذا الموضوع، قال: وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهی، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فکان هو أشرف العلوم، ومن کلامه (علیه‌السلام) اقتبس، وعنه نقل، وإلیه انتهی ومنه ابتدأ.

فإن المعتزلة الذین هم أهل التوحید والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه، لأن کبیرهم واصل بن عطا تلمیذ أبی‌هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفیة، وأبوهاشم تلمیذ أبیه، وأبوه تلمیذه (علیه‌السلام).

وأما الأشعریة فإنهم یضمون إلی أبی‌الحسن بن أبی‌بشیر الأشعری وهو تلمیذ أبی‌علی الجبائی، وأبوعلی أحد مشایخ المعتزلة، فالأشعریة ینتهون بالآخرة إلی أستاذ المعتزلة ومعلمهم، وهو علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام).

وأما الإمامیة والزیدیة فانتماؤهم إلیه ظاهر.

ومن العلوم: علم الفقه، وهو (علیه‌السلام) أصله وأساسه، وکل فقیه فی الإسلام فهو عیال علیه، ومستفید من فقهه.

أما أصحاب أبی‌حنیفة کأبی‌یوسف ومحمد وغیرهما فأخذوا عن أبی‌حنیفة.

وأما الشافعی فقرأ علی محمد بن الحسن فیرجع فقهه إلی أبی‌حنیفة، وأبوحنیفة قرأ علی جعفر بن محمد (علیه‌السلام)، وجعفر قرأ علی أبیه، وینتهی الأمر إلی علی (علیه‌السلام).

وأما مالک فقرأ علی ربیعة الرأی، وقرأ ربیعة علی عکرمة، وقرأ عکرمة علی عبدالله بن عباس، وقرأ عبدالله بن عباس علی علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام).

وإن شئت رددت إلیه فقه الشافعی بقراءته علی مالک کان ذلک لک، فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

أما فقه الشیعة فرجوعه إلیه ظاهر، وأیضاً فإن فقهاء الصحابة کانوا عمر بن الخطاب وابن‌عباس، وکلاهما أخذ عن علی (علیه‌السلام).

أما ابن‌عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرف کل أحد رجوعه إلیه فی کثیر من المسائل التی أشکلت علیه وعلی غیره من الصحابة، وقوله غیر مرة: لولا علی لهلک عمر وقوله: لا بقیت لمعضلة لیس لها أبوالحسن، وقوله: لا یفتین أحد فی المسجد وعلی حاضر.

فقد عرف بهذا الوجه انتهاء الفقه إلیه.

وقد روت العامة والخاصة قوله (صلّی الله علیه وآله) أقضاکم علی والقضاء هو الفقه، فهو إذن أفقههم.

وروی الکل أیضاً أنه (صلّی الله علیه وآله) قال له وقد بعثه إلی الیمن قاضیاً: اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه.

قال: فما شککت بعدها فی قضاء بین اثنین.

وهو (علیه‌السلام) الذی أفتی فی المرأة التی وضعت لستة أشهر، وهو الذی أفتی به فی الحامل الزانیة، وهو الذی قال فی المنبریة: صار ثمنها تسعاً.

وهذه المسألة لو فکر الفرضی فیها فکراً طویلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنک بمن قاله بدیهة واقتضبه ارتجالاً؟

ومن العلوم: علم تفسیر القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرع، وإذا راجعت إلی کتب التفسیر علمت صحة ذلک، لأن أکثره عنه، وعن عبدالله

بن عباس، وقد علم الناس حال ابن‌عباس فی ملازمته وانقطاعه إلیه، وأنه تلمیذه وخریجه، وقیل له: أین علمک من علم ابن عمک؟ فقال: کنسبة قطرة من المطر إلی البحر المحیط...

ومن العلوم: علم النحو والعربیة، وقد علم الناس کافة أنه هو الذی ابتدعه وأنشأه وأملی علی أبی‌الأسود الدؤلی جوامعه وأصوله ومن جملتها: الکلام کله ثلاثة أشیاء: اسم وفعل وحرف.

ومن جملتها تقسیم الکلمة إلی معرفة ونکرة، وتقسیم وجوه الإعراب إلی الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا یکاد یلحق بالمعجزات، لأن القوة البشریة لا تفی بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

علی والفضائل النفسیة

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله علی نعمائه وصلی الله علی سیدنا محمد سید أنبیائه وآله سادات أولیائه.

قال الله تعالی فی القرآن العظیم: (قل کلٌّ یعمل علی شاکلته). [۸۹].

قال علماء النفس والفلاسفة: إن أعمال الإنسان وأفعاله التی تظهر إلی الوجود إنما هی آثار نفسیته التی تطبع علیها، وانطباعاته التی خامرت روحه عن الوراثة والتربیة، فالفضائل بکافة أنواعها وأقسامها، والرذائل بجمیع أشکالها وأجناسها ما هی إلا ولائد التربیة أو رواسب الوراثة.

وقد ذکرنا فی بعض اللیالی الماضیة بعض جوانب التربیة ونتائجها، ولو أردنا الخوض فی هذا البحث فاتنا الکلام الأصلی المقصود بیانه فی هذه اللیلة.

حدیثنا اللیلة حول الفضائل النفسیة التی امتاز بها الإمام (علیه‌السلام) وإنما وصفنا الفضائل بالنفسیة لأن هناک فضائل لا ترتبط بالنفس کالنسب الشریف والجمال والقوة فإنها أمور لا اختیاریة، والفضائل النفسیة تظهر إلی الوجود بالطوع والاختیار کالجود والعفو والزهد والعبادة وما شاکل ذلک فإنها منبعثة من نفس طاهرة شریفة فاضلة وإلی هذا أشار القرآن الکریم بقوله تعالی: (قل کلٌّ یعمل علی شاکلته) [۹۰] أی قل یا محمد کل واحد من المؤمن والکافر یعمل علی طبیعته وخلیقته التی تخلق بها أو علی طریقته وسنته التی اعتادها، وقال الشاعر:

ملکنا فکان العفو منا سجیة

فلما ملکتم سال بالدم أبطح

فحسبکم هذا التفاوت بیننا

فکل إناء بالذی فیه ینضح

وقد مر علیکم الشیء الکثیر القلیل مما یتعلق بهذا الإمام العظیم من عوامل التشریف والتأثیر فی نفسیته الطاهرة (علیه‌السلام) من حیث المیلاد والمواهب والمزایا والخصائص والتربیة، فأنتجت تلک العوامل الإلهیة والنبویة أحسن إنتاج، وجعلت نفس علی مرکزاً لانطلاق کل فضیلة وخیر فلا عجب إذا کان الإمام (علیه‌السلام) صوتاً للعدالة الإسلامیة ورمزاً للفتوة والمروة ومثالاً للعطف والحنان الأبوی.

وأصحاب النفوس الشریفة تختلف هواياتهم عن غیرهم، فهم دائماً وأبداً یلبون نداء ضمیرهم الإنسانی، ویستلذون بإسعاف الفقیر والمسکین.

ویبتهجون بإشباع البطون الجائعة وإکساء الأجساد العاریة وإنقاذ البؤساء من براثن الفاقة، وحیث أنهم أشربوا معرفة الله تعالی وخالط

حب الله لحومهم ودماءهم فإن أسعد أوقاتهم وألذها عندهم هى الساعات التى يشتغلون فيها بمناجاة ربهم والخضوع والخشوع أمام عظمة الله تعالى، فلا يملون من العبادة كما لا يمل الحبيب من مكالمة حبيبه.

وجملة أخرى لا بأس بالإشارة إليها وهى: أن الإنسان حينما يحس بالنقص فى نفسه من حيث العلم أو الفن أو الفضيلة أو القوة أو الجمال أو ما شابه ذلك فإنه يحاول إخفاء ذلك النقص وجبران ذلك العيب عن طريق التزيين والتجميل فى الملبس والمسكن وسائر لوازم الحياة ومظاهر الترف، كل ذلك إرضاء لوجدانه وضميره الذى يؤنبه بالنقص، أما أولياء الله فإنهم يحسون بالكمال فى أنفسهم، فهم فى غنى عن ستر النقص عن طريق التجميل والتفنن فى الملبس والمأكل والمسكن وما جرى مجرى ذلك لأنه لا نقص فيهم.

وعلى هذا الأساس كانوا يختارون لأنفسهم البساطة فى المعيشة، ويتجلى الزهد فى جميع مظاهر حياتهم بدون أى تكلف وتعسف، فلا يشتاقون إلى اختلاف الأطعمة ولا تميل نفوسهم إلى زخارف الحياة وزبرجدها، فإن الإحساس بالكمال يحول بينهم وبين الشعور بالحاجة إلى ما تتهافت عليه نفوس الآخرين من حطام الدنيا.

فإذا قرأنا أو سمعنا عن نبى أو إمام شيئاً من الزهد وعدم الإقبال على مباهج الحياة فلعله معلول هذه العلة التى تقدمت.

وسنذكر ما تيسر من الأخبار والأحاديث التى اشتهرت بين أعلام الحديث وحفاظه حول الفضائل النفسية التى أنعم الله بها على أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام.

قال ابن أبى‌الحديد فى مقدمته على شرح نهج‌البلاغة:

وما أقول فى رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل؟ ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله؟ فقد علمت أنه استولى بنى أمية على سلطان الإسلام فى شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة فى إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من راوية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتى حضروا (منعوا) أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول فى رجل تعزى (تنسب) إليه كل فضيلة؟ وتنتمى إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبوعذرها وسابق مضمارها، ومجلى حلبتها.

وكل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى...

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسية والدينية وجدته ابن جلاها، وطلاع ثنایاها.

على واليقين

فى البحار ج ۹ قال الإمام الصادق (عليه‌السلام): كان لعلى غلام اسمه قنبر وكان يحب علياً (عليه‌السلام) حباً شديداً فإذا خرج على خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال يا قنبر: ما لك؟ قال: جئت لأمشى خلفك فإن الناس كما تراهم يا أميرالمؤمنين فخفت عليك.

فقال ويحك! أمن أهل السماء تحرسنى أم من أهل الأرض؟ قال: بل من أهل الأرض.

قال: إن أهل الأرض لا يستطيعون بى شيئاً إلا أن يأذن الله عزوجل من السماء، فارجع فرجع.

وقيل له (عليه‌السلام) يوم صفين احترس يا أميرالمؤمنين فإنا نخشى أن يقتلك هذا اللعين.

فقال (عليه‌السلام): كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردى فى بئر، أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلوا بينه وبين ما يصيبه، فكذلك أنا إذا حان أجلى انبعث أشقاها فخضب هذه بهذه وأشار إلى لحيته وهامته عهداً معهوداً ووعداً غير مكذوب.

علی والحفظ

فی البحار ج ۹ عن سلیم بن قیس قال: سمعت علیاً (علیه‌السلام) یقول ما نزلت علی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) آیة من القرآن إلا أقرأنیها وأملاها علی فکتبتها بخطی، وعلمنی تأویلها وتفسیرها وناسخها ومنسوخها ومحکمها ومتشابهها، ودعا الله عزوجل أن یعلمنی فهمها وحفظها، فما نسیت آیة من کتاب الله عزوجل ولا علماً أملاه علی فکتبته، وما ترک شیئاً علمه الله عزوجل من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهی وما کان وما یکون من طاعة أو معصیة إلا علمنیه وحفظته، ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع یده علی صدری ودعا الله تبارک وتعالی بأن یملأ قلبی علماً وفهماً وحکمة ونوراً، ولم أنس من ذلک شیئاً، ولم یفتنی من ذلک شیء لم أکتبه جهلاً وقد أخبرنی أن ربی عزوجل قد استجاب لی فیک...

إلی آخره.

علی والتعطف

(فی البحار ج ۹) عن الإمام الباقر (علیه‌السلام): رجع علی (علیه‌السلام) إلی داره فی وقت القیظ، فإذا امرأة قاتمة تقول: إن زوجی ظلمنی وأخافنی وتعدی علی وحلف لیضربنی.

فقال: یا أمة الله حتی یبرد النهار ثم أذهب معک إنشاء الله.

فقالت: یشتد غضبه وحرده علی.

فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو یقول: لا والله أو یؤخذ للمظلوم حقه غیر متعتع، أین منزلک؟ فمضی إلی بابه فوقف فقال: السلام علیکم.

فخرج شاب، فقال علی: یا عبدالله اتق الله فإنک قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتی: وما أنت وذاک والله لأحرقنها لکلامک.

فقال أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) آمرک بالمعروف وأنهاک عن المنکر وتستقبلنی بالمنکر وتنکر المعروف، قال: فأقبل الناس من الطرق یقولون: سلام علیکم یا أمیرالمؤمنین فسقط الرجل فی یدیه وقال: یا أمیرالمؤمنین: أقلنی عثرتی، فوالله لأکونن لها أرضاً تطأنی.

فأغمد سیفه فقال: یا أمة الله ادخلی منزلک ولا تلجئی زوجک إلی مثل هذا وشبهه.

قال أبوالطفیل: رأیت علیاً (علیه‌السلام) یدعو الیتامی فیطعمهم العسل حتی قال بعض أصحابه: لوددت أنی کنت یتیماً.

علی والحق

قال الله الحکیم فی کتابه الکریم: (وقل جاء الحق من ربکم فمن شاء فلیؤمن ومن شاء فلیکفر) [۹۱] وقال تعالی: (أفمن یهدی إلی الحق أحق أن یتبع). [۹۲].

سئل أبوذر عن اختلاف الناس فقال: علیک بکتاب الله والشیخ علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) فإنی سمعت رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یقول: (علی مع الحق والحق معه وعلی لسانه، یدور حیث ما دار علی).

وسلم محمد بن أبی‌بکر یوم الجمل علی عائشة فلم تکلمه فقال: أسألک بالله الذی لا إله إلا هو ألا سمعتک تقولین: ألزم علی بن أبی‌طالب فإنی سمعت رسول‌الله یقول: (الحق مع علی وعلی مع الحق لا یفترقان حتی یردا علی الحوض)؟ قالت: بلی قد سمعت ذلک منه.

عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) یقول: ویل لمن جهل معرفتی ولم یعرف حقی، ألا إن حقی هو حق الله، ألا إن حق الله هو حقی.

علی والغنی

(فى الكافى) عن عبد الأعلى قال: قلت لأبى‌عبدالله (الصادق) (عليه‌السلام)، إن الناس يرون أن لك مالاً كثيراً.

فقال: ما يسوءنى ذاك إن أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) مر ذات يوم على ناس شتى من قريش وعليه قميص مخرق، فقالوا: أصبح على لا مال له، فسمعها أميرالمؤمنين، فأمر الذى يلى صدقته أن يجمع ثمره ولا يبعث إلى إنسان شيئاً، وأن يوفره، ثم قال: بعه الأول فالأول، واجعلها دراهم ثم اجعلها حيث تجعل التمر فاكبسه معه حيث ترى، وقال للذى يقوم عليه: إذا دعوت بالتمر فاصعد وانظر المال فاضربه برجلك كأنك لا تعمد الدراهم حتى تنثرها.

ثم بعث إلى رجل منهم يدعوه، ثم دعى بالتمر فلما صعد ينزل التمر ضرب برجله فانتثرت الدراهم، فقالوا: ما هذا يا أباالحسن؟ فقال: هذا مال من لا مال له، ثم أمر بذلك المال فقال انظروا أهل كل بيت كنت أبعث إليهم فانظروا ماله وابعثوا إليه.

وذكر ابن أبى‌الحديد: أن غلة أرضه فى ينبع كانت فى السنة أربعين ألف دينار فكان يتصدق بها فى سبيل الله.

على والعفو

بعث أميرالمؤمنين إلى لبيد بن عطارد التميمى فى كلام بلغه، فمر به إلى أميرالمؤمنين فى بنى أسد، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدى فأفلته، فبعث أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فأتوه به وأمر به أن يضرب فقال له نعيم: إن المقام معك لذل، وإن فراقك لكفر فلما سمع ذلك منه قال: قد عفونا عنك إن الله عزوجل يقول: (ادفع بالتى هى أحسن السيئة) [۹۳] أما قولك: إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها، وأما قولك: إن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها، فهذه بذه.

على والحكمة

قال الله تعالى: (من يؤتى الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً). [۹۴].

وقال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): (أنا مدينة الحكمة وعلى بابها).

قد ذكر المفسرون للحكمة معانى متعددة وقد فاز الإمام بالحكمة بجميع معانيها وبكافة نواحيها فقد ذكر الطبرسى فى تفسير الآية وجوهاً.

۱ علم القرآن: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره حلاله وحرامه.

۲ الإصابة فى القول والعقل.

۳ علم الدين.

۴ العلم الذى تعظم منفعته وتجل فائدته.

۵ القرآن والفقه.

۶ ما أتى الله أنبياءه وأممهم فى كتابه وآياته ودلالاته التى يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه.

(عن أمالى الطوسى): قال جابر بن عبدالله الأنصارى: رأيت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أخذ بيد على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) وهو يقول: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره مخذول من خذله.

ثم رفع صوته: أنا مدينة الحكمة وعلى بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

وذكر البغوى فى الصحاح: أنا دار الحكمة وعلى بابها.

(فى حلية الأولياء): سئل النبى (صلّى الله عليه وآله) عن على بن أبى‌طالب فقال: قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى على (عليه‌السلام) تسعة أجزاء والناس جزء واحد.

وذكر الغزالى عن النبى (صلّى الله عليه وآله) أنه قال: أنا ميزان الحكمة وعلى لسانها.

على والزهد

قال عمر بن عبدالعزيز: ما علمنا أحداً كان فى هذه الأمة أزهد من على بن أبى‌طالب بعد النبى (صلّى الله عليه وآله).

قال (عليه‌السلام): لقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحييت من راقعها.

وفى البحار عن السيد ابن‌طاووس عن أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) قال: تزوجت فاطمة (عليهاالسلام) وما كان لى فراش، وصدقتى اليوم لو قسمت على بنى هاشم لوسعتهم.

وقال فيه أنه (عليه‌السلام): وقف أمواله وكانت غلتها أربعين ألف دينار وباع سيفه وقال: من يشترى سيفى؟ ولو كان عندى عشاء ما بعته! وقال مرة: من يشترى سيفى الفلانى، ولو كان عندى ثمن إزار ما بعته! قال: قال: وكان يفعل هذا وغلته أربعون ألف دينار من صدقته.

وقال الإمام الباقر (عليه‌السلام) فى زهد على (عليه‌السلام) أنه ولى (أيام خلافته) خمس سنين، وما وضع آجرة ولا لبنة على لبنة ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء.

عن الزمخشرى: إن علياً (عليه‌السلام) اشترى قميصاً، فقطع ما فضل عن أصابعه ثم قال للرجل: حصه (أى خط كفافه).

عن الأصبغ بن نباته قال على (عليه‌السلام) لأهل البصرة: دخلت بلادكم بأشمالى هذه ورحلتى وراحلتى‌ها هى، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإننى من الخائنين.

وفى رواية: يا أهل البصرة ما تنقمون منى إن هذا لمن غزل أهلى؟ وأشار إلى قميصه.

وترصد غداءه عمرو بن حريث، فأتت فضة بجراب مختوم، فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً، فقال عمرو: يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيّبتيه قالت: كنت أفعل فنهانى، وكنت أضع فى جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه، ثم إن أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فته فى قصعة وصب عليه الماء ثم ذر عليه الملح وحسر عن ذراعه، فلما فرغ قال (عليه‌السلام): يا عمرو لقد حانت هذه ومد يده إلى محاسنه وخسرت هذه أن أدخلها النار من أجل الطعام، وهذا يجزينى.

ورآه عدى بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح، فقال: إنى لا أرى لك يا أميرالمؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك، فقال (عليه‌السلام):

علل النفس بالقنوع وإلا

طلبت منك فوق ما يكفيها

ونظر على (عليه‌السلام) إلى فقير انخرق كُمّ ثوبه فخرق على (عليه‌السلام) كُمّ قميصه وألقاه إليه.

وقال الإمام الباقر (عليه‌السلام): إن علياً أتى البزازين فقال لرجل: بعنى ثوبين.

فقال الرجل: يا أميرالمؤمنين عندى حاجتك فلما عرفه مضى عنه، فوقف على غلام، فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال: يا قنبر خذ الذى بثلاثة فقال: أنت أولى به، تصعد المنبر، وتخطب الناس فقال: وأنت شاب ولك شره الشباب، وأنا أستحى من ربى أن أتفضل عليك! سمعت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون.

فلما لبس على القميص مدّ كُمّ القميص فأمر بقطعه واتخاذه قلانس للفقراء، فقال الغلام: هلم أكفه (أى أخيطه)، قال: دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك، فجاء (أبوالغلام) أى (بائع الثوب) وقال: إن ابنى لم يعرفك وهذان درهمان ربحهما، فقال: ما كنت لأفعل، قد ماكست وماكسنى، واتفقنا على رضى.

روى ابن عبدالبر المالكى فى الاستيعاب بسنده وغيره أن معاوية قال لضرار بن ضمرة: صف لى علياً، قال: اعفنى.

قال: لتصفنه.

قال: أما: إذا كان لا بد من وصفه، فإنه: كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس (ويستأنس) بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة (العبرة) طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب، (من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن) وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، (وينبئنا إذا استنبأناه) ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكى بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا غُرى غيرى، أبى نعرضت؟ أم إلى تشوقت؟ هيهات! قد بتتك (باينتك) ثلاثة، لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك كبير (حقير) وعيشك حقير، آه! من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أباالحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها فهى لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها.

وفى المناقب: ثم قام وخرج باكياً فقال معاوية: أما إنكم لو فقدتمونى لما كان فيكم من يثنى على هذا الثناء.

فقال بعض من حضر: الصاحب على قدر صاحبه.

قال ابن أبى‌الحديد: (وأما الزاهد فى الدنيا: فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال، وإليه تشد الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً).

قال عبدالله بن أبى‌رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدم فأكل فقلت: يا أميرالمؤمنين فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين (الحسنين) أن يلتاه بسمن أو زيت!! وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارة وليف أخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له!! وكان يأتدم إذا ائتدم (أى يجعل إداماً) بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات.

على والعفة

فى التاسع من البحار نقلاً عن كتاب مناقب ابن‌شهر آشوب وكتاب الاحتجاج وغيرهما عن أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) قال...:

وسافرت مع رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وليس له خادم غيرى، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة وكان رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ينام بينى وبين عائشة ليس علينا لحاف غيره، فإذا قام: إلى صلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بينى وبين عائشة حتى يمس اللحاف الفراش الذى تحتنا.. الخ.

هذا الحديث كما تراه يدل على شدة ثقة النبى بعلى، وكثرة اختصاصه به واطمئنانه منه، وكثيراً ما تحدث أمثال هذه القضايا فى العوائل المحافظة على الحجاب والغيرة نظراً لنزاهة الأفراد وطهارة القلوب فكيف بالمعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(فى البحار) عن عبدالله بن مسعود قال: خرج رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) من بيت زينب بنت جحش حتى أتى بيت أم‌سلمة، وجاء داق ودق الباب، فقال: يا أم‌سلمة قومى فافتحى له.

قالت: فقلت: ومن هذا يا رسول‌الله الذى من خطره أن أفتح له الباب؟ وأتلقاه بمعاصمى؟ وقد نزلت فى بالأمس آيات من كتاب الله: (يا نساء النبى)....

فقال: يا أم‌سلمة إن طاعة الرسول طاعة الله وإن معصية الرسول معصية الله، وإن بالباب لرجلاً ليس بنزق ولا خرق، وما كان ليدخل

منزلاً حتى لا يسمع حساً، وهو يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

فقلت: ففتحت الباب، فأخذ بعضادتى الباب ثم جئت حتى دخلت الخدر، فلما أن لم يسمع وطئ قدمى دخل ثم سلم على رسول‌الله ثم قال: يا أم سلمة وأنا من وراء الخدر أتعرفين هذا؟ قلت: نعم هذا على بن أبى‌طالب قال: هو أخى، سجيته سجيتى ولحمه من لحمى، ودمه من دمى ... الخ.

على والتواضع

قال سعد بن معاذ لعلى (عليه‌السلام)، وكان نازلاً عليه: ما منعك أن تخطب إلى رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ابنته؟ فقال (عليه‌السلام) أنا أجترئ أن أخطب إلى رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله)؟ والله لو كانت أمة ما اجترأت عليه.

فحكى سعد مقالته لرسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وقال له رسول‌الله: قل له: يفعل.

فإنى سأفعل.

قال: فبكى على حيث قال له سعد، ثم قال (عليه‌السلام): لقد سعدت إذ أن جمع الله لى صهره مع قرابته.

وشرف أبى‌طالب ما قد علمه الناس وهو ابن عم رسول‌الله لأبيه وأمه.

(فى البحار): بالإسناد إلى أبى‌محمد العسكرى (عليه‌السلام) أنه قال: أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأناً، ومن تواضع فى الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) حقاً.

ولقد ورد على أميرالمؤمنين أخوان له مؤمنان: (أب وابن)، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما فى صدر المجلس، وجلس بين أيديهما: ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل لليبس، وجاء ليصب على يد الرجل فوثب أميرالمؤمنين وأخذ الإبريق: ليصب على يد الرجل، فتمرغ الرجل فى التراب، وقال: يا أميرالمؤمنين الله يرانى وأنت تصب على يدى؟ قال: اقعد واغسل، فإن الله عزوجل يراك، وأخوك الذى لا يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك يريد بذلك فى خدمته فى الجنة مثل أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك فى مماليكه فيها.

فقعد الرجل فقال له على: أقسمت بعظيم حقى الذى عرفته ونحلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن تدنينى لما شرفك به من خدمتى لك لما غسلت مطمئناً، كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً.

ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بنى لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصببت على يده ولكن الله عزوجل يأبى أن يسوى بين ابن وأبيه، إذا جمعهما مكان، ولكن قد صب الأب على الأب فليصب الابن على الابن، فصب محمد بن الحنفية على الابن.

ثم قال الإمام الحسن بن على العسكرى: فمن اتبع علياً على ذلك فهو الشيعى حقاً.

عن الإمام الصادق (عليه‌السلام) كان أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) يحتطب ويستسقى ويكنس، وكانت فاطمة سلام الله عليها تطحن وتعجن وتخبز.

وإن علياً اشترى تمراً بالكوفة فحمله فى طرف ردائه فتبادر الناس إلى حمله، وقالوا: يا أميرالمؤمنين نحن نحمله، فقال (عليه‌السلام): رب العيال أحق بحمله.

وكان على (عليه‌السلام) يحمل التمر والمالح (الملح) بيده ويقول:

لا ينقص الكامل من كماله

ما جر من نفع إلى عياله

وعن زيد بن على إن علياً كان يمشى فى خمسة (مواضع) حافياً، ويعلق نعله بيده اليسرى: يوم الفطر، والنحر، والجمعة، وعند العيادة،

وتشييع الجنازة، ويقول: إنها مواضع الله وأحب أن أكون فيها حافياً.

وكان (عليه‌السلام) يمشي في الأسواق وحده وهو إذ ذاك يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ.

علی والحلم

(في البحار) مرت امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم فقال أميرالمؤمنين (عليه‌السلام): إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هناتها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أو فليمس أهله، فإنما هي امرأة كامرأة، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه!! فوثب القوم ليقتلوه فقال (عليه‌السلام): رويداً إنما هو سبٌّ بسبٍّ أو عفو عن ذنب.

قال قنبر: دخلت مع أميرالمؤمنين على عثمان فأحب الخلوة فأومى إليه (إلى) بالتنحي، فتنحيت غير بعيد، فجعل عثمان يعاتبه وهو مطرق برأسه، وأقبل إليه وقال عثمان: ما لك لا تقول؟ فقال: ليس جوابك إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب ثم خرج قائلاً:

ولو أنني جاوبته لأمضه

نوافذ قولي واحتضار جوابي

ولكنني أغضي على مضض الحشا

ولو شئت إقداماً لأنشب نابي

في البحار إن أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) مر بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي فقال: يا جارية ما يبكيك؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله.

قال (عليه‌السلام): يا عبدالله: إنها خادم وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها وخذ التمر.

فقام إليه الرجل فلكزه فقال الناس: هذا أميرالمؤمنين.

فربا الرجل واصفر وأخذ التمر ورد إليها درهمها ثم قال: يا أميرالمؤمنين ارض عني.

فقال: ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك، وفي رواية: (إذا وفيت الناس حقوقهم).

ودعى (عليه‌السلام) غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟ قال: كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك، فقال: الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه، امض، فأنت حر لوجه الله.

وكان (عليه‌السلام) في صلاة الصبح فقرأ ابن‌الكواء: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [۹۵] فأنصت علي (عليه‌السلام) تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته ثم أعاد ابن‌الكواء الآية فأنصت أيضاً.

ثم قرأ فأعاد ابن‌الكواء فأنصت علي، ثم قرأ: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) [۹۶] ثم أتم السورة وركع.

(في البحار) عن الأصبغ بن نباتة قال: أمرنا أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمى (الخورنق) فقالوا: نتنزه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا علياً قبل أن يجتمع (أن يصلي الجمعة) فبينما هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب، فصادوه، فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال: بايعوا، هذا أميرالمؤمنين!! فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم، فارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وأميرالمؤمنين يخطب، ولم يفارق بعضهم بعضاً، فكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فقال: أيها الناس إن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أسر إلي ألف حديث لكل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح، وإني سمعت الله جل جلاله يقول: (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) [۹۷] وإني أقسم لكم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب، ولو شئت أن أسميهم لفعلت! قال: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما سقط السعف حياء ولوماً وجبناً.

قال ابن أبى‌الحديد فى شرحه: (وأما الحلم والصفح: فكان أحلم الناس عن مذنب، وأصفحهم عن مسىء وقد ظهرت صحة ما قلنا يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم، وكان أعدى الناس له وأشدهم بغضاً، فصفح عنه.

وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد...

وكان على يقول: ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شب عبدالله.

فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك.

لم يزده على ذلك.

وظفر بسعيد بن العاصى بعد وقعة الجمل بمكة، وكان عدواً فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً.

وقد علمتم ما كان من عائشة فى أمره، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس، عممهن بالعمائم، وقلدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به، وتأففت، وقالت: هتك سترى ورجاله الذين وكلهم بى!! فلما وصلت إلى المدينة ألقت النساء عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة.

وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه، ووجوه أولاده بالسيوف وسبوه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه فى أقطار العسكر: ألا: لا يتبع مول، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو.

على والمواساة

عن أمالى المفيد عن أبى‌هريرة قال: جاء إلى النبى (صلّى الله عليه وآله) فشكى إليه الجوع، فبعث رسول‌الله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء، فقال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): من لهذا الرجل الليلة؟ فقال على بن أبى‌طالب: أنا له يا رسول‌الله.

وأتى على فاطمة (عليهاالسلام) فقال لها: ما عندك يا بنت رسول‌الله؟ فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية نؤثر ضيفنا.

فقال على (عليه‌السلام): يا بنت محمد: نومى الصبية وأطفئ المصباح فلما أصبح غدا على رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله عزوجل: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون). [۹۸].

وفى رواية: فقال على: يا بنت محمد: نومى الصبية وأطفئ المصباح.

وجعلا يمضغان بألسنتهما فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله، فلما أصبح صلى مع النبى (صلّى الله عليه وآله) فلما سلم النبى من صلاته نظر إلى أميرالمؤمنين وبكى بكاء شديداً وقال يا أميرالمؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة وقرأ: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [... ۹۹] الخ.

(عن محمد بن الصمة عن أبيه عن عمه): قال: رأيت فى المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفى يده صحفة يقول: اللهم ولى المؤمنين إله المؤمنين وجار المؤمنين، اقبل قربانى الليلة، فما أمسيت أملك سوى ما فى صحفتى، وغير ما يوارينى، فإنك تعلم أنى منعته نفسى مع شدة سغبى أطلب القربة إليك غنماً، اللهم فلا تخلق وجهى ولا ترد دعوتى، فأتيته حتى عرفته فإذا هو على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام)، فأتى رجلاً فأطعمه.

على والكرم

(فى البحار): جاء أعرابى إلى على فقال: يا أميرالمؤمنين إنى مأخوذ بثلاث علل: علة النفس وعلة الفقر وعلة الجهل.

فأجاب أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وقال: يا أخا العرب: علة النفس تعرض على الطبيب وعلة الجهل تعرض على العالم وعلة الفقر تعرض على الكريم.

فقال الأعرابى أنت الكريم، وأنت العالم، وأنت الطبيب، فأمر أميرالمؤمنين بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم وقال: تنفق ألفاً بعلة النفس، وألفاً بعلة الجهل، وألفاً بعلة الفقر.

وسأله أعرابى شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة؟ فقال (عليه‌السلام) كلاهما عندى حجران، فأعط الأعرابى أنفعهما له.

وقال له ابن‌الزبير: إنى وجدت فى حساب أبى: أن له على أبيك ثمانين ألف درهم، فقال له: إن أباك صادق، فقضى ذلك، ثم جاءه فقال: غلطت فيما قلت، إنما كان لوالدك على والدى ما ذكرته لك فقال: والدك فى حل والذى قبضته منى هو لك!! قال الصادق (عليه‌السلام): إن أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) أعتق ألف نسمة من كد يده، جماعة لا يحصون كثرة.

وقال له رجل ورأى عنده وسق نوى: ما هذا يا أباالحسن؟ قال: مائة ألف نخل إن شاء الله، فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة، فهو من أوقافه ووقف مالاً بخيبر وبوادى القرى، ووقف مال أبى‌نيرز والبغيبغة وأرباحاً وأرينة ورغد ورزيناً ورياحاً على المؤمنين وأخرج مائة عن بينبع وجعلها للحجيج، وهو باق إلى يومنا هذا وحفر آباراً فى طريق مكة والكوفة، وهى مسجد الفتح فى المدينة، وعند مقابل قبر حمزة (عليه‌السلام)، وفى الميقات وفى الكوفة وجامع البصرة وفى عبادان وغير ذلك.

عن أحمد بن أبى‌المقدام العجلى قال: يروى أن رجلاً جاء إلى على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) فقال له: يا أميرالمؤمنين إن لى إليك حاجة، فقال: اكتبها فى الأرض فإنى أرى الضر فيك بيناً، فكتب فى الأرض أنا فقير محتاج، فقال على (عليه‌السلام): يا قنبر اكسه حلتين، فأنشأ الرجل يقول:

كسوتنى حلة تبلى محاسنها

فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائى نلت مكرمة

ولست تبغى بما قد نلته بدلا

إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه

كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به

فكل عبد سيجزى بالذى فعلا

فقال (عليه‌السلام): أعطوه مائة دينار، فقيل له: يا أميرالمؤمنين لقد أغنيته.

فقال: إنى سمعت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: أنزل الناس منازلهم، ثم قال على (عليه‌السلام): إنى لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم.

عن أبى‌بصير عن أبى‌عبدالله (عليه‌السلام) قال: (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله) [۱۰۰] قال: نزلت فى على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام).

عن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أباعبدالله (عليه‌السلام) يقول: قسم نبى الله الفىء فأصاب علياً أرض، فاحتفر فيها عيناً فخرج ماء ينبع فى السماء كهيئة عنق البعير، فسماها ينبع، فجاء البشير يبشر فقال (عليه‌السلام) بشر الوارث هى صدقة بتة بتلاء فى حجيج بيت الله وعابر سبيل لا تباع ولا تورث، فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

قال ابن أبى‌الحديد فى شرحه، وأما السخاء والجود: فحاله فيه ظاهرة كان يصوم ويطوى، ويؤثر بزاده، وفيه أنزل (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) [۱۰۱] وروى المفسرون: أنه لم يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فأنزل فيه: (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية). [۱۰۲].

وروى أنه كان يسقى بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى مجلت يداه، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجراً.

قال الشعبى وقد ذكره (عليه‌السلام): كان أسخى الناس، كان على الخلق الذى يحبه الله: السخاء والجود، ما قال: لا، لسائل قط.

وقال عدوه ومبغضه الذى يجتهد فى وصمه وعيبه: معاوية بن أبى‌سفيان لمحفن بن أبى‌محفن الضبى (لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس): قال ويحك! كيف تقول: إنه أبخل الناس وهو الذى لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه؟!!

على والعدل

العدل: ما أحلى هذا الاسم عند النفوس المظلومة، وما أحبه إلى المضطهدين وما أبغضه عند الظالمين الذين يزاحم العدل منافعهم، وأرباحهم.

هذه الكلمة التى تتلهف إليها النفوس وعليها أساس الملك وبها نظام الاجتماع واعتداله، وإننى أعتقد أن أصعب قانون يمكن تطبيقه وتنفيذه فى المجتمع هو قانون العدالة!! لاصطدام هذا القانون بنزعات الأقوياء الذين لو كانت العدالة موجودة لما كانوا أقوياء، وهؤلاء فى طليعة المكافحين لهذه الفضيلة، والتاريخ والحس والوجدان شواهد على هذا، ولا أرانى بحاجة إلى دليل.

ومن لوازم تطبيق العدالة وتنفيذها قوة الإيمان بالله تعالى والتقوى أولاً، وحزم وعزم فوق كل عاطفة واتجاه ومصانعة ثانياً وعدم الخوف من المشاكل المتوقعة، المحتمل وقوعها ثالثاً.

وقد توفرت هذه المؤهلات كلها فى نفسية على (عليه‌السلام) فهو الإيمان كله والتقوى المتجسدة، وهو أقوى رجل يستطيع السيطرة على أعصابه وعواطفه وهو الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم، وهو الحق المحض الذى لا يشوبه شىء، ونستطيع أن نقول: إن تطبع نفسية الإمام (عليه‌السلام) على العدالة والتزامه بها بالغاً ما بلغ هو السبب الوحيد الذى فرق عنه ذوى الأطماع والأغراض، وأخاف ذوى المناصب والكنوز التى كانت عصارة دماء المسلمين، وهدد الفسقة الفجرة الذين استوجبوا إقامة الحدود الإلهية وقطع آمال المستغلين وآمانى حواشى السلاطين، وغير ذلك من الأمور التى تدرك ولا توصف، فاجتمعت هذه العوامل، وأججت نيران الحروب الداخلية ضد الإمام (عليه‌السلام).

إذ لولا عدالة على (عليه‌السلام) لما ذهب أخوه عقيل إلى معاوية ولولا عدل أبى‌الحسن (عليه‌السلام) لما انضم طلحة والزبير إلى عائشة للمساهمة فى تكوين حرب الجمل.

لو كان على (عليه‌السلام) ظالماً لأمهل معاوية يتصرف فى مقدرات المسلمين وما كانت حرب صفين.

وهكذا وهلم جراً، فإن كانت العدالة نغصت على على (عليه‌السلام) عيشته وسلبته الراحة والاطمئنان، وجرت عليه النوائب فإن التاريخ الصحيح عرف لعلى (عليه‌السلام) هذه الفضيلة وشكره عليها، وإن كان بعض الشواذ يعتبرون العدالة منافية للسياسة، ويرون الأرجح تقديم السياسة على الدين عند التعارض، فإن علياً (عليه‌السلام) يضرب بالسياسة التى تزاحم دين على (عليه‌السلام) عرض الجدار ويتبرأ منها.

وهو التلميذ الأول للرسول (صلّى الله عليه وآله) والمعلم الثانى للأمم عبر التاريخ، ولو كان على (عليه‌السلام) يمشى وراء السياسة لعرفه التاريخ رجلاً سياسياً فحسب، وما كانت الملوك والعظماء يطأطئون هاماتهم أمام عظمته وينظرون إليه بكل تقدير وتقديس.

نذكر نماذج من تلك العدالة، ولا يسعنا الإسهاب فى الكلام لضيق المجال، ولعلنا نستطيع التحدث عن هذه الفضيلة بصورة أوسع فى مناسبة أخرى إن شاء الله.

دخل عمرو بن العاص على أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) ليلة وهو فى بيت المال وكان الإمام ينظر فى أموال المسلمين وحسابهم ودواوين العطاء وعنده سراج يضىء بنوره الضئيل، وقد اشترى زيت السراج من بيت المال، لأن السراج عائد لمصالح بيت مال المسلمين.

فلما دخل ابن‌العاص وأراد أن يتحدث مع الإمام فی بعض الشؤون أطفأ الإمام السراج وجلس فی ضوء القمر ولم يستحل أن يجلس فی الضوء بغير استحقاق!! وبنی (عليه‌السلام) موضعاً تحبس فيه الإبل والغنم الضالة يقال له: (المربد) فكان يعلفها علفاً لا يسمنها ولا يهزلها من بيت المال.

فلمن أقام عليها بينة أخذها، وإلا أقرها على حالها.

وتظهر الحكمة فی تحديد كمية علف الحيوانات، وهی رعاية الحيوان والمحافظة عليه ورعاية بيت المال والاهتمام به.

فی الكافی عن الإمام الصادق (عليه‌السلام) أنه قال: بعث أميرالمؤمنين (عليه السلام) مصدقاً من الكوفة (المصدق: عامل الزكاة التی يستوفيها) إلی باديتها وقال: يا عبدالله: انطلق، وعليك بتقوی الله وحده لا شريك له ولا تؤثرن دنياك علی آخرتك، وكن حافظاً لما ائتمنك عليه، مراعياً لحق الله فيه حتی تأتی نادی بنی فلان، فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بسكينة ووقار حتی تقدم بينهم وتسلم عليهم ثم قل لهم: يا عباد الله أرسلنی إليكم ولی الله لآخذ منكم حق الله فی أموالكم فهل لله فی أموالكم من حق فتؤدوه إلی وليه؟ فإن قال قائل لك: لا.

فلا تراجعه، وإن أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيراً، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بإذنه، فإن أكثره له، فقل: يا عبدالله أتأذن لی فی دخول مالك؟ فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه، ولا عنف به، فاصدع المال صدعين ثم خيّره أی الصدعين شاء، فأيهما اختار فلا تعرض له، ثم اصدع الباقی صدعين ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له، ولا تزال كذلك حتی يبقی ما فيه وفاء لحق الله تبارك وتعالی فی ماله، فإذا قبض يقرأ ذلك فاقبض حق الله منه وإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما واصنع مثل الذی صنعت أولاً، حتی تأخذ حق الله فی ماله، فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً أميناً حفيظاً غير معنف بشیء منها، ثم احدر كلما اجتمع عندك من كل ناد إلينا فصيره حيث أمر الله عزوجل، فإذا انحدر فيها رسولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يفرق بينهما، ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها ولا يجهد بها ركوباً، وليعدل بينهن فی ذلك وليوردهن كل ماء يمر به، ولا يعدل بهن عن ليت الأرض إلی جواد الطريق فی الساعة التی فيها تريح وتغبق، وليرفق بهن جهده حتی يأتينا بإذن الله سحاحاً سماناً غير متعبات ولا مجهدات، فنقسمهن بإذن الله علی كتاب الله وسنة نبيه (صلّی الله عليه وآله) علی أولياء الله فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك، ينظر الله إليها وإليك وإلی جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت فی حاجته، فإن رسول‌الله (صلّی الله عليه وآله) قال: ما ينظر الله إلی ولی له يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له ولإمامه إلا كان معنا فی الرفيق الأعلی.

قال: ثن بكی أبوعبدالله (عليه‌السلام) ثم قال: لا والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت، ولا عمل بكتاب الله وسنة نبيه فی هذا العالم، ولا أقيم فی هذا الخلق حد منذ قبض الله أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) ولا عمل بشیء من الحق إلی يوم الناس هذا، ثم قال: أما والله لا تذهب الأيام والليالی حتی يحيی الله الموتی ويميت الأحياء ويرد الله الحق إلی أهله ويقيم دينه الذی ارتضاه لنفسه ونبيه (صلّی الله عليه وآله)، فابشروا ثم ابشروا ثم ابشروا فوالله ما الحق إلا فی أيديكم.

فی البحار: روی أن سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت علی معاوية بعد موت علی (عليه‌السلام)، فجعل يؤنبها علی تحريضها عليه أيام صفين، وآل أمره إلی أن قال: ما حاجتك؟ قالت: إن الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يتقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك، ويبطش بقوة سلطاتك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطأة قدم علينا فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزة ومنعة، فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك، فقال معاوية: إياى تهددين بقومك يا سودة؟ لقد هممت أن أحملك علی قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه، فأطرقت سودة ساعة ثم قالت:

صلی الإله علی روح تضمنها

قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا یبغی به بدلا

فصار بالحق والإیمان مقرونا

فقال معاویة: من هذا یا سودة؟ قالت: هو والله أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) والله لقد جئته فی رجل کان قد ولاه صدقاتنا، فجار علینا، فصادفته قائماً یصلی، فلما رآنی انفتل من صلاته ثم أقبل علی برحمة ورفق ورأفة وتعطف، وقال: ألک حاجة؟ قلت: نعم فأخبرته الخبر، فبکی ثم قال: اللهم أنت الشاهد علی وعلیهم، وأنی لم آمرهم بظلم خلقک، ثم أخرج قطعة جلد فکتب فیها: (بسم الله الرحمن الرحیم.

قد جاءتکم بینة من ربکم فأوفوا الکیل والمیزان ولا تبخسوا الناس أشیاءهم ولا تفسدوا فی الأرض بعد إصلاحها ذلک خیر لکم إن کنتم مؤمنین، فإذا قرأت کتابی هذا فاحتفظ بما فی یدک من عملنا حتی یقدم علیک من یقبضه منک، والسلام).

ثم دفع الرقعة إلی، فو الله ما ختمها بطین ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلی صاحبه فانصرف عنا معزولاً، فقال معاویة: اکتبوا لها کما تریده، واصرفوها إلی بلدها غیر شاکیة.

علی والعبادة

فی الأمالی عن عروة بن الزبیر قال: کنا جلوساً فی مسجد رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فتذاکرنا أعمال أهل بدر وبیعة الرضوان، فقال أبوالدرداء: یا قوم ألا أخبرکم بأقل القوم مالاً وأکثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً فی العبادة؟ قالوا: من؟ قال: أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام)، قال: فوالله إن کان فی جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه وجهه، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له: یا عویمر لقد تکلمت بکلمة ما وافقک علیها أحد منذ أتیت بها، فقال أبوالدرداء: یا قوم إنی قائل ما رأیت، ولیقل کل قوم منکم ما رأوا، شهدت علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) بشویحطات (أشجار) النجار، وقد اعتزل عن مواله واختفی ممن یلیه واستتر بمغیلات النخل، فافتقدته وبعُد علی مکانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزین ونغمة شجی وهو یقول: (إلهی کم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتک، وکم من جریرة تکرمت عن کشفها بکرمک، إلهی إن طال فی عصیانک عمری وعظم فی الصحف ذنبی فما أنا مؤمل غیر غفرانک، ولا أنا براج غیر رضوانک) فشغلنی الصوت واقتفیت الأثر، فإذا هو علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) بعینه فاستترت له وأخملت الحرکة، فرکع رکعات فی جوف اللیل الغابر، ثم فرغ إلی الدعاء والبکاء والبث والشکوی، فکان مما به الله ناجاه أن قال: (إلهی أفکر فی عفوک فتهون علی خطیئتی، ثم أذکر العظیم من أخذک فتعظم علی بلیتی) ثم قال: (آه إن أنا قرأت فی الصحف سیئة أنا ناسیها وأنت محصیها، فتقول: خذوه.

فیا له من مأخوذ لا تنجیه عشیرته، ولا تنفعه قبیلته، یرحمه الملأ إذا أذن فیه بالنداء) ثم قال: (آه من نار تنضج الأکباد والکلی، آه من نار نزاعة للشوی، آه من غمرة من ملهبات لظی).

قال: ثم انغمر فی البکاء فلم أسمع له حساً ولا حرکة فقلت غلب علیه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، قال أبوالدرداء: فأتیته فإذا هو کالخشبة الملقاة، فحرکته فلم یتحرک، وزویته فلم ینزو) فقلت: (إنا لله وإنا إلیه راجعون) مات والله علی بن أبی‌طالب.

قال: فأتیت منزله مبادراً أنعاه إلیهم، فقالت فاطمة (علیهاالسلام): یا أباالدرداء ما کان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرها الخبر، فقالت هی والله یا أباالدرداء الغشیة التی تأخذه من خشیة الله، ثم أتوه بماء فنضحوه علی وجهه فأفاق، ونظر إلی وأنا أبکی، فقال: مما بکاؤک یا أباالدرداء؟ فقلت: ما أراه تنزله بنفسک، فقال: یا أباالدرداء فکیف ولو رأیتنی ودعی بی إلی الحساب وأیقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتنی ملائکة غلاظ وزبانیة فظاظ، فوقفت بین یدی الملک الجبار قد أسلمنی الأحیاء ورحمنی أهل الدنیا، لکنت أشد رحمة لی بین یدی من لا تخفی علیه خافیة، فقال أبوالدرداء: فوالله ما رأیت ذلک لأحد من أصحاب رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله).

قال ابن أبی‌الحدید: وأما العبادة: فکان أعبد الناس وأکثرهم صلاة وصوماً، وملازمة للأوراد، وقیام النافلة، وما ظنک برجل یبلغ من

محافظته على ورده: أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلى عليه ورده، والسهام تقع بين يديه، وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته؟؟ وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده؟ وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته، والاستخذاء له عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، وفهمت من أى قلب خرجت، وعلى أى لسان جرت؟؟!! وقيل لعلى بن الحسين (عليه‌السلام) وكان الغاية فى العبادة: أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال: عبادتى عند عبادة جدى كعبادة جدى عند عبادة رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله).

على وطلاقة الوجه مع المهابة

قال ابن أبى‌الحديد فى مقدمته على شرح النهج: وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو مضروب به المثل فيه، حتى عابه بذلك أعداؤه، قال عمرو بن العاص لأهل الشام: إنه ذو دعابة شديدة، وقال على (عليه‌السلام) فى ذلك: عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن فى دعابة وإنى امرؤ تلعابة، أعافس وأمارس.

وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر لقوله لما عزم على استخلافه: لله أبوك! لولا دعابة فيك.

إلا أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها ونسجها.

قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد.

وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه.

وقال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أباحسن فلقد كان هشاً بشاً، ذا فكاهة، قال قيس: نعم كان رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يمزح ويبتسم إلى أصحابه، وأراك حسواً فى ارتغاء وتعيبه، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قد مسه الطوى، تلك هيبة التقوى ليس كما يهابك أهل الشام!!

على والخصائص

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يجب ويرضى والصلاة على محمد المصطفى وأخيه المرتضى وآله الأصفياء.

قال الله تبارك وتعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) [۱۰۳] كلامنا الليلة حول شىء يسير من خصائص أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وفضائله المختصة به، ولا شك أن فى الناس من تشمله العناية الإلهية ويساعده التوفيق أو الحظ فتتوفر فيه النعم والمواهب والفضائل فيمتاز عن غيره وتتكون له شخصية بارزة فى النفوس يذكر ويشكر عليها.

وفى الوقت نفسه نجد أفراداً حرموا من تلك المواهب لعدم استعدادهم أو عدم توفر الظروف المساعدة لهم، فلا تكون لهم فى المجتمع أى وزن وقيمة وكرامة، وهذه الطبقة المسكينة تتكون عندهم عقدة الحقارة النفسية فيحسبون أنفسهم منبوذين لفقدانها المزايا والفضائل، ويشتد شعورهم بالحقارة النفسية فتهون عليهم أنفسهم، وإرضاء لغرائزهم المتكونة من تلك العقدة، يحاولون سلب الخصائص الموجودة عن المنعمين بها، أو انتقاصهم والمس بكرامتهم والتشنيع عليهم إجابة للحسد الذى يحز فى صدورهم ولا شك أن عدد الفاقدين للفضائل أكثر من الواجدين لها، وعلى هذا نرى أصحاب النعم والمواهب محسودين وكلما ازدادوا فضيلة ازداد عدد حسادهم!! ولا يقف أمام الحسد شىء إلا الإيمان بالله والرضى بالتقدير أو السعى والاهتمام فى تحصيل تلك المزايا والفضائل

الموجودة فی المحسود فتحصل المشارکة معه ویزول الاختصاص عنه.

وکان رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وأهل بینه (علیهم‌السلام) هم المحسودون فی کل زمان ومکان للسبب المتقدم ذکره، وقد وردت أحادیث فی تفسیر الآیة التی افتتحنا بها الکلام أن المقصود من (الناس) فی قوله تعالی: (أم یحسدون الناس علی ما آتاهم الله من فضله) [۱۰۴] هم عترة رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله).

ونذکر فی هذه اللیلة بعض خصائص الإمام (علیه‌السلام) وقد مر علیکم فیما سبق شیء من ذلک، ویمکن لنا أن نقول: أن فضائل الإمام (علیه‌السلام) کلها خصائص منحصرة به لا یشارکه فیها أحد من الناس.

ومن جملة ذلک: حدیث رد الشمس لعلی (علیه‌السلام).

أما الشیعة فلا یشکون فی قدرة الله تعالی، ویعتقدون أن الله تعالی هو خالق الشمس، وخالق الشمس قادر علی ردها بعد الغروب، ولیس ذلک محالاً عقلاً ولا قدرة ولیس من قبیل اجتماع الضدین أو النقیضین، وکذلک لا یشکون فی استجابة دعاء النبی (صلّی الله علیه وآله) ومسألته من الله تعالی أن یرد الشمس لعلی (علیه‌السلام) لیصلی صلاة العصر.

والشیعة یعتقدون أن علیاً (علیه‌السلام) مستجاب الدعوة بالإضافة إلی منزلته الرفیعة ودرجاته العالیة عند الله تعالی، وبناء علی هذا یعتقدون صحة هذا الخبر.

أما لفظ الحدیث فعن أسماء بنت عمیس: أن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) صلی الظهر بالصهباء من أرض خیبر، ثم أرسل علیاً فی حاجة، فجاء وقد صلی رسول‌الله العصر، فوضع رأسه فی حجر علی ولم یحرکه حتی غربت الشمس فقال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): اللهم إن عبدک علیاً احتبس نفسه علی نبیه فرد علیها شرقها.

قالت أسماء: فطلعت الشمس حتی رفعت علی الجبال فقام فتوضأ وصلی العصر ثم غابت الشمس.

أما المحدثون من الشیعة فکلهم متفقون علی هذه الفضیلة وذکروها فی کتبهم وموسوعاتهم، ولقد ذکروا أن هذه الفضیلة وقعت مرتین: مرة علی عهد رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) ومرة أخری أیام خلافة الإمام (علیه‌السلام) ومروره علی أرض بابل بالقرب من مدینة الحلة، کما روی ذلک نصر بن مزاحم بإسناده عن عمر قال: حدثنی عمر بن عبدالله بن یعلی بن مرة الثقفی عن أبیه عن عبد خیر قال: کنت مع علی أسیر فی أرض بابل وحضرت الصلاة صلاة العصر، قال: فجعلنا لا نأتی مکاناً إلا رأیناه أقبح من الآخر حتی أتینا علی مکان أحسن ما رأینا، وقد کادت الشمس أن تغیب فنزل علی ونزلت معه، فدعا الله فرجعت الشمس کمقدارها من صلاة العصر، فصلینا العصر ثم غابت الشمس ... الخ.

وفی علل الشرائع: عن جویریة بن مسهر قال: قطعنا مع أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) جسر الصلاة فی وقت العصر، فقال: إن هذه أرض معذبة، لا ینبغی لنبی ولا وصی نبی أن یصلی فیها، فمن أراد منکم أن یصلی فیها فلیصل.

فتفرق الناس یمنة ویسرة یصلون، فقلت أنا: والله لأقلدن هذا الرجل صلاتی الیوم، ولا أصلی حتی یصلی.

فسرنا وجعلت الشمس تسفل وجعل یدخلنی من ذلک أمر عظیم حتی وجبت (غابت) الشمس، وقطعنا الأرض، فقال: یا جویریة أذّن.

فقلت: تقول أذّن وقد غابت الشمس، فقال: یا جویریة أذّن.

فأذنت ثم قال لی: أقم.

فأقمت فلما قلت: (قد قامت الصلاة) رأیت شفتیه یتحرکان، وسمعت کلاماً کأنه کلام العبرانیة، فارتفعت الشمس حتی صارت فی مثل وقتها فی العصر فصلی، فلما انصرف هوت إلی مکانها واشتبکت النجوم، فقلت: أنا أشهد أنک وصی رسول‌الله.

فقال یا جویریة أما سمعت الله عزوجل یقول: (فسبح باسم ربک العظیم). [۱۰۵].

فقلت: بلی.

قال: فإنی سألت الله باسمه العظیم فردها علی.

وهنا حديث يجمع بين المرتين اللتين ردت الشمس لعلى (عليه‌السلام) فيها.

فى البحار ج ۹ عن إرشاد المفيد: (مما أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) ما استفاضت به الأخبار ورواه علماء السير والآثار ونظمت فيه الشعراء الأشعار، رجوع الشمس له (عليه‌السلام) مرتين: فى حياة النبى (صلّى الله عليه وآله) مرة وبعد وفاته (صلّى الله عليه وآله) أخرى، وكان من حديث رجوعها عليه فى المرة الأولى ما روته أسماء بنت عميس وأم سلمة زوجة النبى (صلّى الله عليه وآله) وجابر بن عبدالله الأنصارى وأبوسعيد الخدرى فى جماعة من الصحابة أن النبى (صلّى الله عليه وآله) كان ذات يوم فى منزله وعلى (عليه‌السلام) بين يديه إذ جاءه جبرائيل (عليه‌السلام) يناجيه عن الله سبحانه، فلما تغشاه الوحى توسد فخذ أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فلم يرفع رأسه عنه حتى غربت العصر، فصلى أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) جالساً يومئ بركوعه وسجوده إيماء، فلما أفاق من غشيته (صلّى الله عليه وآله) قال لأميرالمؤمنين (عليه‌السلام): أفاتتك صلاة العصر؟ قال: لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول‌الله والحال التى كنت عليها فى استماع الوحى، فقال له ادع الله حتى يرد عليك الشمس لتصليها قائماً فى وقتها كما فاتتك فإن الله تعالى يجيبك بطاعتك لله ورسوله، فسأل أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) الله فى رد الشمس، فردت حتى صارت فى موضعها من السماء وقت صلاة العصر، فصلى أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) صلاة العصر فى وقتها ثم غربت.

وكان رجوعها بعد النبى (صلّى الله عليه وآله) أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم، فصلى (عليه‌السلام) بنفسه فى طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس وفاتت الصلاة كثيراً منهم، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلموا فى ذلك، فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه ليجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر فى وقتها، فأجابه الله تعالى فى ردها عليه وكانت فى الأفق على الحال التى تكون عليه وقت العصر، فلما سلم القوم غابت الشمس فأكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار والحمد لله على النعمة التى ظهرت فيهم، وسار خبر ذلك فى الآفاق وانتشر ذكره فى الناس.

رواة حديث رد الشمس لعلى (عليه‌السلام) من علماء العامة هم:

۱ أبوبكر الوراق، له كتاب: (من روى رد الشمس).

۲ أبوالحسن شاذان الفضيلى، له رسالة.

۳ الحافظ أبوالفتح محمد بن حسين الأزدى الموصلى، له كتاب مفرد فيه.

۴ أبوالقاسم الحاكم ابن‌الحداد الحسكانى النيسابورى الحنفى له رسالة (مسألة فى تصحيح رد الشمس).

۵ أبوعبدالله الجعل الحسين بن على البصرى ثم البغدادى له كتاب: (جواز رد الشمس).

۶ أخطب خوارزم أبوالمؤيد موفق بن أحمد له كتاب: (رد الشمس لأميرالمؤمنين).

۷ أبوعلى الشريف محمد بن أسعد بن المعمر الحسنى النقيب النسابة له جزء فى جمع (طرق حديث رد الشمس) لعلى (عليه‌السلام).

۸ أبوعبدالله محمد بن يوسف الدمشقى الصالحى له جزء (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس).

۹ الحافظ جلال الدين السيوطى له رسالة فى الحديث أسماها (كشف اللبس عن حديث رد الشمس).

۱۰ الحافظ أبوالحسن عثمان بن أبى‌شيبة العبسى الكوفى رواه فى سننه.

۱۱ الحافظ أبوجعفر أحمد بن صالح المصرى.

۱۲ محمد بن الحسين الأزدى ذكره فى كتابه فى (مناقب على).

۱۳ الحافظ أبوبشر محمد بن أحمد الدولابى أخرجه فى كتابه الذرية الطاهرة.

۱۴ الحافظ أبوجعفر أحمد بن محمد الطحاوى فى (مشكل الآثار).

۱۵ الحافظ أبوجعفر محمد بن عمرو العقيلى.

۱۶ الحافظ أبوالقاسم الطبرانی رواه فی (معجمه الکبیر).

۱۷ الحاکم أبوحفص عمر بن أحمد الشهیر بابن شاهین ذکره فی (مسنده الکبیر).

۱۸ الحاکم أبوعبدالله النیسابوری رواه فی تاریخ (نیسابور).

۱۹ الحافظ ابن‌مردویه الأصبهانی أخرجه فی (المناقب).

۲۰ أبوإسحاق الثعلبی رواه فی (تفسیره).

۲۱ الفقیه أبوالحسن علی بن حبیب البصری البغدادی الشافعی عده من أعلام النبوة فی کتابه (أعلام النبوة).

۲۲ الحافظ أبوبکر البیهقی رواه فی (الدلائل).

۲۳ الحافظ الخطیب البغدادی ذکره فی (تلخیص المتشابه).

۲۴ الحافظ أبوزکریا الأصبهانی الشهیر بابن مندة أخرجه فی کتابه (المعرفة).

۲۵ الحافظ القاضی عیاض أبوالفضل المالکی الأندلسی رواه فی کتابه (الشفاء).

۲۶ أخطب الخطباء الخوارزمی رواه (فی المناقب).

۲۷ الحافظ أبوالفتح النطنزی رواه فی (الخصائص العلویة).

۲۸ أبوالمظفر یوسف قزأوغلی الحنفی رواه فی (التذکرة).

۲۹ الحافظ أبوعبدالله محمد بن یوسف الکنجی الشافعی، جعل فی کتابه (کفایة الطالب) فصلاً فی حدیث رد الشمس لعلی (علیه‌السلام).

۳۰ أبوعبدالله شمس الدین محمد بن أحمد الأنصاری الأندلسی ذکره فی کتابه (التذکرة بأحوال الموتی وأمور الآخرة).

۳۱ شیخ الإسلام الحموینی رواه فی (فرائد السمطین).

۳۲ الحافظ ولی الدین أبوزرعة العراقی أخرجه فی (طرح التثریب).

۳۳ الإمام أبوالربیع سلیمان السبتی الشهیر بابن سبع ذکره فی کتابه (شفاء الصدور).

۳۴ الحافظ ابن‌حجر العسقلانی ذکره فی (فتح الباری).

۳۵ الإمام العینی الحنفی ذکره فی (عمدة القاری).

۳۶ الحافظ السیوطی رواه فی (جمع الجوامع).

۳۷ نور الدین السمهودی الشافعی ذکره فی (وفاء الوفاء).

۳۸ الحافظ أبوالعباس القسطلانی ذکره فی (المواهب اللدنیة).

۳۹ الحافظ ابن‌ربیع رواه فی (تمییز الطیب من الخبیث).

۴۰ السید عبدالرحیم بن عبدالرحمن العباسی ذکره فی (معاهد التنصیص).

۴۱ الحافظ شهاب الدین ابن‌حجر الهیثمی عده فی (الصواعق).

۴۲ الملا علی القارئ ذکره فی (المرقاة).

۴۳ نور الدین الحلبی الشافعی رواه فی (السیرة النبویة).

۴۴ شهاب الدین الخفاجی الحنفی ذکره فی (شرح الشفا).

۴۵ أبوالعرفان الشیخ برهان الدین إبراهیم بن حسن شهاب الدین الکردی الکورانی ذکره فی کتابه (الأمم لإیقاظ الهمم).

۴۶ أبوعبدالله الزرقانی المالکی صححه فی (شرح المواهب).

۴۷ شمس الدین الحنفی الشافعی ذکره فی تعلیقه علی (الجامع الصغیر) للسیوطی.

۴۸ میرزا محمد البدخشی ذکره فی (نزل الأبرار).

۴۹ الشیخ محمد الصبان عده فی (إسعاف الراغبین).

۵۰ الشیخ محمد أمین بن عمر الشهیر بابن عابدین الدمشقی إمام الحنفیة فی عصره ذکره فی (حاشیته).

۵۱ السید أحمد زینی دحلان الشافعی ذکره فی (السیرة النبویة) هامش (السیرة الحلبیة).

۵۲ السید محمد مؤمن الشبلنجی عده (فی نور الأبصار).

اقتطفنا هذه المصادر من کتاب (الغدیر ج۳) لشیخنا الأمینی رحمه الله.

هذا وللشعراء دور هام فی الإشادة بهذه الفضیلة أعرضنا عن سرد قصائدهم رعایة للاختصار.

خبر الطائر المشوی

فی احتجاج الطبرسی: عن الإمام الصادق عن آبائه عن علی (علیه‌السلام) قال: کنت أنا ورسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فی المسجد بعد أن صلی الفجر، ثم نهض ونهضت معه، وکان إذا أراد أن یتجه إلی موضع أعلمنی بذلک فکان إذا أبطأ فی الموضع صرت إلیه لأعرف خبره، لأنه لا یتقار (لا یسکن) قلبی علی فراقه ساعة واحدة، فقال لی: إنه متجه إلی بیت عائشة.

فمضی ومضیت إلی بیت فاطمة (علیهاالسلام) فلم أزل مع الحسن والحسین، وهی وأنا مسروران بهما، ثم إنی نهضت وصرت إلی باب عائشة فطرقت الباب فقالت لی عائشة: من هذا؟ فقلت لها: أنا علی، فقالت: إن النبی راقد، فانصرفت، ثم قلت: النبی راقد وعائشة فی الدار؟! فرجعت وطرقت الباب فقالت لی عائشة: من هذا؟ فقلت أنا علی.

فقالت: إن النبی علی حاجة، فانثنیت (انصرفت) مستحییاً من دقی الباب، ووجدت فی صدری ما لا أستطیع علیه صبراً، فرجعت مسرعاً فدققت الباب دقاً عنیفاً فقالت لی عائشة: من هذا؟ قلت: أنا علی، فسمعت رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یقول لها: یا عائشة افتحی له الباب، ففتحت فدخلت فقال لی: اقعد یا أباالحسن، أحدثک بما أنا فیه أو تحدثنی بإبطائک عنی، فقلت: یا رسول‌الله حدثنی، فإن حدیثک أحسن.

فقال: یا أباالحسن کنت فی أمر کتمته من ألم الجوع، فلما دخلت بیت عائشة وأطلت القعود لیس عندها شیء تأتی به مددت یدی وسألت الله القریب المجیب، فهبط علی حبیبی جبرائیل ومعه هذا الطیر ووضع إصبعه علی طائر بین یدیه فقال جبرائیل: إن الله عزوجل أوحی إلی أن آخذ هذا الطیر وهو أطیب طعام فی الجنة فآتیک به یا محمد.

فحمدت الله کثیراً، وعرج جبرائیل فرفعت یدی إلی السماء فقلت: اللهم یسر عبداً یحبک ویحبنی یأکل معی من هذا الطائر، فمکثت ملیاً فلم أر أحداً یطرق الباب، فرفعت یدی، ثم قلت: اللهم یسر عبداً یحبک ویحبنی وتحبه وأحبه یأکل معی من الطائر، فسمعت طرقک للباب، وارتفاع صوتک فقلت لعائشة: أدخلی علیاً، فدخلت، فلم أزل حامداً لله حتی بلغت إلی إذ کنت تحب الله وتحبنی، ویحبک الله وأحبک فکل یا علی.

فلما أکلت أنا والنبی الطائر قال لی: یا علی حدثنی، فقلت: یا رسول‌الله لم أزل منذ فارقتک أنا وفاطمة والحسن والحسین مسرورین جمیعاً، ثم نهضت أریدک، فجئت فطرقت الباب، فقالت لی عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علی.

فقالت: إن النبی راقد.

فانصرفت، فلما أن صرت إلی الطریق الذی سلکته رجعت فقلت: إن النبی راقد وعائشة فی الدار؟ لا یکون هذا!! فجئت فطرقت الباب فقالت لی: من هذا؟ فقلت: أنا علی.

فقالت: النبی علی حاجة فانصرفت مستحییاً.

فلما انتهیت إلی الموضع الذی رجعت منه أول مرة وجدت فی قلبی ما لا أستطیع علیه صبراً، وقلت: النبی علی حاجة وعائشة فی الدار؟

فرجعت فدققت الباب الذی سمعته یا رسول‌الله، فسمعتک یا رسول‌الله تقول لها: أدخلی علیاً.

فقال النبی (صلّی الله علیه وآله): أبی الله إلاـ أن یکون الأمر هکذا، یا حمیراء ما حملک علی هذا؟ فقالت: یا رسول‌الله اشتهیت أن یکون أبی یأکل من هذا الطیر...

الخ.

فی مناقب ابن‌شهر آشوب: روی حدیث الطیر جماعة منهم: الترمذی فی جامعه، وأبونعیم فی حلیة الأولیاء، والبلاذری فی تاریخه، والخرکوشی فی شرف المصطفی، والسمعانی فی فضائل الصحابة، والطبری فی الولایة، وابن‌البیع فی الصحیح، وأبویعلی فی المسند، وأحمد فی الفضائل والنطنزی فی الاختصاص.

وقد رواه محمد بن یحیی الأزدی، وسعید والمازنی وابن‌شاهین والسدی، وأبوبکر البیهقی، ومالک وإسحاق بن عبدالله بن أبی‌طلحة وعبدالملک بن عمیر، ومسعر بن کدام، وداوود بن علی بن عبدالله بن عباس وأبوحاتم الرازی بأسانیدهم عن أنس وابن‌عباس وأم‌أیمن.

ورواه ابن‌بطة فی الإبانة من طریقین، والخطیب وأبوبکر فی تاریخ بغداد من سبعة طرق.

وقد صنف أحمد بن محمد بن سعید کتاب الطیر، وقال القاضی أحمد: قد صح عندی حدیث الطیر.

وقال أبوعبدالله البصری، إن طریقة أبی‌عبدالله الجبائی فی تصحیح الأخبار تقتضی القول بصحة هذا الخبر لإیراده یوم الشوری فلم ینکر.

قال الشیخ: قد استدل به أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) علی فضله فی قصة الشوری بمحضر من أهلها، فما کان فیهم إلا من عرفه وأقر به، والعلم بذلک کالعلم بالشوری نفسها، فصار متواتراً، ولیس فی الأمة علی اختلافها من دفع هذا الخبر.

وحدثنی أبوالعزیز کادش العکبری عن أبی‌طالب الحربی العشاری عن ابن‌شاهین الواعظ فی کتابه: (ما قرب سنده) قال: حدثنی نصر بن أبی‌القاسم الفرائضی، قال: قال محمد بن عیسی الجوهری قال: قال نعیم بن سالم بن قنبر، قال: قال أنس بن مالک...

الخبر.

وقد أخرجه علی بن إبراهیم فی کتابه قرب الإسناد، وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس، وعشرة عن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فقد صح أن الله تعالی والنبی یحبانه، وما صح ذلک لغیره، فیجب الاقتداء به.

ومن نسب خبر الطائر إلیه قصر الإمامة علیه.

حدیث الطائر بصورة أخری

مجمع الحدیث: إن أنس بن مالک تعصب بعصابة، فسئل عنها فقال: هذه دعوة علی، قیل: وکیف ذلک؟ قال: أهدی إلی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) طائر مشوی فقال: اللهم ائتنی بأحب خلقک إلیک، یأکل معی هذا الطیر، فجاء علی فقلت له: رسول‌الله عنک مشغول، وأحببت أن یکون رجلاً من قومی.

فدعا رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) ثانیاً، فجاء علی فقلت: رسول‌الله عنک مشغول، فرفع علی صوته وقال: وما یشغل رسول‌الله عنی؟ وسمعه رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فقال: یا أنس من هذا؟ قلت: علی بن أبی‌طالب.

قال: ائذن له، فلما دخل قال له: یا علی إنی قد دعوت الله ثلاث مرات أن یأتینی بأحب خلقه إلیه وإلی یأکل معی هذا الطیر، ولو لم تجئنی فی الثالثة لدعوت الله باسمک أن یأتینی بک.

فقال: یا رسول‌الله إنی قد جئت ثلاث مرات، کل ذلک یردنی أنس ویقول: رسول‌الله عنک مشغول، فقال لی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): ما حملک علی هذا؟ قلت: أحببت أن یکون رجلاً من قومی، وفی روایة: قال: رجوت أن یکون رجلاً من الأنصار، فقال لی: أو

فى الأنصار خير من على؟ أو فى الأنصار أفضل من على؟؟ قال أنس: فلما كان يوم الدار استشهدنى على فكتمته، فقلت إنى نسيته، فرفع على يده إلى السماء فقال: اللهم ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس.

وفى رواية: لا تواريه العمامة.

ثم كشف العمامة عن رأسه فقال: هذه دعوة على!!.

حديث المنزلة

كانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وخرج معه المسلمون الوضيع منهم والشريف، ولم يبق فى المدينة إلا النساء والصبيان وعدد من المتخلفين، فأمر النبى (صلّى الله عليه وآله) أن يبقى على فى المدينة يحرس المدينة ومن فيها من عوائل المسلمين، وإليكم التفصيل كما رواه المفيد فى الإرشاد قال: لما أراد رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) الخروج استخلف أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فى أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: يا على إن المدينة لا تصلح إلا بى أو بك، وذلك أنه (صلّى الله عليه وآله) علم من خبث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم، وأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه (ابتعاده) عنها، وحصوله ببلاد الروم أو نحوها فمتى لم يكن فى المدينة من يقوم مقامه لم يؤمن معرتهم، وإيقاع الفساد فى دار هجرته والتخطى إلى ما يشين أهله ومخلفيه، وعلم (صلّى الله عليه وآله) أنه لا يقوم مقامه فى إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها إلا أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً وذلك فيما تظاهرت به الرواة: أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) علياً على المدينة لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنها تتحرس به وتتحصن، ولا يكون فيها للعدو مطمع، فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأى رسول‌الله عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه فى أهله، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر، فأرجفوا (خاضوا فى الأخبار السيئة قصد أن يهيج الناس) به، وقالوا: لم يستخلفه رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إكراماً له وإجلالاً ومودة، وإنما خلفه استثقالاً له، فبهتوا بهذا الإرجاف، كبهت قريش للنبى (صلّى الله عليه وآله) بالجنة (الجنون) تارة وبالشعر أخرى وبالسحر مرة وبالكهانة أخرى، وهم يعلمون ضد ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به على أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وخلافه، وأن النبى كان أخص الناس بأميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وكان هو أحب الناس إليه وأسعدهم عنده وأفضلهم لديه، فلما بلغ أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبى (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول‌الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتنى استثقالاً ومقتاً.

فقال له النبى (صلّى الله عليه وآله): ارجع يا أخى إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بى أو بك، فأنت خليفتى فى أهل بيتى ودار هجرتى وقومى، أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى.

فتضمن هذا القول من رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) نصه عليه بالإمامة وإبانته من الكافة بالخلافة، ودل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصه العرف من الأخوة (فى النسب) واستثناه هو من النبوة.

ألا ترى أنه (صلّى الله عليه وآله) جعل له كافة منازل هارون من موسى إلا المستثنى منه لفظاً وعقلاً.

وقد علم كل من تأمل معانى القرآن وتصفح الروايات والأخبار: أن هارون كان أخا موسى (عليه‌السلام) لأبيه وأمه، وشريكه فى أمره، ووزيره على نبوته وتبليغه رسالات ربه، وأن الله شد به أزره، وأنه كان خليفته على قومه، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته.

وأنه كان أحب قومه إليه، وأفضلهم لديه، قال الله عزوجل حاكياً عن موسى (عليه‌السلام): (رب اشرح لى صدرى، ويسر لى أمرى، واحلل عقدة من لسانى، يفقهوا قولى، واجعل لى وزيراً من أهلى، هارون أخى، أشدد به أزرى، وأشركه فى أمرى) [۱۰۶] فأجاب الله

تعالی مسألته، وأعطاه أمنیته، حیث یقول: (قد أوتیت سؤلک یا موسی). [۱۰۷].

وقال تعالی حاکیاً عن موسی: (وقال موسی لأخیه هارون اخلفنی فی قومی واصلح ولا تتبع سبیل المفسدین). [۱۰۸].

فلما جعل رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) علیاً (علیه‌السلام) منه بمنزلة هارون من موسی أوجب له بذلک جمیع ما عددناه إلا ما خصه العرف من الأخوة فی النسب واستثناه من النبوة لفظاً، وهذه فضیلة لم یشرکه فیها أحد من الخلق أمیرالمؤمنین ولا ساواه فی معناها، ولا قاربه فیها علی حال...

الخ.

لا ـ زال ولا ـ یزال بعض المتجاهلین من المسلمین یزعمون أن هذا الحدیث غیر ثابت فی الصحاح ولا معترف به عند الحفاظ وأئمة الحدیث.

أو یدعون اختصاص الحدیث بیوم تبوک، فیسلبون منه الدلالة علی الخلافة والإمامة العامة المطلقة، ونحن نجیب عن الموضوع الأول: بأن هذا الحدیث من الأحادیث الصحیحة المتواترة عند المسلمین لا یشک فیه ذو درایة بالأحادیث، وإلمام بالروایات، ومعرفة وبصیرة بالأخبار، ولا مجال للمناقشة عند ذی الألباب حول صحة هذا الحدیث.

وأما الرواة لهذا الحدیث فکثیرون جداً یصعب استیعاب أسمائهم، ونذکر جملة من مشاهیر علماء السنة وحفاظهم ورواتهم:

۱ الذهبی فی تلخیص المستدرک.

۲ ابن‌حجر الهیثمی فی الصواعق.

۳ صاحب الجمع بین الصحاح الستة.

۴ صاحب الجمع بین الصحیحین.

۵ البخاری فی صحیحه.

۶ مسلم فی صحیحه.

۷ ابن‌ماجه فی سننه.

۸ أحمد بن حنبل فی مسنده.

۹ البزاز فی مسنده.

۱۰ الترمذی فی صحیحه.

۱۱ ابن‌عبدالبر فی الاستیعاب.

وغیرهم ممن کتب أو ألف کتاباً فی فضائل علی (علیه‌السلام).

وأما محدثو الشیعة وحفاظهم فلا یشکون فی صحة هذا الحدیث وشهرته، وهذه کتبهم مشحونة بذکر هذا الحدیث بجمیع الطرق والأسانید والمصادر والمدارک.

أما الجواب عن الموضوع الثانی فنقول: إن الرسول الأعظم (صلّی الله علیه وآله) قد کرر کلمته الذهبیة (حدیث المنزلة) فی مواقف عدیدة ومواطن کثیرة، ذکرها أعلام المسلمین متفقین علی صحتها، وثبوتها واستقامة دلالتها تلک الموارد کما فی بشارة المصطفی عن ابن‌عباس، قال: رأیت حسان بن ثابت واقفاً بمنی، والنبی (صلّی الله علیه وآله) وأصحابه مجتمعین، فقال النبی (صلّی الله علیه وآله): هذا علی بن أبی‌طالب سید العرب والوصی الأکبر، منزلته منی منزلة هارون من موسی إلا أنه لا نبی بعدی لا تقبل التوبة من تائب إلا بحبه.

یا حسان قل فیه شیئاً، فأنشأ حسان بن ثابت یقول:

لا تقبل التوبة من تائب

إلا بحب ابن أبی‌طالب

أخی رسول‌الله بل صهره

والصهر لا یعدل بالصاحب

ومن یکن مثل علی وقد

ردت له الشمس من المغرب

رُدت علیه الشمس فی ضوئها

بیضاً کأن الشمس لم تغرب

ومن تلک الموارد: حدیث رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) مع أم‌سلیم (أم أنس بن مالک) وکان النبی یزورها ویحدثها فی بیتها: یا أم‌سلیم إن علیاً لحمه من لحمی ودمه من دمی، وهو منی بمنزلة هارون من موسی...

الخ.

روی ذلک فی کنز العمال ومسند أحمد.

ومنها: یوم کان أبوبکر وعمر وأبوعبیدة بن الجراح عند النبی (صلّی الله علیه وآله) وهو متکئ علی علی (علیه‌السلام) فضرب بیده علی منکبیه ثم قال: یا علی أنت أول المؤمنین إیماناً، وأولهم إسلاماً، وأنت منی بمنزلة هارون من موسی...

الخ.

ومنها: یوم الدار وقد سبق فی أول ترجمة حیاة أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) ومنها: یوم المؤاخاة الثانیة وقد مضی ذکره، وکذلک یوم سد الأبواب وقد مر کل ذلک فیما سبق.

ولولا خوف الملل لذکرنا المصادر لهذه الأحادیث ویمکن لکم مراجعة کتاب (المراجعات) و(الغدیر) وغیرهما من الکتب التی کتبت حول هذا الموضوع.

المواخاة بین النبی وعلی

کل شیئین إذا جمعهما جامع یطلق علی أحدهما: أنه أخو الآخر مثلاً: العربی تجمع العروبة بینه وبین العرب، فیقال للعربی: یا أخا العرب.

والفارسی یشارک الفرس فی العنصر فیقال له: یا أخا الفرس.

والیهودیة تجمع بین الیهود فیقال للیهودی: یا أخا الیهود، وأفراد القبیلة یجمعهم کونهم من تلک القبیلة فیقال لهم: یا أخا کندة أو یا أخا تمیم وهکذا بقیة الأدیان أو القبائل أو الأشیاء التی تجمع بین الأفراد کالمماثلة والمشابهة...

والأخوان الشقیقان أو الأخوان من قبل الأب وحده أو الأم وحدها یقال لهما: أخوان لأن الأب أو الأم أو کلاهما یجمعان الإنسانین وعلی هذا الأساس یقول الله تعالی: (إنما المؤمنون أخوة) [۱۰۹] أی أن مبدأ الإیمان یجمعهما.

هذه نظرة خاطفة ولمحة موجزة عن الأخوة والإخاء فی العرف والقرآن وقد تجتمع هذه العلل کأخوة النسب وأخوة الدین، وأخوة المماثلة فی إنسانین فتتقوی أواصر الأخوة فیما بینهما.

روی البلاذری عن ابن‌عباس وغیره: لما نزل قوله تعالی: (إنما المؤمنون أخوة) [۱۱۰] آخی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) بین الأشکال والأمثال، فآخی بین أبی‌بکر وعمر، وبین عثمان وعبدالرحمن، وبین سعد بن أبی‌وقاص وسعید بن زید، وبین طلحة والزبیر، وبین أبی‌عبیدة وسعد بن معاذ، وبین مصعب بن عمیر وأبی‌أیوب الأنصاری، وبین أبی‌ذر وأبی‌مسعود، وبین سلمان وحذیفة، وبین حمزة وزید بن حارثة وبین أبی‌الدرداء والبلال، وبین جعفر الطیار ومعاذ بن جبل، وبین المقداد وعمار وبین عائشة وحفصة، وبین

زینب بنت جحش وميمونة، وبين أم‌سلمة وصفية حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم ثم قال: (أنت أخى، وأنا أخوك يا على): وفى لفظ: قال على (عليه‌السلام): يا رسول‌الله آخيت بين أصحابك وتركتنى، فقال: أنت أخى، أما ترضى أن تدعى إذا دعيت، وتكسى إذا كسيت، وتدخل الجنة إذا دخلت؟ قال: بلى يا رسول‌الله.

وفى رواية مناقب آل أبى‌طالب: فقال له النبى (صلّى الله عليه وآله): إنما أخرتك لنفسى، أنت أخى وأنا أخوك فى الدنيا والآخرة.

فبكى على عند ذلك وقال:

أقيك بنفسى أيها المصطفى الذى

هدانا به الرحمن من عمه الجهل

وأفديك حوبائى وما قدر مهجتى؟

لمن أنتمى منه إلى الفرع والأصل [۱۱۱].

ومن ضمنى مذ كنت طفلاً ويافعاً

وأنعشنى بالبر والعل والنهل

ومن جده جدى ومن عمه عمى

ومن أهله أمى ومن بنته أهلى

ومن حين آخى بين من كان حاضراً

دعانى وآخانى وبين من فضلى

لك الفضل إنى ما حييت لشاكر

لإتمام ما أوليت يا خاتم الرسل

وقال: أنا أخو المصطفى لا شك فى نسبى

معه ربيت وسبطاه هما ولدى

وقال: محمد النبى أخى وصنوى

وحمزة سيد الشهداء عمى

ولا شك أن هذه الأخوة ليست نسبية، إذ لم يكونا أخوين من النسب تحقيقاً وإنما قال ذلك فيه إبانة لمنزلته وفضله وإمامته على سائر المسلمين، لئلا يتقدمه أحد منهم، ولا يتآمر عليه بعد ما آخى بينهم أجمعين: الأشكال، وجعله شكلاً لنفسه، ولهذا كان على (عليه‌السلام) يفتخر بهذه المنقبة والفضيلة لما فيه من علو الرتبة وسمو المنزلة، وشدة الاختصاص بالنبى، وكان على (عليه‌السلام) يقول: أنا عبدالله وأخو رسول‌الله، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، لا يقوله غيرى إلا كذاب.

إن كثرة النصوص الواردة حول هذه الفضيلة وتواترها لا تبقى مجالاً للشك والريب، وقد ذكرها طائفة كبيرة من علماء السنة وحفاظهم، وتطرق إلى ذلك الشعراء فى نظمهم وقريضهم لم نذكرها رعاية للاختصار.

مصادر حديث المواخاة بين رسول الله وعلى

وهى خمسون مصدراً:

۱ جامع الترمذى ۲ ص ۲۱۳.

۲ مصابيح البغوى ۲ ص ۱۹۹.

۳ مستدرك الحاكم ۳ ص۱۴.

۴ الاستيعاب ۲ ص ۴۶۰.

۵ تيسير الوصول ۳ ص ۲۷۱.

۶ مشكاة المصابيح هامش المرقاة ۵ ص ۵۶۹.

۷ الرياض النضرة ۲ ص ۱۶۷ وفى ص ۲۱۲.

۸ الفصول المهمة ص ۲۲ و ۲۹.

۹ تذكرة السبط ص ۱۳ و ۱۵.

۱۰ كفاية الكنجى ص ۸۲.

۱۱ السيرة النبوية لابن سيد الناس ۱ ص ۲۰۰ و ۲۰۳.

۱۲ تاريخ ابن كثير ۷ ص ۳۳۵.

۱۳ أسنى المطالب للجزرى ص ۹.

۱۴ مطالب السؤول ص ۱۸.

۱۵ الصواعق ص ۷۳ و ۷۵.

۱۶ تاريخ الخلفاء ص ۱۱۴.

۱۷ الإصابة ۲ ص ۵۰۷.

۱۸ المواقف ۳ ص ۲۷۶.

۱۹ شرح المواهب ۱ ص ۳۷۳.

۲۰ طبقات الشعرانى ۲ ص ۵۵.

۲۱ تاريخ القرمانى هامش الكامل ۱ ص ۲۱۶.

۲۲ السيرة الحلبية ۱ ص ۲۳ و ۱۰۱.

۲۳ السيرة النبوية لزينى دحلان ۱ ص ۳۲۵.

۲۴ كفاية الشنقيطى ص ۳۴.

۲۵ الإمام على بن أبى‌طالب للأستاذ محمد رضا ص ۲۱.

۲۶ الإمام على بن أبى‌طالب للأستاذ عبدالفتاح عبدالمقصود قاله فى ص ۷۳.

۲۷ الرياض النضرة ۲ ص ۲۰۹.

۲۸ تاريخ ابن‌عساكر ۶ ص ۲۰۱.

۲۹ كنز العمال ۶ ص ۳۹۰.

۳۰ تاريخ ابن‌هشام ۲ ص ۱۲۳.

۳۱ الفتاوى الحديثية ص ۴۲.

۳۲ تاريخ الخطيب ۱۲ ص ۲۶۸.

۳۳ مسند أحمد ۱ ص ۲۳۰.

۳۴ الإمتاع للمقريزى ص ۳۴۰.

۳۵ المحاسن والمساوئ ۱ ص ۳۱.

۳۶ مجمع الزوائد ۹ ص ۱۱۱.

۳۷ مناقب الخوارزمی ص ۸۷.

۳۸ شمس الأخیار ص ۳۵.

۳۹ فیض القدیر ۴ ص ۳۵۵.

۴۰ مصباح الظلام ۲ ص ۵۶.

۴۱ حلیة الأولیاء ۱ ص ۶۷.

۴۲ شرح ابن أبی‌الحدید ۲ ص ۴۴۹.

۴۳ فرائد السمطین فی الباب ۳۰ و ۵۰.

۴۴ نزهة المجالس ۲ ص ۲۴۱.

۴۵ ذخائر العقبی ص ۹۱.

۴۶ تاریخ بغداد ۱۱ ص ۱۱۲.

۴۷ خصائص النسائی ص ۳۲.

۴۸ سنن ابن‌ماجه ۱ ص ۵۷.

۴۹ العقد الفرید ص ۲۷۵.

۵۰ تاریخ الطبری ۳۱۲.

سورة براءة

لما نزلت هذه السورة علی النبی محمد (صلّی الله علیه وآله) أمر رسول‌الله أبابکر أن یذهب إلی مکة ویقرأها علی الناس، وفی روایة: یقرأ عشر آیات من أول هذه السورة، وأن ینبذ إلی کل ذی عهد عهده، فلما وصل أبوبکر إلی ذی الحلفیة نزل جبرائیل علی النبی وقال: لا یبلغ عنک إلا علی.

فدعا رسول‌الله علیاً وأمره أن یرکب ناقته العضباء، وأمره أن یلحق أبابکر ویأخذ منه سورة براءة ویقرأها علی الناس بمکة، فأدرک علی أبابکر فلما رآه أبوبکر فزع من لحوقه به واستقبله فقال: فیم جئت یا أباالحسن؟ أسائر أنت معی أم لغیر ذلک؟ فقال علی: إن رسول‌الله أمرنی أن ألحقک فأقبض منک الآیات من براءة وأنبذ بها عهد المشرکین إلیهم، وأمرنی أن أخیرک بین أن تسیر معی أو ترجع إلیه، فقال: بل أرجع إلیه وعاد إلی النبی (صلّی الله علیه وآله) فلما دخل علیه قال: یا رسول‌الله إنک أهلتنی لأمر طالت الأعناق إلی فیه، فلما توجهت إلیه رددتنی عنه، ما لی أنزل فی قرآن؟ فقال له النبی (صلّی الله علیه وآله): لا، ولکن الأمین جبرائیل (علیه‌السلام) هبط إلی عن الله عزوجل بأنه لا یؤدی عنک إلا أنت أو رجل منک، وعلی منی، ولا یؤدی عنی إلا علی.

قال المقریزی فی الإمتاع: بأن العرب کان إذا تحالف سیدهم أو رئیسهم لم ینقض ذلک إلا الذی یحالف أو أقرب الناس قرابة منه، وکان علی رضی الله عنه هو الذی عاهد المشرکین فلذلک بعثه (صلّی الله علیه وآله) ببراءة.

وذکر أبوعبدالله الحافظ بإسناده عن زید بن نقیع قال: سألنا علیاً بأی شیء بعثت فی ذی الحجة؟ قال بعثت بأربعة: لا تدخل الکعبة إلا نفس مؤمنة، ولا یطوف بالبیت عریان، ولا یجتمع مؤمن وکافر فی المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومن کان بینه وبین رسول‌الله عهد فعهده إلی مدته، ومن لم یکن له عهد فأجله أربعة أشهر.

وروی أنه (علیه‌السلام) قام عند جمرة العقبة وقال: یا أیها الناس إنی رسول رسول‌الله إلیکم بأن لا یدخل البیت کافر، ولا یحج البیت مشرک، ولا یطوف بالبیت عریان، ومن کان له عهد عند رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فله عهده إلی أربعة أشهر، ومن لا عهد له فله مدة بقیة الأشهر الحرم، وقرأ علیهم سورة براءة، وقیل: قرأ علیهم ثلاث عشرة آیة من أول براءة، وروی أنه (علیه‌السلام) لما نادی فیهم:

(إن الله برىء من المشركين). [۱۱۲].

قال المشركون: نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك.

وهذه صور أخرى:

فى البحار عن الإمام الباقر (عليه‌السلام): لما سرح رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أبابكر بأول سورة براءة إلى أهل مكة أتاه جبرائيل (عليه‌السلام) فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن لا تبعث هذا وأن تبعث على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام)، وإنه لا يؤديها عنك غيره، فأمر النبى (صلّى الله عليه وآله) على بن أبى‌طالب فلحقه وأخذ منه الصحيفة وقال: ارجع إلى النبى، فقال أبوبكر: هل حدث فى شىء؟ فقال: سيخبرك رسول‌الله، فرجع أبوبكر إلى النبى (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول‌الله ما كنت ترى أنى مؤد عنك هذه الرسالة؟ فقال له النبى (صلّى الله عليه وآله): أبى الله أن يؤديها إلا على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) فأكثر أبوبكر عليه من الكلام فقال له النبى (صلّى الله عليه وآله): كيف تؤديها وأنت صاحبى فى الغار.

قال: فانطلق على (عليه‌السلام) حتى قدم مكة ثم وافى عرفات، ثم رجع إلى جمع، ثم إلى منى ثم ذبح وحلق، وصعد على الجبل المشرف المعروف بالشعب فأذن ثلاث مرات: ألا تسمعون أيها الناس إنى رسول رسول‌الله إليكم؟ ثم قال: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتهم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين وأذان من الله ورسوله) [۱۱۳] إلى قوله: (إن الله غفور رحيم) [۱۱۴] تسع آيات من أولها، ثم لمع بسيفه (أى أشار) فأسمع الناس وكررها فقال الناس: من هذا الذى ينادى فى الناس؟ فقالوا: على بن أبى‌طالب، وقال من عرفه من الناس: هذا ابن عم محمد، وما كان ليجترئ على هذا غير عشيرة محمد (صلّى الله عليه وآله)، فأقام أيام التشريق ثلاثة ينادى بذلك ويقرأ على الناس غدوة وعشية، فناداه الناس من المشركين: أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسيف وطعناً بالرماح.

ثم انصرف على (عليه‌السلام) إلى النبى (صلّى الله عليه وآله) يقصد فى السير، وأبطأ الوحى عن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فى أمر على وما كان منه، فاغتم النبى لذلك غماً شديداً حتى رؤى فى وجهه، وكف عن النساء من الهم والغم، فقال بعضهم لبعض: لعله قد نعيت إليه نفسه أو عرض له مرض، فقالوا لأبى‌ذر: قد نعلم منزلتك من رسول‌الله، وقد ترى ما به، فنحن نحب أن تعلم لنا أمره، فسأل أبوذر النبى (صلّى الله عليه وآله) عن ذلك، فقال النبى: ما نعيت إلى نفسى وإنى لميت، وما وجدت فى أمتى إلا خيراً، وما بى من مرض، ولكن من شدة وجدى بعلى بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) وإبطاء الوحى عنى فى أمره، فإن الله عزوجل قد أعطانى فى على (عليه‌السلام) تسع خصال: ثلاثة لدنياى، واثنتان لآخرتى واثنتان أنا منهما آمن، واثنتان أنا منهما خائف، وقد كان رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إذا صلى الغداة استقبل القبلة بوجهه إلى طلوع الشمس يذكر الله عزوجل، وتقدم على بن أبى‌طالب خلف النبى (صلّى الله عليه وآله) ويستقبل الناس بوجهه فيستأذنون فى حوائجهم، وبذلك أمرهم رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فلما توجه على (عليه‌السلام) إلى ذلك الوجه لم يجعل رسول‌الله مكان على لأحد، وكان رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) إذا صلى وسلم استقبل الناس بوجهه فأذن للناس.

فقام أبوذر فقال: يا رسول‌الله لى حاجة، قال: انطلق فى حاجتك.

فخرج أبوذر من المدينة يستقبل على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) فلما كان ببعض الطريق إذا هو براكب مقبل على ناقته، فإذا هو على فاستقبله والتزمه وقبله وقال: بأبى أنت وأمى اقصد فى مسيرك حتى أكون أنا الذى أبشر رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فإن رسول‌الله من أمرك فى غم شديد وهم، فقال له على (عليه‌السلام): نعم، فانطلق أبوذر مسرعاً حتى أتى النبى (صلّى الله عليه وآله) فقال: البشرى، قال: وما بشراك يا أباذر؟ قال: قدم على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) فقال له: لك بذلك الجنة، ثم ركب النبى (صلّى الله عليه وآله) وركب معه الناس فلما رآه أناخ ناقته، ونزل رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فتلقاه والتزمه وعانقه ووضع خده على منكب على وبكى النبى فرحاً بقدومه وبكى على معه، ثم قال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): ما صنعت بأبى أنت وأمى؟ فإن الوحى أبطأ على فى

أمرک، فأخبره بما صنع، فقال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) کان الله عزوجل أعلم بک منی حین أمرنی بإرسالک.

عن الصادق (علیه‌السلام) قال: خطب علی فاخترط سیفه وقال: لا یطوفن بالبیت عریان، ولا یحجن البیت مشرک، ومن کان له مدة فهو إلی مدته، ومن لم یکن له مدة فمدته أربعة أشهر زیادة فی مسند الموصلی: ولا یدخل الجنة إلا نفس مؤمنة وهذا هو الذی أمر الله تعالی به إبراهیم (علیه‌السلام) حین قال: (وطهر بیتی للطائفین والقائمین والرکع السجود) [۱۱۵] فکان الله تعالی أمر إبراهیم الخلیل بالنداء أولاً قوله: (وأذن فی الناس بالحج) [۱۱۶] وأمر الولی بالنداء آخراً قوله: (وأذان من الله ورسوله) [۱۱۷] قال السدی وأبومالک وابن‌عباس وزین العابدین (علیه‌السلام): الأذان علی بن أبی‌طالب الذی نادی به.

علی یکسر الأصنام

روی أبوبکر الشیرازی...

عن أبی‌هریرة قال: قال لی جابر بن عبدالله: دخلنا مع النبی مکة، وفی البیت وحوله ثلاث مائة وستون صنماً فأمر بها رسول‌الله (صلی الله علیه وآله) فألقیت کلها لوجوهها، وکان علی البیت صنم طویل یقال له (هبل) فنظر النبی (صلّی الله علیه وآله) إلی علی (علیه‌السلام) وقال له: یا علی ترکب (تصعد) أو أرکب علیک لألقی هبل عن ظهر الکعبة؟ قلت: یا رسول‌الله بل ترکبنی فلما جلس علی ظهری لم أستطع حمله لثقل الرسالة، قلت: یا رسول‌الله بل أرکبک، فضحک ونزل وطأطأ لی ظهره واستویت علیه، فو الذی فلق الحبة وبرئ النسمة لو أردت أن أمسک السماء لمسکتها بیدی!! فألقیت هبل عن ظهر الکعبة، فأنزل الله تعالی: (وقل جاء الحق وزهق الباطل). [۱۱۸].

وروی أحمد بن حنبل وأبوبکر الخطیب بإسناده عن علی بن أبی‌طالب (علیه السلام) قال: انطلق بی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) إلی الأصنام فقال: اجلس، فجلست إلی جنب الکعبة ثم صعد رسول‌الله علی منکبی ثم قال لی: انهض بی إلی الصنم، فنهضت به، فلما رأی ضعفی عنه قال: اجلس فجلست وأنزلته عنی، وجلس لی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) ثم قال لی: اصعد یا علی، فصعدت علی منکبه ثم نهض بی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فلما نهض بی خیّل لی أنی لو شئت نلت السماء وصعدت علی الکعبة، وتنحی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فألقیت صنمهم الأکبر صنم قریش، وکان من نحاس موتداً بأوتاد من حدید إلی الأرض.

الحدیث بصورة أخری:

روی إسماعیل بن محمد الکوفی فی خبر طویل عن ابن‌عباس أنه کان صنم لخزاعة من فوق الکعبة، فقال له النبی (صلّی الله علیه وآله): یا أباالحسن انطلق بنا نلقی هذا الصنم عن البیت، فانطلقا لیلاً فقال له: یا أباالحسن ارق علی ظهری، وکان طول الکعبة أربعین ذراعاً، فحمله رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فقال: انتهیت یا علی؟ قال: والذی بعثک بالحق لو هممت أن أمس السماء بیدی لمسستها.

واحتمل الصنم وجلد به الأرض فتقطع قطعاً، ثم تعلق بالمیزاب وتخلی بنفسه إلی الأرض، فلما سقط ضحک، فقال النبی (صلّی الله علیه وآله): ما یضحکک یا علی أضحک الله سنک؟ قال: ضحکت یا رسول‌الله تعجباً من أنی رمیت بنفسی من فوق البیت إلی الأرض فما ألمت ولا أصابنی وجع! فقال: کیف تألم یا علی أو یصیبک وجع إنما رفعک محمد وأنزلک جبرائیل..

وفی علل الشرائع وجامع الأخبار عن محمد بن حرب الهلالی أمیر المدینة قال: سألت جعفر بن محمد (الصادق) (علیه‌السلام) فقلت له: یا ابن‌رسول‌الله فی نفسی مسألة أرید أن أسألک عنها.

فقال: إن شئت أخبرتک بمسألتک قبل أن تسألنی وإن شئت فاسأل قال قلت له: یا ابن‌رسول‌الله وبأی شیء تعرف ما فی نفسی قبل سؤالی؟ فقال بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عزوجل: (إن فی ذلک لآیات للمتوسمین) [۱۱۹] وقول رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ینظر بنور الله)؟ قال: فقلت له: یا ابن‌رسول‌الله فأخبرنی بمسألتی قال: أردت أن تسألنی عن رسول‌الله لم

لم يطق حمله على (عليه السلام) عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته ومع ما ظهر منه فى قلع باب القوم بخيبر والرمى به إلى ورائه أربعين ذراعاً؟ وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً؟ وقد كان رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يركب الناقة والفرس والحمار وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك دون على فى القوة والشدة؟ قال: فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسألك يا ابن‌رسول‌الله فأخبرنى.

فقال (عليه‌السلام): إن علياً برسول‌الله تشرف، وبه ارتفع وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عزوجل ولو علاه النبى (صلّى الله عليه وآله) لحط الأصنام لكان بعلى مرتفعاً وشريفاً واصلاً إلى حط الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياً (عليه‌السلام) قال: (لما علوت ظهر رسول‌الله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها)؟ أما علمت أن المصباح هو الذى يهتدى به فى الظلمة وانبعاث فرعه من أصله وقد قال على (عليه‌السلام): (أنا من أحمد كالضوء من الضوء!).

حديث سد الأبواب

فى البحار ج ۹ عن أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) قال: إن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) لما بنى مسجده بالمدينة وأشرع بابه وأشرع المهاجرون والأنصار أبوابهم أراد الله عزوجل إبانة محمد وآله الأفضلين بالفضيلة، فنزل جبرائيل (عليه‌السلام) عن الله: بأن سدوا الأبواب عن مسجد رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) قبل أن ينزل بكم العذاب، فأول من بعث إليه رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) كان العباس، وكان الرسول معاذ بن جبل، ثم مر العباس بفاطمة (عليهاالسلام) فرآها قاعدة على بابها وقد أقعدت الحسن والحسين (عليهماالسلام) فقال لها: ما بالك قاعدة؟ انظروا إليها كأنها لبوءة بين يديها شبلاها! تظن أن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يخرج عمه ويدخل ابن عمه! فمر بهم رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقال لها: ما بالك قاعدة؟ فقالت: أنتظر أمر رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) بسد الأبواب، فقال (صلّى الله عليه وآله): إن الله تعالى أمرهم بسد الأبواب واستثنى منهم رسوله وأنتم نفس رسول‌الله، ثم إن عمر بن الخطاب جاء فقال: إنى أحب النظر إليك يا رسول‌الله إذا مررت إلى مصلاك، فأذن لى فى خوخة (فرجة) أنظر إليك منها! فقال: قد أبى الله ذلك، فقال: فمقدار ما أضع عليه وجهى، قال قد أبى الله ذلك، قال: فمقدار ما أضع عليه عينى، فقال: قد أبى الله ذلك ولو قلت: قدر طرف إبرة لم آذن لك، والذى نفسى بيده ما أنا أخرجتكم ولا أدخلتكم ولكن الله أدخلكم وأخرجكم.

ثم قال: لا ينبغى لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت فى هذا المسجد جنباً إلا محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبون من آلهم الطيبون من أولادهم..

الحديث بلفظ آخر:

حذيفة بن أسيد الغفارى قال: لما قدم أصحاب النبى (صلّى الله عليه وآله) المدينة لم تكن لهم بيوت فكانوا يبيتون فى المسجد، فقال لهم النبى (صلّى الله عليه وآله): لا تبيتوا فى المسجد فتحتلموا، ثم إن القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإن النبى (صلّى الله عليه وآله) بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبابكر فقال: إن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يأمرك أن تخرج من المسجد وتسد بابك، فقال: سمعاً وطاعة.

فسد بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل إلى عمر فقال: إن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يأمرك أن تسد بابك الذى فى المسجد وتخرج منه، فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله غير أنى أرغب إلى الله تعالى فى خوخة (فرجة) فى المسجد.

فأبلغه معاذ ما قاله عمر، ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية فقال: سمعاً وطاعة.

فسد بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل إلى حمزة رضى الله عنه فسد بابه وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله وعلى (عليه‌السلام) على ذلك متردد لا يدرى أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج؟ وكان النبى (صلّى الله عليه وآله) قد بنى له فى المسجد بيتاً بين أبياته، فقال له النبى (صلّى الله عليه وآله): اسكن طاهراً مطهراً، فبلغ حمزة قول النبى (صلّى الله عليه وآله) لعلى (عليه‌السلام) فقال: يا محمد تخرجنا

وتمسک غلمان بنی عبدالمطلب فقال له نبی الله: لو کان الأمر إلی ما جعلت دونکم من أحد، والله ما أعطاه إیاه إلا الله وإنک لعلی خیر من الله ورسوله، أبشر، فبشره النبی (صلّی الله علیه وآله) فقتل یوم أحد شهیداً، ونفس ذلک رجال علی علی فوجدوا فی أنفسهم، وتبین فضله علیهم وعلی غیرهم من أصحاب رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فبلغ ذلک النبی (صلّی الله علیه وآله) فقام خطیباً فقال إن رجالاً یجدون فی أنفسهم فی أن أسکن علیاً فی المسجد وأخرجهم والله ما أخرجهم ولا أسکنته، إن الله عزوجل أوحی إلی موسی وأخیه (أن تبوءا لقومکما بمصر بیوتاً واجعلوا بیوتکم قبلة وأقیموا الصلاة) [۱۲۰] وأمر موسی أن لا یسکن مسجداً ولا ینکح فیه ولا یدخله إلا هارون وذریته، وإن علیاً بمنزله هارون من موسی وهو أخی دون أهلی ولا یحل مسجدی لأحد ینکح فیه النساء إلا علی وذریته، فمن شاء فها هنا وأومأ بیده نحو الشام.

ولإبن أبی‌الحدید کلام جامع یشیر إلی بعض الفضائل بصورة موجزة یقول: وکان أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) ذا أخلاق متضادة، فمنها أن الغالب علی أهل الإقدام والمغامرة والجرأة أن یکونوا ذوی قلوب قاسیة وفتک وتنمر وجبریة، والغالب علی أهل الزهد ورفض الدنیا وهجران ملاذها والاشتغال بمواعظ الناس وتخویفهم المعاد وتذکیرهم الموت أن یکونوا ذوی رقة ولین.

وضعف قلب وخور طبع، وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له (علیه‌السلام).

ومنها: أن الغالب علی ذوی الشجاعة وإراقة الدماء أن یکونوا ذوی أخلاق سبعیه وطباع وحشیة، وکذلک الغالب علی أهل الزهاد وأرباب الوعظ والتذکیر ورفض الدنیا أن یکونوا ذوی انقباض فی الأخلاق وعبوس فی الوجوه ونفار من الناس واستیحاش.

وعلی (علیه‌السلام) کان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم، وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنیا وأکثرهم وعظاً وتذکیراً بأیام الله ومثلاته وأشدهم اجتهادا فی العبادة، وآداباً لنفسه فی المعاملة.

وکان مع ذلک ألطف العالم أخلاقاً، وأسفرهم وجهاً، وأکثرهم بشراَ وأوفاهم هشاشة وبشاشة، وأبعدهم عن انقباض موحش أو خلق نافر، أو تجهم مباعد، أو غلظة وفظاظة ینفر معها نفس، أو یتکدر معها قلب، حتی عیب بالدعابة.

ولما لم یجدوا فیه مغمزاً ولا مطعناً تعلقوا بها (الدعابة)، واعتمدوا فی التنفیر علیها، وهذا من عجائبه وغرائبه اللطیفة.

ومنها: أن الغالب علی شرفاء الناس ومن هو من أهل السیادة والرئاسة أن یکون ذا کبرٍ وتیهٍ وتعظم، وخصوصاً إذا أضیف إلی شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أخری.

وکان أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) فی مصاص الشرف ومعدنه، لا شک عدو ولا صدیق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه (صلوات الله علیه) وقد حصل له الشرف غیر شرف النسب جهات کثیرة متعددة، وقد ذکرنا بعضها ومع ذلک کان أشد الناس تواضعاً لصغیر وکبیر، وألینهم عریکة، وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الکبر، وأعرفهم بحق.

وکانت حاله هذه حالة فی کل زمانیه: زمان خلافته، والزمان الذی قبله، ما غیرت سجیته الإمرة، ولا أحالت خلقه الرئاسة وکیف تحیل الرئاسة خلقه وما زال رئیساً؟ وکیف تغیر الإمرة سجیته وما برح أمیراً؟ لم یستفد بالخلافة شرفاً، ولا اکتسب بها زینة، بل هو کما قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: ذکر ذلک الشیخ أبوالفرج عبدالرحمن بن علی الجوزی فی تاریخه المعروف (بالمنتظم) قال: تذاکروا عند أحمد خلافة أبی‌بکر وعلی وقالوا، وأکثروا فرفع رأسه إلیهم وقال: قد أکثرتم، إن علیاً لم تزنه الخلافة لکنه زانها، وهذا الکلام بفحواه ومفهومه علی أن غیره ازداد بالخلافة وتمت نقیصه، وأن علیاً لم یکن فیه نقص یحتاج إلی أن یتم بالخلافة وکانت الخلافة ذات نقص فی نفسها، فتم نقصها بولایته إیاها.

ومنها: إن الغالب علی ذوی الشجاعة وقتل الأنفس وإراقة الدماء لأن یکونوا قلیلی الصفح، بعیدی العفو، لأن أکبادهم واغرة، وقلوبهم ملتهبة، والقوة الغضبیة عندهم شدیدة، وقد علمت حال أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) فی کثرة إراقة الدماء وما عنده من الحلم والصفح ومغالبته هوی النفس، وقد رأیت فعله یوم الجمل.

ومنها ما رأیناه شجاعاً جواداً قط...

وقد علمت حال أميرالمؤمنين فى الشجاعة والسخاء كيف هى؟ وهى من أعاجيبه (عليه‌السلام...)

إلى آخر كلامه.

على يوم الغدير

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يرضى وسلام على النبى المصطفى وأخيه المرتضى وآله.

قال الله تبارك وتعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس). [۱۲۱].

أيها الأخوة كلامنا الليلة حول واقعة الغدير، تلك الواقعة التى أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة، يوم تتويج الإمام المرتضى (عليه‌السلام) بتاج الخلافة العظمى والإمامة الكبرى.

وهذا البحث من أهم البحوث الإسلامية، وهنا مفترق الطرق بين المذاهب الإسلامية، ويمكن لنا أن نقول: إن الكتب والمؤلفات التى كتبت حول هذا الموضوع بالذات وحول الإمامة والخلافة بصورة عامة قد جاوزت العد والضبط والإحصاء، من إثبات أو رد أو مناقشة وما يدور فى هذا الفلك.

ولا تسألوا عن الأرواح التى زهقت فى سبيل هذه الواقعة ومضاعفاتها فى خلال أربعة عشر قرناً، وما هناك من مآسى وكوارث ومصائب ومجازر وفتن تتعب القارئ وتجهد السامع.

وحيث إن الإمامة عندنا تالية للنبوة من حيث كونها وظيفة إلهية ومنصب ربانى ليس لأحد حق الانتخاب أو الرد فيها، كما قال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة) [۱۲۲] ولهذا لا بأس بذكر هذه الواقعة وما يتعلق بها من أقوال الصحابة وأهل البيت والتابعين وتابعيهم من المحدثين والمفسرين والمؤرخين والشعراء والأئمة والأعلام والحفاظ.

ومن العجب أن عدداً من النصارى ذكروا هذه الحادثة نظماً ونثراً ولعلنا نشير إلى بعض أقوال هؤلاء بصورة موجزة رعاية للاختصار.

ومن أعجب العجب أن بعض المسلمين بعد إقامة الأدلة الكافية والبراهين الشافية والحجج القاطعة على خلافة أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وبعد المناقشة فى سند الحديث ودلالة متنه ومفهومه قال: إن عليا هو الأفضل ولكن غيره أصلح!! سبحان الله هذه كلمة تضحك الثكلى! لأن معناها، إن الله ورسوله ما كانا يعرفان الأصلح؟ أو كانا يعرفانه ولكنهما قدما غير الأصلح، نعوذ بالله من الباطل.

والأفضل أن نذكر الواقعة بصورة موجزة ثم ننظر أين ينتهى بنا الكلام؟ وأقوال المفسرين والمحدثين تختلف من حيث الإيجاز والتفصيل، ولكن المفاد واحد، وهذه صورة الواقعة: لما قضى رسول‌الله مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع الغفيرة ووصل إلى غدير خم من الجحفة التى تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذى الحجة نزل إليه جبرائيل الأمين عن الله بقوله: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) [۱۲۳] الآية.

وأمره أن يقيم علياً علماً للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول‌الله أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم فى ذلك المكان ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم فقم (كنس) ما تحتهن حتى إذا نؤدى بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء، وظلل لرسول‌الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف الرسول (صلّى الله عليه وآله) من صلاته قام خطيباً وسط القوم على اقتاب الإبل وأسمع الجميع رافعاً عقيرته فقال: الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذى لا هادى لمن ضل،

ولا مضل لمن هدی وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله أما بعد: أیها الناس قد نبأنی اللطیف الخبیر أنه لم یعمر نبی إلا مثل نصف عمر الذی قبله، وإنی أُوشک أن أُدعی فأُجیب، وإنی مسؤول وانتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنک قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاک الله خیراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتیة لا ریب فیها وأن الله یبعث من فی القبور؟ قالوا: بلی نشهد بذلک، قال: اللهم أشهد ثم قال: أیها الناس ألا تسمعون؟ قالوا نعم قال: فإنی فرط علی الحوض، وانتم واردون علی الحوض، وإن عرضه ما بین صنعاء وبصری فیه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا کیف تخلفونی فی الثقلین.

فنادی مناد: وما الثقلان یا رسول‌الله؟ قال: الثقل الأکبر کتاب الله طرف بید الله عزوجل وطرف بأیدیکم فتمسکوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتی، وإن اللطیف الخبیر نبأنی أنهما لن یفترقا حتی یردا علی الحوض فسألت ذلک لهما ربی، فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنهما فتهلکوا ثم أخذ بید علی فرفعها حتی رئی بیاض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أیها الناس من أولی الناس بالمؤمنین من أنفسهم؟ فمن کنت مولاه فعلی مولاه، یقولها ثلاث مرات، وفی لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات ثم قال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من بغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حیث دار، ألا فلیبلغ الشاهد الغائب.

وقد ذکروا لرسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) خطبة مفصلة جداً رواها الطبرسی فی الاحتجاج، ورواها غیره فی کتبهم بغیر تفصیل، وکیف کان لما فرغ رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) من خطبته نزل وأمر المسلمین أن یبایعوا علیاً بالخلافة ویسلموا علیه بإمرة المؤمنین. فتهافت علیه الناس یبایعونه، وجاء الشیخان: أبوبکر وعمر إلی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وقالا: هذا أمر منک أم من الله؟ فقال النبی: وهل یکون هذا عن غیر أمر الله؟ نعم أمر من الله ورسوله فقاما وبایعا، فقال عمر: السلام علیک یا أمیرالمؤمنین بخ بخ لک لقد أصبحت مولای ومولی کل مؤمن ومؤمنه!! هذه الواقعة من أشهر الحوادث بین المفسرین والمحدثین والمؤرخین، وتعتبر عندهم من أصح الأحادیث لتواتر الروایات الواردة حول الحدیث.

أما الصحابة الذین شهدوا بالغدیر فالمشهور منهم مائة ونیف وإلیک أسماؤهم حسب الحروف:

۱ أبوهریرة.

۲ أبولیلی الأنصاری.

۳ أبوزینب بن عوف الأنصاری.

۴ أبوفضالة الأنصاری.

۵ أبوقدامه الأنصاری.

۶ أبوعمرة بن عمر بن محضر الأنصاری.

۷ أبوالهیثم بن التیهان.

۸ أبورافع القبطی.

۹ أبوذویب بن خویلد.

۱۰ أبوبکر بن أبی‌قحافة.

۱۱ أسامة بن زید.

۱۲ أسعد بن زراره الأنصاری.

۱۳ أبی بن کعب الأنصاری.

۱۴ أسماء بنت عميس.

۱۵ أم‌كلثوم زوجة النبى (صلّى الله عليه وآله).

۱۶ أم‌هانى بنت أبى‌طالب.

۱۷ براء بن عازب الأنصارى.

۱۸ أبوحمزة أنس بن مالك.

۱۹ بريرة بن الخصيب.

۲۰ أبوسعيد ثابت بن وديعة الأنصارى.

۲۱ جاب بن ثمرة.

۲۲ جابر بن عبدالله الأنصارى.

۲۳ جبلة بن عمرو الأنصارى.

۲۴ جبير بن مطعم.

۲۵ جرير بن عبدالله.

۲۶ أبوذر جندب بن جنادة.

۲۷ أبوجنيدة جندع بن عمرو.

۲۸ حبة بن جرير العرنى.

۲۹ حبشى بن جنادة.

۳۰ حبيب بن بديل.

۳۱ حذيفة بن أسيد.

۳۲ حذيفة بن اليمان.

۳۳ حسان بن ثابت.

۳۴ الإمام الحسن بن على (عليه‌السلام).

۳۵ الإمام الحسين بن على (عليه‌السلام).

۳۶ أبوأيوب الأنصارى.

۳۷ خالد بن الوليد.

۳۸ خزيمة بن ثابت.

۳۹ خويلد بن عمر الخزامى.

۴۰ رفاعة بن عبدالمنذر الأنصارى.

۴۱ زبير بن العوام.

۴۲ زيد بن ثابت.

۴۴ زيد بن عبدالله الأنصارى.

۴۵ زيد بن يزيد بن شراحيل الأنصارى.

۴۶ سعد بن أبى‌وقاص.

۴۷ سعد بن جنادة.

۴۸ سعد بن عبادة.

۴۹ أبوسعيد الخدرى.

۵۱ سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى.

۵۲ سلمان الفارسى.

۵۳ سمرة بن جندب.

۵۴ سلمة بن عمرو.

۵۵ سهل بن ساعد الأنصارى.

۵۷ أبوأمامة الصدى بن عجلان.

۵۸ ضميرة الأسدى.

۵۹ طلحة بن عبيدالله.

۶۰ عامر بن عمير.

۶۱ عامر بن ليلى.

۶۲ عامر بن واثلة.

۶۳ عامر بن ليلى العقارى.

۶۴ عائشة بنت أبى‌بكر.

۶۵ عباس بن عبدالمطلب عم النبى (صلّى الله عليه وآله).

۶۶ عبدالرحمن بن عبد رب الأنصارى.

۶۷ عبدالرحمن بن عوف.

۶۸ عبدالرحمن بن يعمر.

۶۹ عبدالله بن أبى عبدالأسد المخزومى.

۷۰ عبدالله بن بديل.

۷۱ عبدالله بن بشير.

۷۲ عبدالله بن ثابت الأنصارى.

۷۳ عبدالله بن جعفر بن أبى‌طالب.

۷۴ عبدالله بن حنطب.

۷۵ عبدالله بن ربيعة.

۷۶ عبدالله بن عباس.

۷۷ عبدالله بن أبى‌أوفى.

۷۸ عبدالله بن عمر بن الخطاب.

۷۹ عبدالله ياميل.

۸۰ عثمان بن عفان.

۸۱ عدى بن حاتم.

۸۲ عبيد بن عازب الأنصارى.

۸۳ عطیة بن یسر.

۸۴ عقبة بن عامر.

۸۵ علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام).

۸۶ عمار بن یاسر.

۸۷ عمارة الخزرجی.

۸۸ عمر بن أبی‌سلمة.

۸۹ عمر بن الخطاب.

۹۰ عمران بن حصین.

۹۱ عمرو بن الحمق الخزاعی.

۹۲ عمرو بن شراحیل.

۹۳ عمرو بن العاص.

۹۴ عمرو بن مرة.

۹۵ فاطمة الزهراء بنت النبی (علیهاالسلام).

۹۶ فاطمة بنت حمزة بن عبدالمطلب.

۹۷ قیس بن ثابت.

۹۸ قیس بن سعد بن عبادة.

۹۹ کعب بن عجرة.

۱۰۰ مالک بن الحویرث.

۱۰۱ المقداد بن عمرو الکندی.

۱۰۲ ناجیة بن عمرو الخزاعی.

۱۰۳ أبوبرزة فضلة بن عتبة.

۱۰۴ نعمان بن عجلان.

۱۰۵ هاشم المرقال.

۱۰۶ وهب بن حمزة.

۱۰۷ وهب بن عبدالله.

۱۰۸ وحشی بن حرب.

۱۰۹ یعلی بن مرة.

اکمال الدین

ولما انتهت البیعة لأمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) هبط جبرائیل علی النبی (صلّی الله علیه وآله) بهذه الآیة: (الیوم أکملت لکم دینکم وأتممت علیکم نعمتی ورضیت لکم الإسلام دیناً). [۱۲۴].

أما المفسرون والمحدثون الشیعة فقد اتفقت کلمتهم علی نزول هذه الآیة یوم الغدیر بعد انتهاء البیعة لعلی (علیه‌السلام) وأما من حفاظ أهل السنة ومحدثیهم فقد روی:

۱ محمد بن جریر الطبری فی کتاب: (الولایة).

۲ الحافظ ابن‌مردویه روی عنه فی تفسیر ابن‌کثیر.

۳ الحافظ أبونعیم الأصبهانی روی فی کتابه: (ما نزل من القرآن فی علی).

۴ أبوبکر الخطیب البغدادی فی تاریخه ج ۸.

۵ أبوسعید السجستانی فی کتابه (الولایة).

۶ الحافظ أبوالقاسم الحاکم الحسکانی فی کتابه (دعاة الهداة إلی أداء حق الموالاة).

۷ الحافظ أبوالقاسم بن عساکر.

۸ أبوالحسن بن المغازل روی فی مناقبه.

۹ أخطب الخطباء الخوارزمی روی فی المناقب.

۱۰ أبوالفتح النطنزی روی فی کتابه الخصائص العلویة.

۱۱ أبوحامد سعد الدین الصالحی روی عنه شهاب الدین أحمد فی توضیح الدلائل علی ترجیح الفضائل.

۱۲ سبط ابن‌الجوزی ذکر فی تذکرته.

۱۳ شیخ الإسلام الحموینی روی فی فرائد السمطین.

۱۴ عماد الدین ابن‌کثیر القرشی روی فی تفسیره.

۱۵ جلال الدین السیوطی الشافعی فی الدر المنثور وفی الإتقان.

۱۶ منیر محمد البدخشی روی فی کتاب مفتاح النجاة.

نزول العذاب

انتشر خبر واقعة الغدیر، وشاع وطار فی البلاد فبلغ ذلک الحارث ابن‌النعمان الفهری، فأتی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله)، علی ناقة له حتی أتی الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها، فقال: یا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وانک رسول‌الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلی خمساً فقبلناه منک وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتی رفعت بضبع ابن عمک، ففضلته علینا وقلت: من کنت مولاه فعلی مولاه، فهذا شیء منک أم من الله عزوجل؟ فقال: والذی لا إله إلا هو إن هذا من الله.

فولی الحارث بن النعمان یرید راحلته وهو یقول: اللهم إن کان ما یقول محمد حقا فأمطر علینا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ألیم.

فما وصل إلیها راحلته حتی رماه الله تعالی بحجر فسقط علی هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله عزوجل: (سأل سائل بعذاب واقع، للکافرین لیس له دافع، من الله ذی المعارج). [۱۲۵].

الذین رووا نزول هذه الآیة فی شأن الحارث بن النعمان هم:

۱ الحافظ أبوعبید الهروی فی تفسیره غریب القرآن.

۲ أبوبکر النقاش الموصلی فی تفسیره شفاء الصدور.

۳ أبوإسحاق الثعلبی النیسابوری فی تفسیره الکشف والبیان.

۴ الحاکم أبوالقاسم الحسکانی فی کتابه (دعاة الهداة).

۵ أبوبکر یحیی القرطبی فی تفسیره.

۶ سبط ابن‌الجوزی الحنفی رواه فی تذکرته.

۷ إبراهیم بن عبدالله الیمنی الشافعی روی فی کتابه الاکتفاء.

۸ الحموینی فی فرائد السمطین.

۹ الشیخ محمد الزرندی الحنفی روی فی کتابیه معارج الوصول ودرر السمطین.

۱۰ شهاب الدین أحمد فی کتابه هدایة السعداء.

۱۱ ابن‌الصباغ المالکی فی کتابه الفصول المهمة.

۱۲ نور الدین السمهودی الشافعی رواه فی جواهر العقدین.

۱۳ أبوالسعود العمادی فی تفسیره.

۱۴ شمس الدین الشربینی الشافعی فی تفسیره السراج المنیر.

۱۵ جمال الدین الشیرازی فی کتابه الأربعین.

۱۶ شیخ زید الدین المناوی الشافعی فی کتابه فیض القدیر.

۱۷ السید ابن‌العبدروس الحسینی الیمنی فی کتابه العقد النبوی والسیر المصطفوی.

۱۸ الشیخ أحمد ابن باکثیر الشافعی ذکره فی وسیلة المآل فی عد مناقب الآل.

۱۹ الشیخ عبدالرحمن الصفوی روی فی نزهته.

۲۰ الشیخ برهان الدین علی الحلبی الشافعی فی السیرة الحلبیة.

۲۱ السید محمود بن محمد القادری المدنی قال فی تألیفه الصراط السوی فی مناقب النبی.

۲۲ شمس الدین الحنفی الشافعی فی شرح الجامع الصغیر للسیوطی.

۲۳ الشیخ محمد صدر العالم سبط الشیخ أبی‌الرضا قال فی کتابه معارج العلی فی مناقب المرتضی.

۲۴ الشیخ محمد محبوب العالم رواه فی تفسیره المعروف بتفسیر شاهی.

۲۵ أبوعبدالله الزرقانی المالکی حکاه فی شرح المواهب اللدنیة.

۲۶ أحمد بن عبدالقادر الشافعی ذکره فی کتابه ذخیرة المآل.

۲۷ السید أحمد بن إسماعیل الیمانی ذکره فی کتابه الروضة الندیة.

۲۸ السید مؤمن الشبلنجی الشافعی ذکره فی کتابه نور الأبصار.

۲۹ الأستاذ الشیخ محمد عبده المصری فی تفسیر المنار.

أما المحدثون والمفسرون من الشیعة فلا یشک منهم أحد فی نزول هذه الآیة فی شأن الحرث أو الحارث.

معانی المولی

ذکر اللغویون لکلمة (المولی) عشرین معنی، وهذا هو سبب المناقشة فی مفهوم الحدیث، فیقول أصحاب القلوب المریضة: لم یظهر لنا المقصود من کلمة (مولاه)، ونجیب عن هذه المناقشة أو التشکیک بهذه الروایة المفسرة لمعنی المولی، فقد روی أن عماراً سأل رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) عن معنی قوله: (من کنت مولاه فعلی مولاه) قال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): الله مولای: أولی بی من نفسی لا أمر لی معه، وأنا مولی المؤمنین: أولی بهم من أنفسهم، ولا أمر لهم معی، ومن کنت مولاه: أولی به من نفسه لا أمر له معی، فعلی مولاه: أولی به من نفسه لا أمر له معه.

سبحان الله! ما یصنع رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یعد هذا التفصیل والتشریح والبیان الکافی الموضح لکلامه والمبین لمقصوده؟ وهل أبقی لأحد شکا؟ وهل بقیت لأحد حجة علی الله؟ بل أتم الحجة علی الجمیع، وأدی رسالة ربه علی أحسن ما یرام، وأفضل ما یمکن.

ولسيدنا الحجة المغفور له عبدالحسين شرف الدين (عليه الرحمة) بحث لطيف وتحقيق ظريف حول كلمة المولى نذكره تتميما للفائدة:

(فلو سألكم فلاسفة الأغيار عما كان منه يوم غدير خم فقال لماذا منع تلك الألوف المؤلفة يومئذ عن المسير؟ وعلى م حبسهم فى تلك الرمضاء بهجير؟ وفيم اهتم بإرجاع من تقدم منهم وإلحاق من تأخر؟ ولم أنزلهم جميعا فى ذلك العراء على غير كلاء ولا ماء؟ ثم خطبهم عن الله عزوجل فى ذلك المكان الذى منه يتفرقون ليبلغ الشاهد منهم الغائب، وما المقتضى لنعى نفسه إليهم فى مستهل خطابه؟ إذ قال: (يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب، وإنى مسؤول وإنكم مسؤولون) وأى أمر يسأل النبى (صلّى الله عليه وآله)، عن تبليغه؟ وتسأل الأمة عن طاعتها فيه؟ ولماذا سألهم فقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك ولماذا أخذ حينئذ على سبيل الفور بيد على فرفعها حتى بان بياض إبطيه؟ فقال: يا أيها الناس إن الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، ولماذا فسر كلمته وأنا مولى المؤمنين بقوله: وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ ولماذا قال بعد هذا التفسير: فمن كنت مولاه فهذا مولاه، أو من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، ولِمَ خصّه بهذه الدعوات التى لا يليق لها إلا أئمة الحق وخلفاء الصدق؟؟ ولماذا أشهدهم من قبل، فقال ألست أولى بكم من أنفسكم؟

فقالوا: بلى.

فقال: من كنت مولاه، فعلى مولاه، أو من كنت وليه، فعلى وليه؟ ولماذا قرن العترة بالكتاب؟ وجعلها قدوة لأولى الألباب إلى يوم الحساب؟ وفيم هذا الاهتمام العظيم من هذا النبى الحكيم؟ وما المهمة التى احتاجت إلى هذه المقدمات كلها؟ وما الغاية التى توخاها فى هذا الموقف المشهور؟ وما الشىء الذى أمره الله تعالى بتبليغه إذ قال عز من قائل: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) [۱۲۶] وأى مهمة استوجبت من الله هذا التأكيد؟ واقتضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد؟ وأى أمر يخشى النبى الفتنة بتبليغه؟ ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه؟ أكنتم بجدك لو سألكم عن هذا كله تجيبونه بأن الله عزوجل ورسوله (صلّى الله عليه وآله) إنما أراد بيان نصرة على للمسلمين وصداقته لهم، ليس إلا؟ ما أراكم ترضون هذا الجواب، ولا أتوهم أنكم ترون مضمونه جائزا على رب الأرباب، ولا على سيد الحكماء، وخاتم الرسل والأنبياء وأنتم أجل من أن يصرف همه كلها، وعزائمه بأسرها إلى تبيين شىء بين لا يحتاج إلى بيان، وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان، ولا شك أنكم تنزهون أفعاله وأقواله عن أن تزدرى بها العقلاء، أو ينتقدها الفلاسفة والحكماء بل لا ريب فى أنكم تعرفون مكانة قوله وفعله من الحكمة والعصمة، وقد قال الله تعالى: (إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون) [۱۲۷] فيهتم بتوضيح الواضحات وتبيين ما هو بحكم البديهيات، ويقدم لتوضيح هذا الواضح مقدمات أجنبية ولا ربط له بها ولا دخل لها فيه، تعالى الله عن ذلك ورسوله علواً كبيراً وأنت نصر الله بك الحق تعلم أن الذى يناسب مقامه فى ذلك الهجير ويليق بأفعاله وأقواله يوم الغدير، إنما تبليغ عهده، وتعيين القائم من بعده، والقرائن اللفظية، والأدلة العقلية، توجب القطع الثابت الجازم بأنه (صلّى الله عليه وآله) ما أراد يومئذ إلا تعيين على وليا لعهده، وقائما من بعده، فالحديث مع ما قد حفّ به من القرائن نص جلى فى خلافة على لا يقبل التأويل، وليس إلى صرفه عن هذا المعنى من سبيل، وهذا واضح (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد). [۱۲۸].

أما القرينة التى زعموها فجزاف وتضليل، ولباقة فى التخليط والتهويل، لأن النبى (صلّى الله عليه وآله) بعث عليا إلى اليمن مرتين، والأولى كانت سنة ثمان وفيها أرجف المرجفون به وشكوه إلى النبى بعد رجوعهم إلى المدينة، فأنكر عليهم ذلك حتى أبصروا الغضب فى وجهه، فلم يعودوا لمثلها، والثانية كانت سنة عشر وفيها عقد النبى له اللواء وعممه (صلّى الله عليه وآله) بيده، وقال له: امض ولا تلتفت.

فمضی لوجهه راشداً مهدیاً، حتی أنفذ أمر النبی، ووافاه (صلّی الله علیه وآله) فی حجة الوداع، وقد أهلّ بما أهلّ به رسول‌الله فأشرکه (صلّی الله علیه وآله) بهدیه، وفی تلک المرة لم یرجف به مرجف، ولا تحامل علیه مجحف، فکیف یمکن أن یکون الحدیث مسبباً عما قاله المعترضون؟ أو مسوقاً للرد علی أحد کما یزعمون.

علی أن مجرد التحامل علی علی، لا ـ یمکن أن یکون سبباً لثناء النبی علیه، بالشکل الذی أشاد به (صلّی الله علیه وآله) علی منبر الحدائج یوم خم، إلا ـ أن یکون والعیاذ بالله مجازفاً فی أقواله وأفعاله، وهممه وعزائمه، وحاشا قدسی حکمته البالغة، فإن الله سبحانه یقول: (إنه لقول رسول کریم وما هو بقول شاعر قلیلاً ما تؤمنون ولا بقول کاهن قلیلا ما تذکرون تنزیل من رب العالمین) [۱۲۹] ولو أراد مجرد بیان فضله، والرد علی المتحاملین علیه، لقال: هذا ابن عمی، وصهری وأبوولدی، وسید أهل بیتی، فلا تؤذونی فیه، أو نحو ذلک من الأقوال الدالة علی مجرد الفضل وجلالة القدر.

علی أن لفظ الحدیث لا ـ یتبادر إلی الأذهان منه إلا ما قلناه، فلیکن سببه مهما کان، فإن الألفاظ إنما تحمل علی ما یتبادر إلی الإفهام منها، ولا یلتفت إلی أسبابها کما لا یخفی.

وأما ذکر أهل بیته فی حدیث الغدیر، فإنه من مؤیدات المعنی الذی قلناه، حیث قرنهم بمحکم الکتاب وجعلهم قدوة لأولی الألباب، فقال: إنی تارک فیکم ما إن تمسکتم به لن تضلوا: کتاب الله، وعترتی أهل بیتی.

وإنما فعل ذلک لتعلم الأمة أن لا مرجع بعد نبیها إلا إلیهما، ولا معول لها من بعده إلا علیها وحسبک فی وجوب إتباع الأئمة من العترة الطاهرة اقترانهم بکتاب الله عزوجل الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه، فکما لا یجوز الرجوع إلی کتاب یخالف فی حکمه کتاب الله سبحانه وتعالی، لا یجوز الرجوع إلی إمام یخالف فی حکمه أئمة العترة، وقوله (صلّی الله علیه وآله): إنهما لن ینقضیا أو لن یفترقا حتی یردا علی الحوض، دلیل علی أن الأرض لن تخلو بعده من إمام منهم، وهو عدل الکتاب، ومن تدبر الحدیث وجده یرمی إلی حصر الخلافة فی أئمة العترة الطاهرة، ویؤید ذلک ما أخرجه الإمام أحمد فی مسنده عن زید بن ثابت قال: قال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): إنی تارک فیکم خلیفتین: کتاب الله حبل ممدود من السماء إلی الأرض، وعترتی أهل بیتی، فإنهما لن یفترقا حتی یردا علی الحوض الخ...

وهذا نص فی خلافة أئمة العترة (علیهم‌السلام).

وأنت تعلم أن النص علی وجوب إتباع العترة نص علی وجوب إتباع علی، وهو سید العترة لا یدافع، وإمامها لا ینازع، فحدیث الغدیر وأمثاله، یشتمل علی النص علی علی تارة، من حیث أنه إمام العترة، المنزلة من الله ورسوله منزلة الکتاب، وأخری من حیث شخصه العظیم وأنه ولی کل من کان رسول‌الله ولیه، انتهی کلام السید (ره).

أقول: وقد نظم الشعراء من المسلمین وغیرهم علی اختلاف لغاتهم قصائد متینة فاخرة اشتهرت علی مر القرون، تعطر بها المحافل والنوادی، وینشدها الغادی والبادی، ویترنم بها الموالی والمغالی، وقد ألف علماؤنا موسوعات کبیرة تتضمن الکثیر من أشعارهم وقصائدهم وتراجمهم، ومن تلک الموسوعات موسوعة الغدیر لشیخنا المفضال الحجة المرحوم الشیخ عبدالحسین الأمینی (قدس سره)، فلقد کانت موسوعته إحدی مصادر حدیثنا فی هذه اللیالی.

ومن جملة الذین نظموا واقعة الغدیر هو سیدنا ومولانا أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) فقد قال:

محمد النبی أخی وصنوی

وحمزة سید الشهداء عمی

وجعفر الذی یضحی ویمسی

یطیر مع الملائکة ابن أمی

وبنت محمد سکنی وعرسی

منوط لحمها بدمی ولحمی

وسبطا أحمد ولدای منها

فأیکم له سهم کسهمی

سبقتکم إلی الإسلام طراً

علی ما کان من فهمی وعلمی

فأوجب لی ولایته علیکم

رسول‌الله یوم غدیر خم

(الأبیات بصورة أخری).

أخرج الإمام علی بن أحمد الواحدی عن أبی‌هریرة قال: اجتمع عدة من أصحاب رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) منهم أبوبکر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبیر، والفضل بن العباس، وعمار، وعبدالرحمن بن عوف، وأبوذر، والمقداد، وسلمان، وعبدالله بن مسعود رضی الله عنهم أجمعین، فجلسوا وأخذوا فی مناقبهم، فدخل علیهم علی (علیه‌السلام) فسألهم فیم أنتم؟ قالوا: نتذاکر مناقبنا مما سمعناه من رسول‌الله.

فقال علی (علیه‌السلام) اسمعوا منی ثم أنشأ یقول:

لقد علم الأناس بأن سهمی

من الإسلام یفضل کل سهم

وأحمد النبی أخی وصهری

علیه الله صلی وابن عمی

وإنی قائد للناس طراً

إلی الإسلام من عرب وعجم

وقاتل کل صندید رئیس

وجبار من الکفار ضخم

وفی القرآن ألزمهم ولائی

وأوجب طاعتی فرضاً بعزم

کما هارون من موسی أخوه

کذاک أنا أخوه وذاک اسمی

لذاک أقامنی لهم إماماً

وأخبرهم به بغدیر خم

فمن منکم یعادلنی بسهمی

وإسلامی وسابقتی ورحمی

فویل ثم ویل ثم ویل

لمن یلقی الإله غداً بظلمی

وویل ثم ویل ثم ویل

لجاحد طاعتی ومرید هضمی

وویل للذی یشقی سفاهاً

یرید عداوتی من غیر جرم

ومنهم حسان بن ثابت شاعر النبی (صلّی الله علیه وآله).

ذکر طائفة کبیرة من أعلام الإمامیة والسنة أنه نصب رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) علیاً یوم غدیر خم بالخلافة قال حسان بن ثابت: یا رسول‌الله أقول فی علی شعراً؟ فقال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): افعل، فقال:

یناديهم یوم الغدیر نبیهم

بخم وأسمع بالنبی منادیا

وقد جاءه جبریل عن أمر ربه

بأنک معصوم فلا تک وانیا

وبلغهم ما أنزل الله ربهم

إلیک ولا تخشی هناک الأعادیا

فقام به إذ ذاک رافع کفه

بکف علی معلن الصوت عالیا

فقال: فمن مولاکم ووليکم؟

فقالوا ولم یبدوا هناک تعامیا

إلهک مولانا وأنت ولینا

ولن تجدن فینا لک الیوم عاصیا

فقال له: قم یا علی فإننی

رضیتک من بعدی إماماً وهادیا

فمن کنت مولاه فهذا ولیه

فکونوا له أنصار صدق مواليا

هناک دعا: اللهم وال ولیه

وکن للذی عادی علیاً معادیا

فیا رب أنصر ناصریه لنصرهم

إمام هدی کالبدر یجلو الدیاجیا

فلما فرغ حسان مؤیداً من هذا القول قال له النبی (صلّی الله علیه وآله): لا تزال یا حسان مؤیداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانک.

کانت واقعة الغدیر من أشهر الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعین، ولهذا روی عنهم ذلک نظماً ونثراً، ویمکن لنا أن نقول: إن ثبوت الخلافة والولایة لعلی (علیه‌السلام) عند الصحابة کان کثبوت نبوة محمد (صلّی الله علیه وآله) عند المسلمین.

ومنهم: قیس بن سعد بن عبادة الأنصاری سید الخزرج، قام بین یدی أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) بصفین وقال:

قلت لما بغی العدو علینا

حسبنا ربنا ونعم الوکیل

حسبنا ربنا الذی فتح البص

رة بالأمس والحدیث طویل

ویقول فیها:

وعلی إمامنا وإمام

لسوانا أتی به التنزیل

یوم قال النبی: من کنت مولا

ه فهذا مولاه خطب جلیل

إن ما قاله النبی علی الأمة

حتم ما فیه قال وقیل

ومنهم عمرو بن العاص العدو اللدود للإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) فلقد أشار فی قصیدته الجلجلیة إلی واقعة الغدیر، ومهما حاول العدو کتمان فضائل خصمه فإن الحق قد یطفح من لسانه، قال فی خطابه لمعاویة:

معاویة الحال لا تجهل

وعن سبل الحق لا تعدل

نسیت احتیالی فی جلّقٍ

علی أهلها یوم لبس الحلی

إلی أن یقول:

نصرناک من جهلنا یا بن هند

علی النبأ الأعظم الأفضل

وحیث رفعناک فوق الرؤوس

نزلنا إلی أسفل الأسفل

وکم قد سمعنا من المصطفی

وصایا مخصصة فی علی

وفی یوم خم رقی منبراً

یبلغ والرکب لم یرحل

وفی کفه کفه معلناً

ینادی بأمر العزیز العلی

ألست بکم منکم فی النفوس

بأولی؟ فقالوا: بلی فافعل

فأنحله إمرة المؤمنین

من الله مستخلف المنحل

وقال: فمن کنت مولی له

فهذا له الیوم نعم الولی

فوالِ موالیه یا ذا الجلا

ل، وعاد معادی أخ المرسل

ولا تنقضوا العهد من عترتی

فقاطعهم بى لم يوصل

فبخبَخَ شيخك لما رأى

عُرى عقد حيدر لم تحلل

فقال: وليكم فاحفظوه

فمدخله فيكم مدخلى

إلى آخر القصيدة وهى ستة وستون بيتا.

ومن شعراء القرن الثانى الذين تطرقوا إلى واقعة الغدير هو أبوالمستهل الكميت بن زيد الأسدى قال فى عينيته:

نفى عن عينك الأرق الهجوعا

وهمٌّ يمترى منها الدموعا

إلى أن يقول:

لدى الرحمن يصدع بالمثانى

وكان له أبوحسن قريعا

وأصفاه النبى على اختيار

بما أعيى الرفوض له المذيعا

ويوم الدوح دوح غدير خُمٍّ

أبان له الولاية لو أطيعا

ولكن الرجال تبايعوها

فلم أر مثلها خطراً مبيعا

فلم أبلغ بها لعنا ولكن

أساء بذاك أولهم صنيعا

فصار بذاك أقربهم لعدل

إلى جور وأحفظهم مضيعا

أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا

وأقومهم لدى الحدثان ريعا

تناسوا حقه وبغوا عليه

بلا ترة وكان لهم قريعا

إلى آخر القصيدة.

ومنهم السيد إسماعيل بن محمد الحميرى فقد ذكر قصة الغدير فى كثير من قصائده فمنها قوله:

يا بايع الدين بدنياه

ليس بهذا أمر الله

من أين أبغضت على الوصى

وأحمد قد كان يرضاه

من الذى أحمد فى بينهم

يوم غدير الخم ناداه

أقامه من بين أصحابه

وهم حواليه فسماه:

هذا على بن أبى‌طالب

مولى لمن قد كنت مولاه

فوال من والاه يا ذا العلا

وعاد من قد كان عاداه

ومن قصائده:

هلا وقفت على المكان المعشب

بين الطويلع فاللوى من كبكب

ويقول فيها:

وبخُم إذ قال الإله بعزمه:

قم يا محمد فى البريۀ فاخطب

وانصب أباحسن لقومك إنه

هاد، وما بلّغت إن لم تنصب

فدعاه ثم دعاهم فأقامه

لهم، فبين مصدّق ومكذب

جعل الولايۀ بعده لمهذب

ما كان يجعلها لغير مهذب

وله مناقب لا ترام متى يرد

ساع تناول بعضها يتذبذب

إنا ندين بحب آل محمد

ديناً ومن يحببهم يستوجب

منا المودۀ والولاء ومن يرد

بدلاً بآل محمد لا يحبب

ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد

حوض الرسول وإن يرده يضرب

إلى آخر القصيدۀ.

ومن فرائده القصيدۀ العينيۀ المعروفۀ:

لأم عمرو باللوى مربع

طامسۀ أعلامها بلقع

إلى أن يقول:

عجبت من قوم أتوا أحمدا

بخطبة ليس لها موضع

قالوا له: لو شئت أعلمتنا

إلى من الغاية والمفزع؟

إذا توفيت وفارقتنا

وفيهم فى الملك من يطمع؟

فقال: لو أعلمتكم مفزعاً

كنتم عسيتم فيه أن تصنعوا

صنيع أهل العجل إذ فارقوا

هارون فالترك له أوسع

وفى الذى قال بيان لمن

كان إذا يعقل أو يسمع

ثم أتته بعد ذا عزمة

من ربه ليس لها مدفع:

بلّغ وإلا لم تكن مبلغاً

والله منهم عاصم يمنع

فعندها قام النبى الذى

كان بما يأمر به يصدع

يخطب مأموراً وفى كفه

كف على ظاهر تلمع

رافعها، أكرم بكف الذى

يرفع والكف الذى تُرفع

يقول والأملاك من حوله

والله فيهم شاهد يسمع:

من كنت مولاه فهذا له

مولى فلم يرضوا ولم يقنعوا

فاتهموه وحنت فيهم

على خلاف الصدق الأصلع

وضلّ قوم غاظهم فعله

كأنما آنافهم تجدع

حتى إذا واروه فى لحده

وانصرفوا عن دفنه ضيعوا

ما قال بالأمس وأوصى به

واشتروا الضر بما ينفع

إلى آخر القصيدة وهى أربعة وخمسون بيتا.

عيد الغدير

الأعياد الدينية والوطنية لها أهمية عند الأمم، وتهتم لها بمقدار تلك المناسبة من طقوس دينية وعادات وتقاليد محلية وشعبية، وأصول وقواعد تنسجم مع ذلك العيد.

ومناسبة عيد الغدير كانت ولا تزال ذات أهمية عظيمة عند الله تعالى وعند رسوله وأهل البيت (عليهم‌السلام) وبقية المسلمين.

أما الأهمية عند الله تعالى، فهو يوم توّج الله فيه عليا بالخلافة والولاية، ونزل جبرائيل من عند الله مهنئا الرسول الأعظم بالتتويج بقوله عز من قائل: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً). [۱۳۰].

حتى روى الحافظ أبوسعيد فى كتابه (شرف المصطفى) عن أحمد بن حنبل وعن أبى‌سعيد الخدرى عن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أنه قال يوم الغدير هنئونى، إن الله تعالى خصنى بالنبوة وخصّ أهل بيتى بالإمامة.

وعلى هذا كان كل من الشيخين: أبى‌بكر وعمر يهنّئ علياً بقوله: (طوبى لك.

أو: بخ بخ.

أو: هنيئاً لك، أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة) كما ذكره زينى دحلان فى الفتوحات الإسلامية والدارقطنى كما فى شرح المواهب.

وقد روى فرات بن إبراهيم الكوفى عن الإمام الصادق (عليه‌السلام) عن آبائه قال: قال رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله): يوم غدير خم أفضل أعياد أمتى، وهو اليوم الذى أمرنى الله (تعالى ذكره) بنصب أخى على بن أبى‌طالب علما لأمتى يهتدون به من بعدى، وهو اليوم الذى أكمل فيه الدين، وأتم على أمتى فيه النعمة، ورضى لهم الإسلام دينا.

واقتفى الأئمة الطاهرون نهج جدهم الرسول الأعظم فى تعظيم هذا اليوم وكثرة الاهتمام به، كما روى عن فرات بن أحنف عن الإمام الصادق (عليه‌السلام) قال: قلت: جعلت فداك، للمسلمين عيد أفضل من عيد الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة؟ فقال لى: نعم، أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذى أكمل الله فيه الدين، وأنزل على نبيه محمد: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) قال: قلت: وأى يوم هو؟ قال: إن أنبياء بنى إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والإمامة من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً، وإنه اليوم علماً، وأنزل فيه ما أنزل.

وكمل فيه الدين، وتمت فيه النعمة على المؤمنين.

قال: قلت: وأى يوم هو فى السنة؟ فقال لى: إن الأيام تتقدم وتتأخر، وربما كان يوم السبت والأحد والاثنين إلى آخر الأيام السبعة قال قلت: فما ينبغى لنا أن نعمل فى ذلك اليوم؟ قال: هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله وحمد له، وسرور لما من الله به عليكم من ولايتنا، فإنى أحب لكم أن تصوموا.

والروايات فى هذا الباب كثيرة جداً، وكانت ولا تزال الشيعة تجعل هذا اليوم عيداً فى العراق وإيران والهند وباكستان وسوريا ولبنان وغيرها من البلاد التى يقطن فيها عدد من الشيعة.

وكانت البلاد المغربية فى عهد الأدارسة والفاطميين وغيرهم تحتفل فى هذا اليوم سروراً وبهجة وتشترك الحكومة والشعب فى ذلك.

ولكن بمرور الزمن وتطور الأحوال أصبح هذا العيد نسياً منسياً فى بعض البلاد العربية الأفريقية.

وإننى أعتقد أن الاهتمام بهذا العيد أولى من بقية الأعياد، وإقامة الحفلات فى هذه المناسبة السعيدة أحرى من أية مناسبة أخرى.

لأن المناسبة مهمة جداً، تسترعى الانتباه والعناية والرعاية أكثر وأكثر.

علی عند وفاة الرسول

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین والصلاة علی سید الأنبیاء والمرسلین محمد وآله الطاهرین.

قال الله تبارک وتعالی: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علی أعقابکم ومن ینقلب علی عقبیه فلن یضر الله شیئاً وسیجزی الله الشاکرین). [۱۳۱].

لقد ذکرنا من أول الشهر إلی اللیلة الماضیة شیئاً من اختصاص الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) برسول‌الله من حیث الانضمام والتربیة والتأدیب والتوجیه والأخوة والنفس وسائر الخصائص التی اختص بها کحدیث الطائر المشوی وسد الأبواب وغیر ذلک.

واللیلة حدیثنا حول وفاة رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وموقف الإمام من تلک الفاجعة العظمی والمصیبة الکبری التی لم یشهد التاریخ مثلها، فقد مرض رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) بعد أن بلغ من العمر ثلاثاً وستین سنة، وکان النبی ینعی نفسه إلی أصحابه وأهل بیته وزوجاته، ویخبرهم أن تلک السنة آخر سنوات حیاته الشریفة المبارکة، وأن شمس وجوده قد اقتربت من الغروب، ولهذا قام بتعیین الخلیفة والإمام القائم مقامه، وقد تقدم الکلام فی اللیلة الماضیة حول واقعة الغدیر.

من جملة الأحکام الشرعیة والتعالیم الإسلامیة هو الوصیة عند الإحساس بخطر الوفاة، قال الله تعالی: (کتب علیکم إذا حضر أحدکم الموت إن ترک خیراً الوصیة). [۱۳۲].

فهل من المعقول أن یموت صاحب الشریعة الإسلامیة والمقتدی لقوافل المسلمین علی مر القرون والأجیال بلا وصیة؟؟ هل یمکن أن یأمر النبی أمته بالوصیة ویترکها هو؟ وعمله حجة وسنة یأخذ بها المسلمون؟ وهو القائل: (من مات بلا وصیة مات میتة جاهلیة).

إن الأخبار والأحادیث والنصوص الواردة حول وصیة النبی (صلّی الله علیه وآله) مستفیضة متواترة، وقد زعم بعض الناس أن رسول‌الله مات بلا وصیة وهم یبتغون من وراء هذا الافتراء تبریر مواقف بعض الأفراد، ولا یهمهم تشویه سمعة النبی والمس بکرامته والحط من مقامه.

وللمرحوم السید عبدالحسین شرف الدین کلام قیم حول هذا الموضوع تقتطف منه محل الحاجة، قال تغمده الله برحمته: ونصوص الوصیة متواترة، عن أئمة العترة الطاهرة، وحسبک مما جاء من طریق غیرهم فی قول النبی (صلّی الله علیه وآله) وقد أخذ برقبة علی: (هذا أخی ووصیی، وخلیفتی فیکم، فاسمعوا له وأطیعوا).

رواه محمد بن حمید الرازی عن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): (لکل نبی وصی ووارث، وإن وصیی ووارثی علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام). [۱۳۳].

وروی الطبرانی فی الکبیر بالإسناد إلی سلمان الفارسی قال: قال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): (إن وصیی وموضع سری، وخیر من أترک بعدی، ینجز عدتی، ویقضی دینی، علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام)، وهذا نص فی کونه الوصی، وصریح فی أنه أفضل الناس بعد النبی، وفیه من الدلالة الإلتزامیة علی خلافته، ووجوب طاعته، ما لا یخفی علی أولی الألباب.

وأخرج أبونعیم الحافظ فی حلیة الأولیاء عن أنس، قال: قال لی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): یا أنس أول من یدخل علیک هذا الباب: إمام المتقین، وسید المسلمین.

قال أنس: فجاء علی فقام إلیه رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله)، مستبشراً فاعتنقه وقال له: أنت تؤدی عنی، وتسمعهم صوتی، وتبین لهم ما اختلفوا فیه من بعدی.

وأخرج الطبرانی فی الکبیر بالإسناد إلی أبی‌أیوب الأنصاری، عن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) قال: یا فاطمة، أما علمت أن الله

عزوجل اطلع على أهل الأرض، فاختار منهم أباك فبعثه نبيا، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك، فأوحى إلى فأنكحته واتخذته وصيا.

أنظر كيف اختار الله عليا من أهل الأرض كافة بعد أن اختار منهم خاتم أنبيائه، ونظر إلى اختيار الوصى وكونه على نسق اختيار النبى، وانظر كيف أوحى الله إلى نبيه أن يزوجه ويتخذه وصياً، وانظر هل كانت خلفاء الأنبياء من قبل إلا أوصياؤهم، وهل يجوز تأخير خيرة الله من عباده، ووصى سيد أنبيائه، وتقديم غيره عليه، وهل يمكن عقلاً أن يكون طاعة ذلك المتولى الحكم عليه، فيجعله من سوقته ورعاياه؟ وهل يمكن عقلاً أن تكون طاعة ذلك المتولى واجبة على هذا الذى اختاره الله كما اختار نبيه؟ وكيف يختاره الله ورسوله ثم نحن نختار غيره (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً). [۱۳۴].

وقد تضافرت الروايات أن أهل النفاق والحسد والتنافس لما علموا أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سيزوج علياً من بضعته الزهراء وهى عديلة مريم وسيدة نساء أهل الجنة حسدوه لذلك وعظم عليهم الأمر.

ولا سيما بعد أن خطبها من خطبها فلم يفلح، وقالوا: أن هذه ميزة يظهر بها فضل على، فلا يلحقه بعدها لاحق ولا يطمع فى إدارته طامع، فأجلبوا بما لديهم من إرجاف وعملوا لذلك أعمالا، فبعثوا نساءهم إلى سيدة نساء العالمين ينفرنها، فكان مما قلن لها: إنه فقير ليس له شىء، لكنها (عليهاالسلام) لم يخف عليها مكرهن، وسوء مقاصد رجالهن، ومع ذلك لم تبد لهن شيئاً يكرهنه، ثم ما أراده الله عزوجل ورسوله لها، وحينئذ أرادت أن تظهر من فضل أميرالمؤمنين ما يخزى الله به أعداءه، فقالت: يا رسولالله زوجتنى من فقير لا مال له؟ فأجابها (صلّى الله عليه وآله) بما سمعت.

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

وأخرج الخطيب فى المتفق بسنده المعتبر إلى ابن‌عباس، قال: لما زوج النبى (صلّى الله عليه وآله) فاطمة من على، قالت فاطمة: يا رسولالله زوجتنى من رجل فقير ليس له شىء، فقال النبى (صلّى الله عليه وآله): أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك.

وأخرج الحاكم فى مناقب على (صلّى الله عليه وآله) ۱۲۹ الجزء الثالث من المستدرك عن طريق سريج بن يونس، عن أبى‌حفص الأبار، عن الأعمش، عن أبى‌صالح عن أبى‌هريرة، قال: قالت فاطمة: يا رسولالله زوجتنى من على وهو فقير لا مال له؟ قال (صلّى الله عليه وآله): يا فاطمة أما ترضين أن الله عزوجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك، وعن ابن‌العباس قال: قال رسولالله (صلّى الله عليه وآله): أما ترضين أنى زوجتك أول المسلمين إسلاما، وأعلمهم علماً، وأنك سيدة نساء أمتى، كما سادت مريم نساء قومها، أما ترضين يا فاطمة أن الله اطلع على أهل الأرض فاختار منها رجلين، فجعل أحدهما أباك، والآخر بعلك.

وكان رسولالله (صلّى الله عليه وآله) بعد هذا إذا ألمّ بسيدة النساء من الدهر لمم يذكرها بنعمة الله ورسوله عليها، إذ زوجها أفضل أمته، ليكون ذلك عزاءً لها، وسلوة عما يصيبها من طوارق الدهر، وحسبك شاهداً لهذا ما أخرجه الإمام أحمد فى ص ۲۶ من الجزء الخامس من مسنده من حديث معقل بن يسار، أن النبى (صلّى الله عليه وآله) عاد فاطمة فى مرض أصابها على عهده فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزنى واشتدت فاقتى وطال سقمى، قال (صلّى الله عليه وآله) أما ترضين أنى زوجتك أقدم أمتى سلماً وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. الوصية بصورة أخرى:

وصية النبى (صلّى الله عليه وآله) إلى على لا يمكن جحودها، إذ لا ريب فى أنه عهد إليه بعد أن أورثه العلم والحكمة بأن يغسله، ويجهزه ويدفنه، ويفى دينه، وينجز وعده، ويؤدى دينه ويواريه فى حفرته، أخرجه الديلمى وهو الحديث ۲۵۸۳ ج ۶ من الكنز، وعن عمر من حديث قال فيه رسولالله لعلى: وأنت غاسلى ودافنى الحديث، فى ص ۳۹۳ ج ۶ فى الكنز، وفى هامش ص ۴۵ ج ۵ من مسند أحمد، وعن على: سمعت رسولالله، يقول: أعطيت فى على خمساً لم يعطها نبى فى أحد قبلى، أما الأولى فإنه يقضى دينى، ويوارينى

...

الحدیث فی أول ص ۴۰۳ ج ۶ من الکنز، ولما وضع علی السریر وأرادوا الصلاة علیه (صلّی الله علیه وآله) قال علی: لا یؤم علی رسول‌الله أحد، هو إمامکم حیاً ومیتاً، فکان الناس یدخلون رسلاً رسلاً، فیصلون صفاً صفاً، لیس لهم إمام ویکبرون، وعلی قائم حیال رسول‌الله یقول: سلام الله علیک أیها النبی ورحمة الله وبرکاته، اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزلت إلیه، ونصح لأمته وجاهد فی سبیل الله حتی أعز الله عزوجل دینه، وتمت کلمته، اللهم فاجعلنا ممن یتبع ما أنزل الله إلیه، وثبتنا بعده وأجمع بیننا وبینه، فیقول الناس: آمین آمین، حتی صلی علیه الرجال ثم النساء ثم الصبیان، روی هذا کله باللفظ الذی أوردناه ابن‌سعد عند ذکره غسل النبی من طبقاته، وأول من دخل علی رسول‌الله یومئذ بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار ثم الناس، وأول من صلی علیه علی والعباس وقفا صفاً وکبرا علیه خمساً.

إلی هنا انتهی کلام سیدنا شرف الدین رحمه الله.

بعض النصوص الواردة حول الوصیة

وأما ما ذکره الشعراء فی القرن الأول من المهاجرین والأنصار والتابعین حول وصایة أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) فلا مجال لبیان تلک الأبیات الشعریة والأراجیز التی تتضمن هذا الأمر.

والآن ننتقل إلی حدیث وفاة رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وقیام الإمام بإنجاز وصایاه، وقد ذکرنا فیما سبق أن علیاً کان أول الناس عهداً برسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وسیظهر الیوم أنه کان آخر الناس عهدا به.

وفی کتاب أبی‌إسحاق قال: دخل أبوبکر علی النبی (صلّی الله علیه وآله) وقد ثقل (اشتد مرضه)، فقال: یا رسول‌الله متی الأجل؟ قال: قد حضر، قال أبوبکر: الله المستعان علی ذلک فإلی ما المنقلب؟ قال: إلی السدرة المنتهی وجنة المأوی وإلی الرفیق الأعلی والکأس الأوفی والعیش المهنی، قال أبوبکر: فمن یلی غسلک؟ قال رجال أهل بیتی، الأدنی فالأدنی قال: ففیما نکفنک؟ قال: فی ثیابی هذه التی علی أو حلة یمانیة أو فی بیاض مصر قال: کیف الصلاة علیک؟ فارتجت الأرض بالبکاء فقال لهم النبی (صلّی الله علیه وآله) مهلاً، عفا الله عنکم، إذا غُسلت فکُفنت فضعونی علی سریری فی بیتی هذا علی شفیر قبری ثم أخرجوا عنی فإن الله تبارک وتعالی أول من یصلی علی ثم یأذن الملائکة فی الصلاة علی فأول من ینزل جبرائیل (علیه‌السلام) ثم إسرافیل ثم میکائیل ثم ملک الموت (علیه‌السلام) فی جنود کثیر من الملائکة بأجمعها ثم أدخلوا علی زمرة زمرة، فصلوا علی وسلموا تسلیما ولا تؤذونی ولیبدأ بالصلاة علی الأدنی من أهل بیتی ثم النساء ثم الصبیان زمراً.

قال أبوبکر: فمن یدخل قبرک؟ قال: الأدنی فالأدنی من أهل بیتی مع ملائکة لا ترونهم، قوموا فأدوا عنی إلی من ورائکم؟ فقلت للحرث بن مرة: من حدثک هذا الحدیث؟ قال: عبدالله بن مسعود.

عن علی (علیه‌السلام) قال: کان جبرائیل ینزل علی النبی صلی الله علیه وسلم فی مرضه الذی قبض فیه کل یوم وفی کل لیلة، فیقول: السلام علیک إن ربک یقرؤک السلام فیقول: کیف تجدک؟ وهو أعلم بک ولکنه أراد أن یزیدک کرامة وشرفاً إلی ما أعطاک علی الخلق، وأراد أن یکون عیادة المریض سنة فی أمتک، فیقول النبی (صلّی الله علیه وآله) إن کان وجعاً: یا جبرائیل أجدنی وجعاً فقال له جبرائیل: اعلم یا محمد إن الله لم یشدد علیک وما من أحد من خلقه أکرم علیه منک، ولکنه أحب أن یسمع صوتک ودعاک حتی تلقاه مستوجباً للدرجة والثواب الذی أعد لک، والکرامة والفضیلة علی الخلق، وإن قال له النبی (صلّی الله علیه وآله) أجدنی مریحاً فی عافیة.

قال له: فاحمد الله علی ذلک فإنه یحب أن تحمد وتشکره لیزیدک إلی ما أعطاک خیراً فإنه یحب أن یحمد ویزید من شکر.

قال: وإنه نزل علیه فی الوقت الذی کان ینزل فیه فعرفنا حسه فقال علی (علیه‌السلام): فیخرج من کان فی البیت غیری؟ فقال له

جبرائیل: یا محمد إن ربک یقرئک السلام ویسألک وهو أعلم بک کیف تجدک؟ فقال له النبی: أجدنی میتاً.

قال له جبرائیل: یا محمد أبشر فإن الله إنما أراد أن یبلغک بما تجد ما أعد لک من الکرامة.

قال له النبی صلی الله علیه وسلم: إن ملک الموت استأذن علی فأذنت له، فدخل واستنظرته مجیئک فقال له: یا محمد إن ربک إلیک مشتاق فما استأذن ملک الموت علی أحد قبلک ولا یستأذن علی أحد بعدک.

فقال النبی (صلّی الله علیه وآله): لا- تبرح یا جبرائیل حتی یعود، ثم أذن للنساء فدخلن فقال لأبنته: أدنی منی یا فاطمة فأکبت علیه فناجاها، فرفعت رأسها وعیناها تهملان دموعاً فقال لها: أدنی منی فدنت منه فأکبت علیه فناجاها فرفعت رأسها وهی تضحک، فتعجبنا لما رأینا فسألناها فأخبرتنا أنه نعی نفسه فبکیت فقال: یا بنیة لا تجزعی فإنی سألت ربی أن یجعلک أول أهل بیتی لحاقاً بی فأخبرنی أنه استجاب لی فضحکت، قال: ثم دعا النبی (صلّی الله علیه وآله) الحسن والحسین (علیهماالسلام) فقبلهما وشمهما وجعل یترشفهما وعیناه تهملان.

فی علل الشرائع: عن الإمام الصادق عن أبیه عن جده (علیهم‌السلام) قال لما حضرت رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) الوفاة دعا العباس بن عبدالمطلب وأمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) فقال للعباس: یا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضی دینه وتنجز عداته؟ فرد علیه وقال: یا رسول‌الله: أنا شیخ کبیر کثیر العیال، قلیل المال، من یطیقک وأنت تباری الریح؟ قال: فأطرق هنیئة ثم قال: یا عباس أتأخذ تراث رسول‌الله وتنجز عداته وتؤدی دینه.

فقال: بأبی أنت وأمی أنا شیخ کبیر کثیر العیال قلیل المال، من یطیقک وأنت تباری الریح؟ فقال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): أما إنی سأعطیها من یأخذ بحقها.

ثم قال: یا علی یا أخا محمد أتنجز عداة محمد وتقضی دینه وتأخذ تراثه؟ قال: نعم بأبی أنت وأمی.

فنزع خاتمه من إصبعه فقال: تختم بهذا فی حیاتی فوضعه علی (علیه‌السلام) فی إصبعه الیمنی فصاح رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): یا بلال علی بالمغفر والدرع والرایة وسیفی: ذی الفقار وعمامتی: السحاب والبرد والأبرقة والقضیب.

فقال: یا علی أن جبرائیل أتانی بها.

فقال: یا محمد إجعلها فی حلقة الدرع واستوفر بها مکان المنطقة ثم دعا بزوجی نعال عربیین إحداهما مخصوفة والأخری غیر مخصوفه، والقمیص الذی اسری به فیه، والقمیص الذی خرج فیه یوم أحد والقلانس الثلاث قلنسوة السفر وقلنسوة العیدین وقلنسوة کان یلبسها.

ثم قال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): یا بلال علی بالبغلتین: الصهباء والدلدل والناقتین: العضباء والصهباء والفرسین الجناح الذی کان یوقف بباب مسجد رسول‌الله لحوائج الناس، یبعث رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) الرجل فی حاجته فیرکبه وحیزوم وهو الذی یقول أقدم حیزوم.

والحمار الیعفور.

ثم قال: یا علی إقبضها فی حیاتی حتی لا ینازعک فیها أحد بعدی.

وعن جابر بن عبدالله الأنصاری قال: قال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فی مرضه الذی قبض فیه لفاطمة (علیهاالسلام) بأبی وأمی أنت!!! أرسلی إلی بعلک فادعیه لی.

فقالت فاطمة للحسین (علیه‌السلام): إنطلق إلی أبیک فقل: یدعوک جدی.

فانطلق إلیه الحسین فدعاه فأقبل أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) حتی دخل علی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وفاطمة (علیهاالسلام) عنده وهی تقول: واکرباه لکربک یا أبتاه.

فقال لها رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): لا کرب علی أبیک بعد الیوم یا فاطمة، إن النبی لا یشق علیه الجیب، ولا یخمش علیه الوجه،

ولا یدعی علیه بالویل ولکن قولی کما قال أبوک علی إبراهیم: تدمع العینان وقد یوجع القلب ولا نقول ما یسخط الرب وإنا بک یا إبراهیم لمحزونون ولو عاش إبراهیم لکان نبیاً.

ثم قال یا علی أدن منی.

فدنا منه فقال أدخل أذنک فی فی.

ففعل.

فقال: یا أخی ألم تسمع قول الله تعالی فی کتابه (إن الذین آمنوا وعملوا الصالحات أولئک هم خیر البریة)؟ [۱۳۵] قال: بلی یا رسول‌الله.

قال: هم أنت وشیعتک یجیئون غراً محجلین، شباعاً مرویین، أولم تسمع قول الله فی کتابه (إن الذین کفروا من أهل الکتاب والمشرکین فی نار جهنم خالدین فیها أولئک هم شر البریة)؟ [۱۳۶].

قال: بلی یا رسول‌الله.

قال: هم أعداؤک وشیعتهم، یجوزون یوم القیامة ظماء مظمئین، أشقیاء معذبین، کفار منافقین، ذلک لک ولشیعتک، وهذا لعدوک ولشیعتهم.

ولما حضره الموت کان أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) حاضراً عنده فلما قرب خروج نفسه (صلّی الله علیه وآله) قال له: ضع یا علی رأسی فی حجرک فقد جاء أمر الله تعالی فإذا فاضت نفسی فتناولها بیدک وامسح بها وجهک، ثم وجهنی إلی القبلة وتول أمری وصل علی أول الناس، ولا تفارقنی حتی تواریني فی رمسی، واستعن بالله تعالی.

فأخذ علی (علیه‌السلام) رأسه فوضعه فی حجره فأغمی علیه فأکبت فاطمة (علیهاالسلام) تنظر فی وجهه وتندبه وتبکی وتقول:

وأبیض یستقی الغمام بوجهه

ثمال الیتامی عصمة الأرامل

ففتح رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) عینه، وقال بصوت ضئیل: یا بنیة هذا قول عمک أبی‌طالب لا تقولیه ولکن قولی (وما محمد إلا رسول‌الله قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل أنقلبتم علی أعقابکم) [۱۳۷] فبکت طویلاً وأومأ إلیها بالدنو منه فدنت منه فأسرّ إلیها شیئاً تهلل وجهها له.

ثم قبض (صلّی الله علیه وآله) ویده أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) تحت حنکه ففاضت نفسه (صلّی الله علیه وآله) فیها فرفعها إلی وجهه فمسحه بها، ثم وجهه وغمضه ومد علیه إزاره واشتغل بالنظر فی أمره.

وقال جعفر بن محمد الصادق (علیه‌السلام): إن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) أوصی إلی علی (علیه‌السلام) أن لا یغسلنی غیرک فقال علی (علیه‌السلام): یا رسول‌الله من یناولنی الماء؟ إنک رجل ثقیل لا أستطیع أن أُقلّبک؟ فقال: جبرائیل معک یعاونک، ویناولک الفضل الماء، وقل له فلیغمض عینیه، فإنه لا أحد یری عورتی غیرک إلا انفقأت عیناه.

کان الفضل بن العباس یناوله الماء وجبرائیل یعاونه، وعلی یغسله، فلما أن فرغ من غسله وکفنه أتاه العباس فقال: یا علی إن الناس قد اجتمعوا علی أن یدفن النبی (صلّی الله علیه وآله) فی بقیع المصلی، وأن یؤمهم رجل منهم، فخرج علی إلی الناس فقال: یا أیها الناس: أما تعلمون أن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) إمامنا حیاً ومیتاً؟ وهل تعلمون أنه (صلّی الله علیه وآله) لعن من جعل القبور مصلی؟ ولعن من یجعل مع الله إلهاً؟ ولعن من کسر رباعیته وشق لثته؟ فقالوا: الأمر إلیک فاصنع ما رأیت.

فقال: إنی أدفن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فی البقعة التی قبض فیها.

ثم قام علی الباب فصلی علیه ثم أمر الناس عشرة عشرة یصلون علیه ثم یخرجون.

لما أراد أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) غسل الرسول (صلّی الله علیه وآله) استدعی الفضل بن العباس فأمره أن یناوله الماء لغسله فغسله

بعد أن عصب عینیه، ثم شق قمیصه من قبل جیبه حتی بلغ إلی سرته وتولی (علیه‌السلام) غسله وتحنیطه وتکفینه والفضل یعطیه الماء ویعینه علیه فلما فرغ من غسله وتجهیزه تقدم فصلی علیه وحده، ولم یشترک معه أحد فی الصلاة علیه، وکان المسلمون فی المسجد یخوضون فیمن یؤمهم بالصلاة علیه، وأین یدفن، فخرج إلیهم أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وقال لهم: إن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) إمامنا حیاً ومیتاً فیدخل علیه فوج بعد فوج منکم فیصلون علیه بغیر إمام، وینصرفون، وإن الله تعالی لم یقبض نبیاً فی مکان إلا وقد ارتضاه لرمسه فیه، وإنی لدافنه فی حجرته التی قبض فیها.

فسلم القوم لذلک ورضوا به، ولما صلی المسلمون علیه أنفذ العباس بن عبدالمطلب برجل إلی أبی‌عبیدة بن الجراح وکان یحفر لأهل مکة ویضرح، وکان ذلک عادة أهل مکة، وأنفذ (أرسل) إلی زید بن سهل وکان یحفر لأهل المدینة ویلحد، فاستدعاهما وقال: اللهم خر لنبیک.

فوجد أبوطلحه فقیل له: احفر لرسول‌الله.

فحفر له لحداً، ودخل أمیرالمؤمنین والعباس بن عبدالمطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زید لیتولوا دفن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فنادت الأنصار من وراء البیت: یا علی إن نذکرک الله وحقنا الیوم من رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) أن یذهب، أدخل منا رجلاً یکون لنا به حظ من مواراة رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فقال لیدخل أنس بن خولی وکان بدریاً فاضلاً من بنی عوف من الخزرج، فلما دخل قال له علی (علیه‌السلام) انزل القبر.

فنزل ووضع أمیرالمؤمنین رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) علی یدیه ودلاّه فی حفرته، فلما حصل فی الأرض قال له أخرج.

فخرج ونزل علی (علیه‌السلام) إلی القبر، فکشف عن وجه رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) ووضع خده علی الأرض موجهاً إلی القبلة علی یمینه ثم وضع علیه اللبن وأهال علیه التراب.

وکان (علیه‌السلام) یرثی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) ویقول:

الموت لا والداً یبقی ولا ولد

هذا السبیل إلی أن لا ترى أحد

هذا النبی ولم یخلد لأمته

لو خلّد الله خلقاً قبله خلد

اللموت فینا سهام غیر خاطئة

من فاته الیوم سهم لم یفته غدا

وکان (علیه‌السلام) یصلح قبر رسول‌الله بمسحاته، وکانت وفاة النبی (صلّی الله علیه وآله) فی الیوم الثامن والعشرین من شهر صفر فی السنة العاشرة من الهجرة کما هو مشهور عند أهل بیته علیهم و(علیه‌السلام).

علی فی مصیبة الزهراء

کانت مصیبة وفاة الرسول (صلّی الله علیه وآله) من أوجع الفجائع علی قلب علی (علیه‌السلام) ولولا إیمان علی وصبره علی المصیبة لمات حزناً فی تلک المأساة، إذ ما فارق الحزن قلب علی (علیه‌السلام) حتی فارق الحیاة، فسرعان ما ابیضت لحیته الکریمة فقیل له: لو غیرت شیبک یا أمیرالمؤمنین.

فقال (علیه‌السلام): الخضاب زینة ونحن قوم فی مصیبة.

یرید بها وفاة رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله).

ولم یختضب الإمام طیلة أیام حیاته لهذا السبب ولأن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) أخبره بخضاب خاص، فقد روی ابن‌نباته قال:

قلت لأميرالمؤمنين (عليه‌السلام): ما منعك من الخضاب وقد اختضب رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله)؟ قال: أنتظر أشقاها أن يخضب لحيتى من دم رأسى، بعهد معهود أخبرنى به حبيبى رسول‌الله.

ولما فارق النبى الحياة وهو بعد لم يدفن اجتمع الناس فى موضع يقال له (السقيفة) وقد رشح سعد بن عبادة نفسه للإمارة وهو سيد الخزرج، وأسيد بن حصين أو بشير بن سعد قد رشح نفسه أيضاً لأنه سيد الأوس، وبين الأوس والخزرج عداء وتنافس قديم.

ودخل أبوبكر وعمر وأبوعبيدة فى ذلك المجتمع واستمعوا إلى كلام المرشحين للإمارة والرئاسة، وتكلم أبوبكر ودعا الناس إلى عمر أو أبى‌عبيدة، وامتنع الرجلان أن يتقدما أبابكر لأنه صاحب الغار، وجرى كلام ونزاع طويل واصطدام عنيف فيما بين المهاجرين والأنصار وبين أبى‌بكر وأهل السقيفة، حتى آل الأمر إلى التهديد والشتم.

وهنا انتهز رئيس الأوس الفرصة، وتضعيفاً لجانب سعد بن عبادة (منافسه) وافق على تأمير أبى‌بكر، وضم صوته إلى صوت عمر وأبى‌عبيدة وقال: أنا ثالثكما.

ولما رأى الأوس سيدهم انحاز إلى تلك الناحية اتبعوا رئيسهم، وأقبلوا إلى أبى‌بكر وبايعوه، وكاد سعد بن عبادة يموت تحت الأقدام، فصاح قتلمتونى.

فصاح عمر: اقتلوا سعداً قتله الله.

وهكذا وقع الانتخاب، وبويع لأبى‌بكر بالخلافة، وذهبت مساعى النبى (حول تعيين الخليفة) أدراج الرياح، وصارت تلك الجهود هباء منثوراً.

وحدثت حوادث مؤلمة مشجية لا نذكرها تحفظاً على العواطف أن تخدش، وإن كانت تلك الحوادث مذكورة فى الآلاف المؤلفة من كتب الحديث والتاريخ، ومشهورة عند المسلمين.

ونذكر جملة عن موقف الإمام فى ذلك العهد: فلقد أخذوا البيعة من الناس لأبى بكر، وجاؤا إلى على ليخرجوه من البيت ليبايع لأبى بكبر فلم تأذن لهم فاطمة بالدخول فى بيتها، فصدر الأمر بالهجوم فهجموا وأخذوا علياً بعد أن خلعوا عنه سلاحه وأخرجوه من البيت يريدون به المسجد، وخرجت فاطمة خلفهم وهى بأشد الأحوال، إذ إنها أجهضت جنينها فكأنها نسيت آلامها فجعلت تعدو وتصيح: خلوا عن ابن عمى؟ خلوا عن بعلى! والله لأكشفن عن رأسى ولأضعن قميص أبى‌على رأسى وأدعوا عليكم!!!

ووصلت إلى باب المسجد فرأت منظراً مؤلماً لا نستطيع أن نصفه إلا إنها استطاعت أن تخلص زوجها من أيدى الناس وتحول بينهم وبين أخذ البيعة منه، ورافقت زوجها إلى البيت سالماً.

أظلمّت الدنيا فى عين على (عليه‌السلام) وضاقت عليه الأرض بما رحبت، لأنه فقد الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ومصيبة النبى أعظم مصيبة على قلب كل أحد، ولم تنته الكارثة، فقد خيمت الأحزان على بيت على، وانقلب البيت إلى مجلس عزاء وحزن وبكاء، فلقد كانت الصديقة الطاهرة لا تفارق البكاء على وفاة أبيها وعلى مصائبها ونوائبها التى استولت على قلبها المجروح، ولم تجد من الناس أى تعزية وتسلية.

ومما زاد فى حزنها إخراج أراضيها (فدك) من يدها وهناك قضايا وقضايا ساعدت على انحراف صحة فاطمة، واشتداد علتها واستيلاء الهزال عليها، فكانت تبكى ليلها ونهارها، ومنعوها عن البكاء، فكانت تخرج إلى قبر حمزة سيد الشهداء أو إلى البقيع أو إلى بيت بناه لها أميرالمؤمنين خارج المدينة وسماه (بيت الأحزان) وعاشت بعد أبيها مظلومة مهضومة باكية العين محترقة القلب منهدة الركن معصبة الرأس حليفة الفراش عليلة مريضة.

ودخل عليها على (عليه‌السلام) قبل وفاتها فوجدها تغسل ثياب أولادها وتغسل رؤوسهم فسألها عما دعاها إلى العمل المجهد؟ فقالت: يا ابن عم إنه قد نعيت إلى نفسى، وإننى لا أرى ما بى إلا أننى لاحقة بأبى، ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء فى قلبى.

قال لها على (عليه‌السلام): أوصينى بما أحببت يا بنت رسول‌الله.

فجلس عند رأسها، وأخرج من كان فى البيت، ثم قالت: يا أبن عم ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتنى!!! قال على (عليه‌السلام): معاذ الله! أنت أعلم بالله، وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتى، وقد عز على مفارقتك وفقدك، إلا إنه أمر لا بد منه، والله لقد جددت على مصيبة رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ولقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها!! هذه والله مصيبة لا عزاء عنها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً، وأخذ على رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصينى بما شئت، فإنك تجدينى وفياً، أمضى كل ما أمرتنى به وأختار أمرك على أمرى.

فقالت: جزاك الله عنى خير الجزاء، يا ابن عم أوصيك أولاً: أن تتزوج بعدى بإبنة أختى أمامة، فإنها تكون لولدى مثلى، فإن الرجال لا بد لهم من النساء.

أوصيك يا ابن عم: أن تتخذ لى نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا لى صورته، فقال لها: صفيه لى.

فوصفته، فاتخذه لها.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتى من هؤلاء الذين ظلمونى فإنهم عدوى وعدو رسول‌الله، ولا تترك أن يصلى على أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفنى فى الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار.

إلى آخر وصاياها...

ثم فارقت روحها الحياة، وانتشر الخبر، فصاح أهل البيت صيحة واحدة، واجتمعت نساء بنى هاشم فى دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن.

وازدحم الناس على باب بيت الإمام ينتظرون خروج الجنازة، فخرج أبوذر ونادى: ’نصرفوا فإن ابنة رسول‌الله قد أُخّر إخراجها هذه العشية.

فتفرق الناس، وجن الليل، ومضى شطر منه، فقام على (عليه‌السلام) وغسل أبنة رسول‌الله من على ثيابها وحنطها بفاضل حنوط أبيها رسول‌الله وكنفها فى أكنافها، ثم أرسل إلى عمار والمقداد وسلمان وأبى‌ذر وعقيل والزبير وبريدة ونفر من بنى هاشم فلما حضروا صلى عليها على ودفنوها، ولم يعلم أحد حتى اليوم أين دفنوها؟ ولا يعرف أحد موضع قبرها، ففى البقيع قبر ينسب إليها، وبين منبر رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وقبره قول عند المحدثين، والله العالم بموضع قبرها، وسيبقى قبرها مجهولا عند الناس إلى يوم القيامة.

ولعل فى هذا الكتمان أسرارا تستدعى انتباه المسلمين للتحرى عن السبب المبرر لتلك الوصية، ولعل هذا الإخفاء رمز يرمز إلى معانى وأمور يعرفها الفطن الذكى.

وقد اختلف المسلمون فى المدة التى عاشت فيها فاطمة (عليهاالسلام) بعد وفاة أبيها رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقيل: عاشت بعد أبيها أربعين يوماً، أو خمساً وسبعين يوماً، أو خمساً وتسعين يوماً، أو ستة أشهر، وفارقت الحياة وكانت أول أهل البيت لحوقاً بالنبى (صلّى الله عليه وآله).

انهد ركنا الإمام بفقد الزهراء سيدة النساء وازدادت مصيبته بأطفاله الأربعة (الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم) الذين فقدوا أمهم فى عنفوان شبابها بعد أن فجعوا بجدهم البار العطوف الذى كان يمطر عليهم حنانه الأبوى ويشملهم عطفه النبوى.

ومما زاد فى أحزان الإمام وبلغ به الاضطهاد أقصى درجة هو تنفيذ وصايا فاطمة بصورة سرية، كمباشرته تغسيلها وتحنيطها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها سراً لا جهاراً وليلاً لا نهاراً، وإخفاء موضع قبرها، وغير ذلك من الأمور التى كان من الصعب المستصعب على قلب الإمام تنفيذها وإنجازها.

فقد ماتت فاطمة ودفنت كأنها امرأة غريبة لا يعرفها أحد، وكأنها ليست ببضعة رسول‌الله وحبيبته، وأبنته الوحيدة!! وكان الإمام (عليه‌السلام) يتجلد فى تلك المصيبة رعاية ليتامى فاطمة، إلى أن دفنها فى تلك الساعة من تلك الليلة وهو يحاول أن لا يطلع عليه

أحـد، فيكون سـبباً للحيلولـة دون تطبيق وصايا فاطمـة وتنفيـذها، إلى أن أدى جميع الوصايا كما ينبغى، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خـديه وحول وجهه إلى قبر رسول‌الله (صـلّى الله عليه وآله) فقال: السـلام عليك يا رسول‌الله السـلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك والبائتة فى الثرى ببقعتك، النازلة بجوارك، المختار لها الله سرعة اللحاق بك قلّ يا رسول‌الله عن صـفيتك صبرى وضـعف عن سـيدة الناس تجلدى، إلا أن لى فى التأسـى بسـنتك والحزن الذى حلّ بى لفراقك موضع التعزى ولقد وسدتك فى ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك على صدرى، وغمضتك بيدى، وتوليت أمرك بنفسى.

نعم، وفى كتـاب الله أنعم القبـول، وإنـا لله وإنـا إليه راجعـون، قـد اسـترجعت الوديعـة، وأخـذت الرهينـة، واختلست الزهراء، فمـا أقبح الخضـراء والغبراء!! يـا رسول‌الله: أمـا حزنى فسـرمد، وأمـا ليلى فمسـهد، لا يبرح الحزن من قلبى، أو يختار الله لى دارك التى فيها أنت مقيم، كمـدٌ مقيّـح وهمٌّ مهيـج، سـرعان مـا فرق الله بيننـا، إلى الله أشـكو، وسـتنبئك أبنتـك بتظاهر أمتك على، وعلى هضـمها حقها، فاستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بثه سبيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول‌الله، سلام مودّع لا سئيم ولا قالٍ، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظنى بما وعد الله مع الصابرين، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبـة المسـتولين علينا، لجعلت المقام عنـد قبرك لزاماً، والتلبث عنده عكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيـة، فبعين الله تـدفن ابنتك سـراً، ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يطل العهـد ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله يا رسول‌الله المشتكى، وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته.

ثم جعل يقول:

أرى علل الدنيا على كثيرة

وصاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقة

وكل الذى دون الفراق قليل

وإن افتقادى فاطماً بعد أحمد

دليل على أن لا يدوم خليل

وينسب إليه (عليه‌السلام) هذان البيتان:

نفسى على زفراتها محبوسة

يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك فى الحياة وإنما

أبكى مخافة أن تطول حياتى

زواج على بعد فاطمة

إضـطر الإمام أميرالمؤمنين (عليه‌السـلام) بعد وفاة سـيدة نساء العالمين أن يبادر إلى إختيار زوجة تقوم بشؤون أيتام الإمام الذين فقدوا أمهم فى عنفوان شـبابها فقـدوها وهم براعم صـغار لم تتفتـح بعـد، إذ كـان الإمـام الحسن وهو أكبر أولاد الإمام عمره يومـذاك سـبع سنوات وشـهوراً وكان الإمام الحسـين أصـغر منه بسـتة أشـهر وأيام وكـذلك السـيدة زينب وأختها أم‌كلثوم هـذا من ناحية ومن ناحية أخرى كانت الزهراء قـد أوصت يوم وفاتها أن يتزوج على (عليه‌السـلام) بالسـيدة أمامة وهى حفيدة رسول‌الله (صـلى الله عليه وآله) إذ أنها كانت بنت زينب بنت رسول‌الله، وتنفيذاً لهذه الوصـية بادر الإمام إلى الزواج بأمامة بعد تسعة أيام من وفاة الزهراء كما ذكر ذلك الشيخ المفيد وروى عنه المجلسى فى التاسع من البحار.

کلام حول أزواج الإمام وأولاده

وبالمناسبة لا بأس أن نذکر شیئاً مما یتعلق بعدد زوجات الإمام وأولاده فنقول: کان له (علیه‌السلام) سبعة وعشرون من الأولاد ذکوراً وإناثاً:

۱-۴ الإمام الحسن والإمام الحسین وزینب الکبری وزینب الصغری المکناة بأم کلثوم، وأمهم فاطمة الزهراء بنت رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله).

۵ محمد بن الحنیفة وأمه خولة بنت جعفر.

۶-۷ عمر ورقیة، وکانا توأمین، وأمهما الصهباء، ویقال أم حبیب التغلبیة.

۸-۱۲ أبوالفضل العباس وجعفر وعثمان وعبدالله، وأمهم فاطمة أم البنین بنت حزام بن خالد الکلابیة، استشهدوا یوم الطف فی نصرة الحسین (علیه‌السلام).

۱۳-۱۴ یحیی وعون وأمهما أسماء بنت عنیس الخثعمیة.

۱۵-۱۶ محمد الأصغر المکنی أبابکر، وعبیدالله وأمهما: لیلی بنت مسعود الدارمیة وقتلا یوم الطف.

۱۷-۲۰ خدیجة وأم هانی وومیمونة وفاطمة وأمهن: أم ولد جاریة.

۲۱-۲۲ أم الحسن ورملة وأمهما: أم شعیب الدارمیة وقیل: أمسعید وقیل: أممسعود المخزومیة.

۲۳-۲۷ نفیسة وزینب الصغری وأم سلمة وأم الکرام وجمانة لأمهات شتی.

وأما أولاده الذین أعقبوا فهم خمسة: الحسن والحسین (علیهماالسلام) ومحمد بن الحنیفة والعباس وعمر، ومات عدد من الأولاد والبنات فی أیام حیاة الإمام (علیه‌السلام).

ولم یتزوج علی (علیه‌السلام) ما دامت الزهراء کانت علی قید الحیاة کرامة لها، کما أن رسول‌الله لم یتزوج ما دامت خدیجة علی قید الحیاة، ولعل السبب فی عدم تزویج علی فی حیاة فاطمة الزهراء هو قول الرسول (صلّی الله علیه وآله): من آذاها فقد آذانی.

هذا والمعروف: أن علیاً تزوج بعد وفاة فاطمة الزهراء (علیهاالسلام) بأربع حرائر وملک عشر إماء وقد روی فی المناقب عن الشیخ المفید (علیه الرحمة) أن أولاده خمسة وعشرون وربما یزیدون علی ذلک إلی خمسة وثلاثین.

علی جلیس البیت

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله وصلی علی سید أنبیاء الله محمد وآله آل الله.

حدیثنا اللیلة حول الفترة التی انقضت علی أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وهو جلیس البیت، مسلوب الإمکانیات، وقد ابتدأت تلک الفترة من یوم وفاة رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) واستیلاء أبی‌بکر علی مسند الحکم، ولما انقضت أیام أبی‌بکر أوصی من بعده إلی عمر بن الخطاب فکانت أیام حکمه عشر سنوات وشهوراً، ولما طعن عمر وأحس بالوفاة جعل الخلافة شوری، ورشح ستة من الصحابة وأمرهم أن ینتخبوا واحد من أنفسهم وإلیکم التفصیل: لما علم عمر بن الخطاب بأنه میت استشار الناس حول تعیین الخلیفة، فأشیر علیه بابنه: عبدالله بن عمر، فقال عمر: لاها الله لا یلیها رجلان من ولد الخطاب! حسب عمر ما احتقب، لاها الله! لا أتحملها حیاً ومیتاً.

ثم قال: عن رسول‌الله مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قریش: علی، عثمان، طلحة، الزبیر، سعد بن أبی‌وقاص، عبدالرحمن بن عوف، وقد رأیت أن أجعلها شوری بینهم لیختاروا لأنفسهم إماماً.

ثم التفت عمر إلی هؤلاء الستة وقال: أکلکم یطمع فی الخلافة؟ فسکتوا، فقال لهم ثانیة فقالوا: وما الذی یبعدنا منها؟ ولیتها أنت فقمت

بها ولسنا دونک فی قریش، ولا فی السابقة ولا فی القرابة.

فقال عمر: أفلا أخبرکم عن أنفسکم؟ قالوا: قل، فإنا لو استعفیناک لم تعفنا، فالتفت عمر إلی الزبیر وذکر عیوبه ثم التفت إلی طلحة وذکر سوابقه السیئة ثم التفت إلی سعد بن أبی‌وقاص وذکره بنقائصه، وخاطب عبدالرحمن بن عوف قائلاً: إنک رجل عاجز تحب قومک!! ثم التفت إلی علی وقال: وأما أنت یا علی فلو وزن إیمانک بإیمان أهل الأرض لرجحهم، فقام علی وخرج فقال عمر: والله إنی لأعلم مکان الرجل، لو ولیتموه أمرکم لحملکم علی المحجة البیضاء.

قالوا: من هو؟ قال: هذا المولی من بینکم.

قالوا فما یمنعک من ذلک؟ قال: لیس إلی ذلک من سبیل.

وفی روایة ابن أبی‌الحدید: ثم أقبل علی علی (علیه‌السلام) فقال: لله أنت!! لولا دعابة فیک أما والله لئن ولیتهم لتحملنهم علی الحق الواضح والمحجة البیضاء.

ثم أقبل عمر علی عثمان وقال: أما أنت یا عثمان فو الله لروثة خیر منک!! هؤلاء الذین مات رسول‌الله وهو راض عنهم!! وقد ذکرنا ما یتعلق بهذا الموضوع فی الجزء الأول من شرح نهج‌البلاغة.

التفت عمر وقال: ادعوا لی أباطلحة الأنصاری.

فدعوه فقال له: أنظر یا أباطلحة إذا عدتم من حفرتی (دفنی) فکن فی خمسین رجلاً من الأنصار حاملی سیوفکم، فخذ هؤلاء النفر الستة بإمضاء هذا الأمر وتعجیله، واجمعهم فی بیت واحد، فإن اتفق خمسة منهم وأبی واحد فاضرب عنقه! وإن اتفق أربعة وأبی اثنان فأضرب أعناقهما! وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التی فیها عبدالرحمن بن عوف فارجع إلی ما اتفقت علیه!!! فإن أصرت الثلاثة الأخری علی خلافها فاضرب أعناقها، وإن مضت ثلاثة أیام ولم یتفقوا فاضرب أعناق الستة ودع المسلمین یختاروا لأنفسهم!!! کان هذا هو القرار الصادر بحق الستة الذین مات رسول‌الله وهو راض عنهم!!! ومات عمر، ولما دفن، جمع أبوطلحة المرشحین للخلافة فی بیت عائشة، ووقف هو علی باب البیت فی خمسین رجلاً حاملی سیوفهم ولما استقر المجلس بهؤلاء الستة وقبل الشروع فی الکلام نادی عمار بن یاسر من وراء الباب: إن ولیتموها علیاً سمعنا وأطعنا، وإن ولیتموها عثمان سمعنا وعصینا، فقام الولید بن عقبة وقال: یا معشر الناس: أهل الشوری إن ولیتموها عثمان سمعنا وأطعنا، وإن ولیتموها علی سمعنا وعصینا.

فانتهره عمار وقال له: متی کان مثلک یا فاسق یعترض أمور المسلمین وشتات جمعها؟؟.

وتسابا جمیعاً وتناوشا حتی حیل بینهما.

فقال المقداد من وراء الباب: یا معشر المسلمین إن ولیتموها أحد من القوم فلا تولوها من لم یحضر بدراً، وانهزم یوم أحد ولم یحضر بیعة الرضوان، وولی الدبر یوم التقی الجمعان فقال عثمان: أما والله لئن ولیتها لأردنک إلی ربک الأول!!!! أما طلحة فإنه کان یعلم أن الخلافة لا تصل إلیه مع وجود أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وعثمان، فلهذا أشهد القوم علی نفسه: أنه قد وهب حقه من الشوری لعثمان، وإنما فعل ذلک تقویة لجانب عثمان.

وأما الزبیر فکان ابن عم أمیرالمؤمنین ولما رأی ما صنعه طلحة لعثمان وهب هو حقه من الشوری إلی أمیرالمؤمنین فقال: أنا أشهدکم أنی قد وهبت حقی من الشوری لعلی.

فتساوی الجانبان ولکل منهما صوت واحد، فبقی عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبی‌وقاص، فوهب سعد حقه لعبد الرحمن بن عوف لأن سعداً کان یعلم أن الخلافة لا تتم له.

فقال عبدالرحمن لأمیر المؤمنین وعثمان: أیکما یخرج نفسه من الخلافة ویکون إلیه الاختیار فی الاثنین الباقیین؟؟ فلم یتکلم منهما أحد، فقال عبدالرحمن: أشهدکم أننی قد أخرجت نفسی من الخلافة علی أن أختار أحدهما.

فبدأ بعلی (علیه‌السلام) وقال له: (أبایعک علی کتاب الله وسنة النبی وسیرة الشیخین: أبی‌بکر وعمر) فقال علی بل علی کتاب الله وسنة

النبی واجتهاد رأیی.

فعدل عبدالرحمن عنه، فعرض ذلک علی عثمان فقال: نعم.

فعاد عبدالرحمن إلی علی، فأعاد علی قوله، فعل ذلک عبدالرحمن ثلاث مرات فلما رأی أن علیاً غیر راجع عما قاله وأن عثمان ینعم له بالإجابة صفق علی ید عثمان وقال له: السلام علیک یا أمیرالمؤمنین.

فقال علی (علیه‌السلام) لعبد الرحمن بن عوف: والله ما فعلتها إلا لأنک رجوت منه ما رجی صاحبکما من صاحبه.

ثم دعی علیه وقال: دق الله بینکما عطر منشم.

أشار (علیه‌السلام) إلی سبب تقدیم عبدالرحمن عثمان علی علی (علیه‌السلام) وذکر أن السبب فی بیعة عبدالرحمن لعثمان کالسبب فی بیعة عمر لأبی‌بکر أی کما أن عمر بایع أبابکر یوم السقیفة لیرد أبوبکر الخلافة إلیه عند موته فدعی علیهما أن یفسد ما بینهما، لأن منشم بکسر المیم اسم امرأة عطارة بمکة وکانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطیبوا من طیبها، وکانوا إذا فعلوا ذلک کثرت القتلی فیما بینهم حتی صار یضرب به المثل فیقال أشأم من عطر منشم.

واستجاب الله دعاء الإمام (علیه‌السلام) ففسد بعد ذلک بین عبدالرحمن وعثمان فلم یکلم أحدهما صاحبه حتی مات عبدالرحمن.

لأن عثمان بنی قصره (طمار) والزوراء، وصنع طعاماً کثیراً ودعا الناس إلیه فکان فیهم عبدالرحمن، فلما نظر إلی البناء والطعام قال: یا أبن عفان لقد صدقنا علیک ما کنا نکذب فیک، وإنی أستعیذ بالله من بیعتک فغضب عثمان وقال: أخرجه عنی یا غلام، فأخرجوه، فأمر عثمان الناس أن لا یجالسوه..

وللإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) احتجاج مفصل فی یوم الشوری مذکور فی (کتاب الاحتجاج للطبرسی) یذکر فیه فضائله وفواضله ومناقبه وخصائصه وینشد الناس ذلک فیحلف له الناس علی صدق کلامه وقد اشتهر بحدیث المناشدة ورعایة للاختصار لم نذکره.

هذه خلاصة یوم الشوری وقد ذکرناها کما هی بدون أی تعلیق ولما انتقلت الخلافة إلی عثمان بن عفان واشترطوا علیه العمل بکتاب الله وسنة النبی (صلّی الله علیه وآله) وسیرة الشیخین فما مضت مدة وإذا به یخالف الکتاب والسنة والشیخین فکان من أعماله أنه ضرب عمار بن یاسر ضرباً شدیداً، وضربه برجلیه وهما فی الخف علی بطنه حتی أفتق عمار وأغمی علیه وما زال مغمی علیه حتی فاتته صلاة الظهر والعصر والمغرب، وأمر بتسییر أبی‌ذر إلی الشام ثم أمر بإرجاعه إلی المدینة فساروا به سیراً حثیثاً بلا نزول ولا راحة ولا نوم فلما وصل إلی المدینة، تناثر لحم فخذیه ورجلیه، وبعد ذلک أمر بتسفیره إلی الربذة وهی منطقة ردیة الماء والهواء لا زرع فیها ولا کلاء فمات أبوذر هناک جوعاً ولم یحضره أحد سوی ابنته الصغیرة.

ومنها إحراقه المصاحف (القرائین) ومنها ضربه عبدالله بن مسعود الصحابی الجلیل وقطعه عطاءه مدة سنتین.

ومنها تسلیط أقاربه وأرحامه علی رقاب المسلمین یلعبون بدمائهموأموالهم، ویصلون بالمسلمین فی حالة السکر، ویتقیئون الخمر فی المحراب.

ومنها أنه بذل من بیت مال المسلمین أربع ملایین وثلاثمائة وعشرة آلاف دینار (۴.۳۱۰.۰۰۰) ومائة وستة وعشرین ملیون وسبع مائة وسبعین ألف درهم (۱۲۶.۷۷۰.۰۰۰) کل ذلک من بیت مال المسلمین وهبها لأبن الزرقاء الزانیة مروان بن الحکم ونظرائه من أقارب عثمان وبناته، إلی غیر ذلک من المآسی التی یطول الکلام بذکرها.

فأحدثت أعماله فی قلوب المسلمین ثورة ونقمة وفی طلیعة الناقمین علیه عائشة وطلحة والزبیر وغیرهم من المسلمین.

ولهذا کانت عائشة تحرض الناس علی عثمان وتخرج قمیص رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) علی قصبة وتقول: أیها المسلمون إن عثمان غیر سنة رسول‌الله وهذا ثوبه لم یبل بعد!!

واجتمع المسلمون من مصر والبصرة والکوفة وقصدوا نحو المدینة یریدون مقابلة عثمان، فجاء إلیهم مروان وقابلهم بالکلام الخشن وأجابوه بالسب والشتم، واستمر الثوار یحاصرون دار عثمان، وفی تلک الأیام خرجت عائشة إلی الحج وهی تقول: اقتلوا نعثلاً قتله الله،

اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

لم يستطع الثوار أن يقابلوا عثمان إلا بعد أن تدخل على (عليه‌السلام) فى القضية وبذل ما فى وسعه للإصلاح بين عثمان والثوار.

فذهبت المساعى أدراج الرياح وكتب عثمان إلى والى مصر يأمره بقطع الأيدى والأرجل من بعض الثائرين بعد أن وعدهم أن ينزل عند رغبتهم ويلبى طلباتهم القانونية وحقوقهم المشروعة، فرجع الثوار وتفرقوا راضين عن عثمان وفى أثناء الطريق وجدوا غلام عثمان ففتشوه فوجدوا عنده ذلك الكتاب فرجعوا وقد أخذ الغضب منهم مأخذاً عظيماً، ولما علم على (عليه‌السلام) بذلك انسحب عن الفتنة، واقترب الثوار من دار عثمان ومنعوا أحداً يدخل عليه أو يخرج من‌بيته، فصعد عثمان على السطح وقال: من يبلغ علياً ليرسل لنا الماء.

فوصل الخبر إلى على فأرسل ولديه الحسن والحسين وغلامه فنبر يحمل كل واحد منهم قربة من الماء.

وأراد الثوار أن يمنعوهم من الدخول، ولكن كرامة لرسول‌الله أذنوا لهم بإيصال الماء إلى عثمان، وأمر على (عليه‌السلام) ولديه أن يقفا على باب عثمان يحرسانه من هجوم الثوار عليه.

وأخيراً وجد المحاصرون طريقاً إلى دار عثمان من الدار المجاورة له وهجموا عليه يقدمهم محمد بن أبى‌بكر وقتلوا عثمان فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كان موقف على (عليه‌السلام) مقابل أعمال عثمان موقف المصلح الناصح الشفيق، وكثيراً ما كان الإمام يحول بينه وبين تصرفاته غير المرضية، وخاصة فى تلك الأيام الأخيرة استطاع الإمام بعد شق الأنفس أن يرفع سوء التفاهم بين عثمان والثوار المصريين والبصريين والكوفيين، ويلطف الجو، ووجد لهم حلاً صحيحاً يحسم نزاعهم ويعيد المياه إلى مجاريها.

ورجع الثوار إلى بلادهم راضين شاكرين لعلى (عليه‌السلام) موقفه الإصلاحى فى قضيتهم ومشكلتهم، ولما وجدوا كتاب عثمان بيد غلامه رجعوا إلى المدينة فأرسل عثمان إلى على يطلب منه التدخل فى القضية فخرج على والتقى بالثوار وسألهم عن سبب رجوعهم فأبروزا كتاب عثمان وفيه يأمر عثمان بقطع أيدى المصريين وأرجلهم وقتل جماعة آخرين! فجاء بهم على وأدخلهم على عثمان وأبرز له ذلك الكتاب، فلما نظر إليه عثمان قال: الخاتم خاتمى، والغلام غلامى، والخط خط كتابتى، ولا علم لى بالكتاب!! فقال له الإمام (عليه‌السلام): فمن تتهم؟ قال عثمان لعلى (عليه‌السلام) أتهمك وأتهم كاتبى!! فقام على مغضباً وقال: بل هو فعلك.

واعتزل الإمام تلك الفتنة، ولما استسقاه عثمان أرسل على (عليه‌السلام) سيدى شباب أهل الجنة ابنى رسول‌الله الحسن والحسين يحملان الماء إلى دار عثمان ويحرسانه من تلك الفتنة.

وقد تقدم كل هذا، ومع هذا كله وغير هذا مما لم نذكره هنا كان أعداء على يتهمونه بقتل عثمان ويطلبون منه الثأر، فأقاموا المجازر والمذابح التى أمطرت السماء فيها دما، وكاد العرب أن ينقرض، ولقد بلغ عدد القتلى والضحايا فى هذه الحرب أكثر من مائة وستين ألف رجل ولا تسأل عن عوائل هؤلاء وأيتامهم وما هناك من ويلات ومصائب والتفصيل فى الليلة القادمة إن شاء الله تعالى.

على يوم الجمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

انتهى الكلام فى الليلة الماضية حول وفاة عثمان، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما.

اجتمعت الصحابة بعد مقتل عثمان فى مسجد رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وتشاوروا فى أمر الإمامة، فأشار بعضهم بعلى (عليه‌السلام) وهم: عمار بن ياسر وأبوأيوب الأنصارى، وأبوالهيثم بن التيهان وغيرهم، فذكروا سابقة على (عليه‌السلام) وفضله جهاده، فأجابهم الناس إليه، فقام كل واحد منهم خطيباً يذكر فضل على، فمنهم من فضله على أهل عصره، ومنهم من فضله على جميع

المسلمین عامة، فأتی الناس علیا لیبایعوه، فقال (علیه‌السلام): دعونی والتمسوا غیری، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه، وله ألوان لا تقوم له القلوب.

فقالوا: ننشدک الله: ألا تری ما نحن فیه؟ ألا تری الفتنة؟ ألا تخاف الله؟وقال الشعبی: أقبل الناس إلی علی (علیه‌السلام) لیبایعوه، ومالوا إلیه، فمدوا یده فکفها، وبسطوها فقبضها حتی بایعوه.

قال (علیه‌السلام): لا حاجة لی فی أمرتکم، فمن اخترتم رضیت به.

فقالوا: ما نختار غیرک.

وترددوا إلیه مراراً، وقالوا: والله ما نحن بفاعلین حتی نبایعک.

فقال (علیه‌السلام): ففی المسجد فإن بیعتی لا تکون خفیة، ولا تکون إلا فی المسجد وکان فی بیته فخرج إلی المسجد، وعلیه قمیص وعمامة خز، ونعلاه فی یده، متوکئاً علو قوسه، فبایعه الناس، وکان أول من بایعه من الناس: طلحة، ثم الزبیر ثم بایعه المهاجرون والأنصار وسائر المسلمین.

ولما أراد طلحة والزبیر أن یبایعا قال لهما أمیرالمؤمنین: إن أحببتما أن تبایعانی وإن أحببتما بایعتکما؟ فقالا: بل نبایعک.

وجاءوا بسعد بن أبی‌وقاص فقال له علی: بایع.

قال: لا حتی یبایع الناس، والله ما علیک منی بأس.

فقال الإمام: خلوا سبیله.

وجاءوا بعبدالله بن عمر فقالوا: بایع.

فقال: لا، حتی یبایع الناس فقال (علیه‌السلام): ائتنی بکفیل.

قال: لا أری کفیلا.

فقال الأشتر: دعنی أضرب عنقه.

فقال الإمام: دعوه أنا کفیله!.

کان الازدحام علی الإمام علی بصورة مدهشة، وکاد الناس أن یقتل بعضهم بعضاً من شدة الازدحام.

فبویع له بالخلافة یوم الجمعة لثمانیة عشر من ذی الحجة سنة خمس وثلاثین من الهجرة.

ومن ذلک الیوم نهض علی (علیه‌السلام) بأعباء الخلافة، وأول خطوة تقدم بها الإمام إلی العدالة هو تقسیم بیت مال المسلمین بالسویة وذلک فی الیوم الثانی من بیعته، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنی علیه، وکان مما قال: أما بعد، لما قبض رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) استخلف الناس أبابکر، ثم استخلف أبوبکر عمر، فعمل بطریقه، ثم جعلها شوری بین ستة، فأفضی الأمر إلی عثمان، فعمل ما أنکرتم وعرفتم، ثم حصر، ثم قتل، ثم جئتمونی فطلبتم إلی، وإنما أنا رجل منکم، لی ما لکم وعلی ما علیکم..

إلخ.

ثم التفت یمینا وشمالا فقال: ألا لا یقولن رجال منکم قد غمرتهم الدنیا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وترکبوا الخیول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلک علیهم عاراً وشناراً إذا منعتهم ما کانوا یخوضون فیه، وأصرتهم إلی حقوقهم التی یعملون، فینقمون ذلک ویستنکرون ویقولون: حرمنا ابن أبی‌طالب حقوقنا!! ألا وأیما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا، ودخل فی دیننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله، یقسم بینکم بالسویة، لا فضل لأحد علی أحد، وللمتقین غداً أحسن الجزاء وفضل الثواب.

وإذا کان غد إن شاء الله فاغدوا علینا، فإن عندنا مالاً نقسمه فیکم، ولا یتخلفن أحد منکم، عربی ولا عجمی، کان من أهل العطاء أو لم یکن، إذا کان مسلما حرا إلا حضر، أقول قولی هذا واستغفر الله العظیم لی ولکم.

وعن عمار وابن‌عباس قالا: إنه (علیه‌السلام) لما صعد المنبر قال لنا: قوموا فتخللوا الصفوف، ونادوا هل من کاره؟ فتصارخ الناس من کل جانب: اللهم قد رضینا وسلمنا وأطعنا رسولک وابن عمه، فقال (علیه‌السلام): قم یا عمار إلی بیت المال، فأعط الناس، ثلاثة دنانیر لکل إنسان وادفع لی ثلاثة دنانیر!! فمضی عمار وأبوالهیثم وجماعة من المسلمین إلی بیت المال، ومضی أمیرالمؤمنین إلی مسجد قباء یصلی فیه، فوجدوا ثلاثمائة ألف دینار، ووجدوا الناس مائة ألف فقال عمار: جاء والله الحق من ربکم، والله ما علم بالمال ولا بالناس وإن هذه الآیة وجبت علیکم بها طاعة الرجل.

أول شیء کرهه الناس من أمیرالمؤمنین تقسیمه العطاء بالسویة فقد قال سهل بن حنیف: یا أمیرالمؤمنین هذا غلامی بالأمس وقد أعتقته الیوم فقال (علیه‌السلام): نعطیه کما نعطیک!! وأمر الإمام أن یبدأوا فی العطاء بالمهاجرین ثم یثنون بالأنصار ثم من حضر من الناس کلهم الأحمر والأسود.

تخلف من هذه القسمة یومئذ طلحة والزبیر وعبدالله بن عمر وسعید بن العاص ومروان بن الحکم ورجال من قریش، ومن هنا بدأت التفرقة ونشب الخلاف، وتولدت الفتنة.

وأقبل هؤلاء وجلسوا فی ناحیة من المسجد، ولم یجلسوا عند علی (علیه‌السلام) ثم قام الولید بن عقبة فجاء إلی الإمام فقال: یا أباالحسن إنک قد وترتنا جمیعاً، أما أنا: فقتلت أبی یوم بدر صبراً، وخذلت أخی یوم الدار بالأمس، وأما سعید فقتلت أباه یوم بدر فی الحرب وکان ثور قریش، وأما مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمه إلیه، ونحن إخوانک ونظراؤک من بنی عبدمناف، ونحن نبایعک الیوم علی أن تضع عنا ما أصبناه من المال فی یوم عثمان وأن تقتل قتلة عثمان، وإنا إن خفناک ترکناک والتحقنا بالشام.

فقال (علیه‌السلام): أما ما ذکرتم من وتری إیاکم فالحق وترکم، وأما وضعی عنکم ما أصبتم فلیس لی أن أضع حق الله عنکم ولا عن غیرکم، وأما قتلی عثمان فلو لزمنی قتلهم الیوم لقتلتهم أمس، ولکن لکم علی إن خفتمونی أن أؤمنکم، وإن خفتکم أن أُسیّرکم.

فقام الولید إلی أصحابه فحدثهم، فافترقوا علی إظهار العداوة وإشاعة الخلاف، لأن عماراً وعبدالله بن رافع وغیرهما لما قسموا المال بین الناس بالسویة أخذ علی (علیه‌السلام) مکتله ومسحاته ثم انطلق إلی بئر الملک فعمل فیها فأخذ الناس ذلک القسم حتی بلغوا الزبیر وطلحة وعبدالله بن عمر فأمسکوا بأیدیهم، وامتنعوا عن القبول وقالوا: هذا منکم أو من صاحبکم؟ فقالوا: هذا أمره، ولا نعمل إلا بأمره، قالوا استأذنوا لنا علیه.

قالوا: ما علیه إذن، هو ببئر الملک یعمل، فرکبوا دوابهم حتی جاءوا إلیه فوجدوه فی الشمس ومعه أجیر له، فقالوا: إن الشمس حارة، فارتفع معنا إلی الظل.

فارتفع معهم إلی الظل، فقالوا: لنا قرابة من نبی الله، وسابقة وجهاد، وإنک أعطیتنا بالسویة، ولم یکن عمر وعثمان یعطوننا بالسویة، کانوا یفضلوننا علی غیرنا.

فقال (علیه‌السلام): فهذا قسم أبی‌بکر، وإلا تدعوا أبابکر وغیره، وهذا کتاب الله فانظروا ما لکم من حق فخذوه.

قالوا: فسابقتنا.

قال: أنتما أسبق منی؟ قالا: لا، فقرابتنا من النبی.

قال: أقرب من قرابتی؟ قالا: لا، فجهادنا.

قال: أعظم من جهادی؟ قالا: لا، قال: فو الله ما أنا فی هذا المال وأجیری إلا بمنزلة سواء.

وفی الیوم الثانی جاء طلحة والزبیر وجلسا فی ناحیة المسجد.

وجاء مروان بن الحکم وسعید بن العاص وعبدالله الزبیر وجلسوا عندهما، وکان هؤلاء قد امتنعوا عن أخذ قسمتهم من بیت المال وجعلوا یطعنون فی أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) والتفت عمار بن یاسر إلی أصحابه وهم جلوس عنده فی ناحیة أخری من المسجد قائلا: هلموا إلی هؤلاء النفر من إخوانکم فإنه قد بلغنا عنهم ورأینا ما نکره من الخلاف والطعن لإمامهم، وقد دخل أهل الجفاء بینهم وبین

الزبیر والأعسر العاق (طلحة).

قام عمار ومن معه حتی جلسوا عندهم فتکلم أبوالهیثم وقال: إن لکم لقدماً فی الإسلام، وسابقة وقرابة من أمیرالمؤمنین، وقد بلغنا عنکم طعن وسخط لأمیر المؤمنین، فإن یکن لکما خاصة، فعاتبا ابن عمتکما، وإمامکما؟ وإن تکن النصیحة للمسلمین فلا تؤخراه عنه ونحن عون لکما فقد علمنا أن بنی أمیة لن تنصحکما أبداً، وقد عرفتما..

فقال أحمد: قد عرفتما عداوتهم لکما، وقد شرکتما فی دم عثمان. وملأتما.

فسکت الزبیر، وصاح طلحة بصوت عال: أفزعوا جمیعاً مما تقولون، فإنی قد عرفت إن فی کل واحد منکم خطبة.

فتدخل عمار وأبدی النصیحة، وتقدم إبن الزبیر وتکلم بکلام خشن فأمر عمار بإخراج ابن‌الزبیر من المسجد، فقام الزبیر منزعجاً من هذا العمل وخرج من المسجد، فقال عمار: لو لم یبق أحد إلا خالف علی بن أبی‌طالب لما خالفته، ولا زالت یدی مع یده، وذلک أن علیاً لم یزل مع الحق منذ بعث الله محمد (صلّی الله علیه وآله) فإنی أشهد أن لا ینبغی لأحد أن یفضل علیه أحداً.

فقام عمار وجماعة وجاءوا إلی أمیرالمؤمنین، وأخبروه بانشقاق القوم وأنهم کرهوا الأسوة والقسمة بالسویة إلی آخر کلامهم.

فخرج الإمام ودخل المسجد وصعد المنبر وقال بعد الحمد والثناء علی الله: یا معشر المهاجرین والأنصار: أتمنون علی الله ورسوله بإسلامکم؟ بل الله یمن علیکم أن هداکم للإیمان إن کنتم صادقین، أنا أبوالحسن وکان یقولها إذا غضب ألا إن هذه الدنیا التی أصبحتم تتمنونها، وترغبون فیها، وأصبحت تغضبکم وترضیکم لیست بداترکم ولا منزلکم الذی خلقتم له، فلا تغرنکم، وأما هذا الفیء (المال) فلیس لأحد أثرة.

فقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون وهذا کتاب الله، به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبینا بین أظهرنا فمن لم یرض فلیتول کیف شاء، فإن العامل بطاعة الله الحاکم بحکم الله لا وحشة علیه! نزل الإمام عن المنبر وصلی رکعتین ثم بعث بعمار بن یاسر إلی طلحة والزبیر وهما فی ناحیة المسجد، فدعاهما، فجاء طلحة والزبیر، وجلسا عند أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) فقال الإمام: نشدتکما الله؟ هل جئتمانی طائعین للبیعة ودعوتمانی إلیها وأنا کاره لها؟ فقال الرجلان: نعم.

فقال الإمام: غیر مجبورین ولا معسورین، فأسلمتما لی ببیعتکما أعطیتمانی عهدکما؟؟ فقال الرجلان: نعم.

فقال الإمام: فما دعاکما إلی ما أری؟ فقال الرجلان: أعطیناک بیعتنا علی أن لا تقضی فی الأمور، ولا تقطعها دوننا، وأن تستشیرنا فی کل أمر، ولا تستبد بذلک علینا، ولنا من الفضل علی غیرنا ما قد علمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمور وتقضی الحکم بغیر مشاورتنا ولا علمنا!! فقال الإمام غاضباً: لقد نقمتما یسیراً، وأرجأتما کثیراً، فاستغفرا الله یغفر لکما، ألا تخبرانی! أدفعتمکا عن حق واجب لکما فظلمتکما إیاه؟ فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: فهل استأثرت من هذا المال بشیء؟ فقال الرجلان: معاذ الله، فقال الإمام: أفوقع حکم أوحد من المسلمین فجهلته أو ضعفت فیه؟ فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: فما الذی کرهتما من أمری حتی رأیتما خلافی؟ فقال الرجلان: خلافک عمر بن الخطاب فی القسم، إنک جعلت حقنا فی القسم، کحق غیرنا، وسویت بیننا وبین من لا یماثلنا فیها ما أفاء الله تعالی بأسیافنا ورماحنا، وأوجفنا علیه بخیلنا ورجلنا، وظهرت علیه دعوتنا، وأخذناه قسراً وقهراً ممن لا یری الإسلام إلا کرها.

فقال الإمام: أما ما ذکرتما من الاستشارة بکما فوالله ما کانت لی فی الولایة رغبة ولکنکم دعوتمونی إلیها وجعلتمونی علیها، فخفت أن أردکم فتختلف الأمة فلما أفضت إلی نظرت فی کتاب الله وسنة رسوله فأمضیت ما دلانی علیه واتبعته، ولم أحتج إلی رأیکما فیه ولا رأی غیرکما، ولو وقع حکم لیس فی کتاب الله بیانه ولا فی السنة برهانه واحتیج إلی المشورة لشاورتکما فیه.

وأما القسم والأسوة: فإن ذلک لم أحکم فیه بادئ بدء، قد وجدت أنا وأنتما رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یحکم بذلک، وکتاب الله ناطق به، وهو الکتاب الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه تنزیل من حکیم حمید.

وأما قولكما: (جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا فقديما سبق إلى الإسلام قوم، ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلا فضلهم رسول‌الله بالقسم، ولا آثر بالسبق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة بأعمالهم وليس لكما والله عندى ولا لغيركما إلاـ هذا، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر، رحم الله امرئً رأى حقاً فأعان عليه، ورأى جوراً فردّه، وكان عونا للحق على من خالفه).

قام طلحة والزبير وانصرفا من عند أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وهما مغضبان ساخطان، وقد عرفا ما كان غلب فى ظنهما من رأيه وبعد يومين جاءا واستأذنا عليه فأذن لهما، فقالا: يا أميرالمؤمنين: قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئا نصلح به أحوالنا ونقضى به حقوقاً علينا.

فقال أميرالمؤمنين: قد عرفتما مالى ب(ينبع) فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر.

فقالا: لا حاجة لنا فى مالك ب(ينبغ) فقال أميرالمؤمنين: ما أصنع؟ فقالا: اعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية.

فقال أميرالمؤمنين: سبحان الله وأى يد لى فى بيت مال المسلمين؟ وأنا خازنهم أمين لهم، فإن شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك من الناس ما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت، وأنى لى بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم؟ ولكنى أبدى لكما عذراً، فقالا: ما كنا بالذى نكلفك ذلك، ولو كلفناك لما أجابك المسلمون.

فقال أميرالمؤمنين: فما أصنع؟ فقالا: سمعنا ما عندك.

ثم حرج الرجلان من دار أميرالمؤمنين، وقد يئسا من بيت المال، فجعلا يفكران فى كيفية الخروج إلى مكة، والالتحاق بعائشة، إلى أن صار رأيهما على هذا وجاءا إلى أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وقت خلوته وقالا: قد جئناك نستأذنك للخروج فى العمرة، لأنا بعيدا العهد بها.

فأذن لنا فيها.

فنظر أميرالمؤمنين فى وجهيهما، وقرأ الغدر من فلتات لسانهما ودوران عيونهما، وقد احمر وجهه ولاح الغضب فيه فقال: والله ما تريدان العمرة، ولكنكما تريدان الغدرة، وإنكما تريدان البصرة.

فقال الرجلان: اللهم غفراً، ما نريد إلا العمرة.

فقال أميرالمؤمنين: احلفا لى بالله العظيم أنكما لا تفسدان على أمر المسلمين، ولا تنكثان لى بيعة ولا تسعيان فى فتنة.

فحلفا بالأيمان المؤكدة فيما استحلفهما عليه من ذلك فخرج الرجلان من عنده، فلقيهما ابن‌عباس سائلاً: أذن لكما أميرالمؤمنين؟ فقالا: نعم.

ودخل ابن‌عباس على الإمام فابتدأ الإمام (عليه‌السلام) قائلاً: يا ابن‌عباس: أعندك الخبر؟ فقال ابن‌عباس: قد رأيت طلحة والزبير.

فقال أميرالمؤمنين: إنهما استأذنا فى العمرة، فأذنت لهما بعد أن أوثقت منهما بالأيمان أن لا يغدرا ولا ينكثا ولا يحدثا فساداً وبعد هنيئة قال: والله يا بن عباس: إنى لأعلم أنهما ما قصدا إلا الفتنة، فكأنى بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربى، فإن يعلى بن منبه الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفق ذلك، وسيفسد هذان الرجلان على أمرى، ويسفكان دماء شيعتى وأنصارى، فقال ابن‌عباس: إذا كان ذلك عندك يا أميرالمؤمنين معلوماً، فلم أذنت لهما؟ هلا حبستهما، وأوثقتهما بالحديد، وكفيت المؤمنين شرهما؟ فقال أميرالمؤمنين متعجباً: يا ابن‌عباس أتأمرنى بالظلم أبدا؟ وبالسيئة قبل الحسنة؟ وأعاقب على الظنة والتهمة؟ وأؤاخذ بالفعل قبل كونه؟ كلاـ والله، لاـ عدلت عما أخذ الله على من الحكم والعدل، ولا ابتدأ بالفصل، يا ابن‌عباس: إننى أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما، ولكنى استظهرت بالله عليهما والله لأقتلنهما ولأخيبن ظنهما، ولا يلقيان من الأمر مناهما، وإن الله يأخذهما بظلمهما لى، ونكثهما بيعتى وبغيهما على.

خرج الرجلان من المدينة متوجهين إلى مكة، فوجدا بنى أمية قد أحاطوا بعائشة، ولحق بها جماعة من منافقى قريش، ولحق بها عبدالله

بن عمر بن الخطاب وأخوه عبیدالله ومروان بن الحکم وأولاد عثمان وعبیده وخاصته من بنی أمیة، وجعلوا عائشة ملجأ لهم فیما دبروه من کید أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام)، وصار کل من یبغض علیاً أو یکرهه أو یحسده أو یخاف منه استیفاء الحقوق منه، یلتحق بهذه الجماعة، وعائشة تنعی عثمان وتبرأ من قاتله وتحرض الناس علی عداوة أمیرالمؤمنین، وتظهر بأن علیا قتل عثمان ظلماً.

وکانت عائشة لما وصلت إلی مکة، وأدت مناسک الحج، ولما فرغت بلغها خبر قتل عثمان استبشرت وقالت للناعی: قتلته أعماله، إنه أحرق کتاب الله، وأمات سنة رسول‌الله فقتله الله، ومن بایع الناس؟ فقال الناعی: لم أبرح من المدینة حتی أخذ طلحة بن عبیدالله نعاجا لعثمان، وعمل مفاتیح لأبواب بیت المال ولا شک أن الناس بایعوه.

فقالت عائشة وهی فرحانة: بعداً لنعثل وسحقاً! إیه ذا الأصبع! إیه أباشبل! إیه ابن عم! لله أبوک یا طلحة، أما إنهم وجدوا طلحة لها کفواً، لکأنی أنظر إلی إصبعه وهو یبایع أحنوها لا بل دغدغوها! وجدوک لها محسنا ولها کافیا، شدوا رحلی فقد قضیت عمرتی، لأتوجه إلی منزلی.

سارت عائشة حتی إذا وصلت إلی موضع یقال له: (شرفاء) لقیها رجل یقال له: عبید بن أم کلاب، فسألته عائشة: ما الخبر؟ فقال الرجل: قتل عثمان.

فقالت عائشة قتل نعثل!!! أخبرنی عن قصته وکیف کان أمره؟ فقال الرجل: لما أحاط الناس بالدار، رأیت طلحة بن عبیدالله قد غلب علی الأمر، واتخذ مفاتیح علی بیوت الأموال والخزائن، وتهیأ لیبایع له، فلما قتل عثمان مال الناس إلی علی بن أبی‌طالب، ولم یعدلوا به طلحة ولا غیره، وخرجوا فی طلب علی یقدمهم الأشتر ومحمد بن أبی‌بکر وعمار بن یاسر حتی إذا أتوا علیاً وهو فی بیت سکن فیه فقالوا له: بایعنا علی الطاعة لک، وکان علی (علیه‌السلام) یتفکر ساعة.

فقال الأشتر: یا علی إن الناس لا یعدلون بک غیرک فبایع قبل أن تختلف الناس.

وکان فی الجماعة طلحة والزبیر، فظننت أن سیکون بین طلحة والزبیر وعلی بن أبی‌طالب کلام قبل ذلک، فقام طلحة والزبیر فبایعا، وأنا أری أیدیهما علی ید علی یصفقانهما ببیعته.

ثم صعد علی بن أبی‌طالب المنبر، فتکلم بکلام لا أحفظ إلا أن الناس بایعوه یومئذ علی المنبر وبایعوه من الغد، فکلما کان الیوم الثالث خرجت ولا أعلم.

فقالت عائشة: لوددت أن السماء انطبقت علی الأرض إن تم هذا!! أنظر ماذا تقول؟ فقال الرجل: هو ما قلت لک یا أم المؤمنین.

فقالت عائشة: إنا لله، أکره والله الرجل، وغصب علی بن أبی‌طالب أمرهم، وقتل خلیفة الله مظلوما! ردوا بغالی ردوا بغالی!! فقال الرجل: ما شأنک یا أم المؤمنین؟ والله ما أعرف بین لابتیها أحداً أولی بها من علی، ولا أحق، ولا أری له نظیراً فلماذا تکرهین؟.

عائشة لا ترد جواباً، وعزمت علی الرجوع إلی مکة، وفی طریقها رآها قیس بن حازم فقالت عائشة تخاطب نفسها: قتلوا ابن‌عفان مظلوما.

فقال قیس: یا أم المؤمنین ألم أسمعک آنفا تقولین: أبعده الله؟ وقد رأیتک قبل أشد الناس علیه، وأقبحهم فیه قولا.

فقالت عائشة: لقد کان ذلک، ولکن نظرت فی أمره فرأیتهم استتابوه حتی إذا ترکوه کالفضة البیضاء أتوه صائماً محرماً فی شهر حرام فقتلوه.

فقال عبید بن أم کلاب:

فمنک البداءة ومنک الغیر

ومنک الریاح ومنک المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام

وقلت لنا: إنه قد کفر

فهبنا أطعناك فی قتله

وقاتله عندنا من أمر

ولم یسقط السقف من فوقنا

ولم ینکسف شمسنا والقمر

وقد بایع الناس ذا ارتداء

یزیل الشبا ویقیم الصعر

وتلبس للحرب أوزارها

وما من وفی مثل من قد غدر

وصلت عائشة إلی مکة، وجاءها رجل یقال له: یعلی بن منبه، وکان من بنی أمیة وشیعة عثمان وقال لها: قد قتل خلیفتک الذی کنت تحرضین علی قتله.

فقالت عائشة: برأت إلی الله ممن قتله.

فقال الرجل: ألآن أظهری البراءة ثانیا من قاتله، فخرجت إلی المسجد، فجعلت تتبرأ ممن قتل عثمان، وهنا وصل خبر عائشة إلی طلحة والزبیر وهما فی المدینة، فکتبا إلیها کتاباً مع ابن أختها عبدالله بن الزبیر وکان مضمون الکتاب (خذ لی الناس عن بیعة علی، وأظهری الطلب بدم عثمان).

قرأت عائشة ذلک الکتاب وکشفت عما فی ضمیرها وجعلت تطلب بدم عثمان وجاءت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت: أیها الناس: إن الغوغاء (السفلة) من أهل الأمصار وأهل المیاه وعبید أهل المدینة اجتمعوا علی هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس ونقموا علیه استعمال الأحداث، وقد استعمل أمثالهم من قبله، ومواضع الحمی حماها لهم، فتابعهم ونزل عنها، فلما لم یجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان، فسفکوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام! والله، لإصبع من عثمان خیر من طباق الأرض أمثالهم! والله، لو أن الذی اعتدوا علیه کان ذنبا لخلص منه کما یخلص الذهب من خبثه، والثوب من درنه، إذ ماصوه کما یماص الثوب بالماء.

فتقدم عبدالله بن عامر الحضرمی وکان عامل عثمان علی مکة وقال: أنا أول طالب بدمه.

فکان أول مجیب.

فتبعه بنو أمیة، وکانوا قد هربوا من المدینة بعد قتل عثمان إلی مکة فرفعوا رؤوسهم، فکان أول ما تکلموا فی الحجاز.

ولما وصل طلحة والزبیر إلی مکة أرسلا عبدالله بن الزبیر إلی عائشة یطلبان منها الخروج إلی البصرة للطلب بدم عثمان!! امتنعت عائشة من الإجابة لکنها ذهبت إلی أم سلمة تستشیرها فی الخروج، ولما دخلت علی أم سلمة ونعت إلیها عثمان وأنه قتل مظلوما، صرخت أم سلمة صرخة وهی متعجبة من کلام عائشة وقالت: یا عائشة بالأمس کنت تشهدین علیه بالکفر وهو الیوم أمیرالمؤمنین قتل مظلوما؟؟ ثم إن عائشة ذکرت لأم سلمة عزمها علی الخروج إلی البصرة للطلب بدم عثمان وطلبت من أم سلمة أن ترافقها وتشارکها فی تلک النهضة!! فجعلت أمسلمة تعاتب عائشة علی تحریضها الناس بقتل عثمان ثم الطلب بدمه مع العلم أن عثمان من بنی عبدمناف وعائشة امرأة من تیم بن مرة، ولیس بینهما قرابة، ثم ذکرت أمسلمة شیئا من فضائل علی وأنه لا ینبغی لأحد أن یحارب علیا، ووعظتها وذکرتها بما سمعت من رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) فی فضل علی (علیه‌السلام) وذکرتها بحدیث النبی (صلّی الله علیه وآله) یوم قال: أیتکن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها کلاب الحوأب فتذکرت عائشة کل ذلک وقنعت بکلام أمسلمة ولکن التأثیر کان مؤقتا، ثم عزمت علی السفر إلی البصرة.

وأما یعلی بن منبه فقد اشتری أربعمائة بعیر ونادی: أیها الناس من خرج لطلب دم عثمان فعلی جهازه.

ووصل الخبر إلى أمسلمة فقالت لعائشة: لقد وعظتك فلم تتعظى..

ثم حذرتها عن تلك الفكرة وذكرت لها بأنها تهتك حرمة رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) لأنها زوجته وعرضه إلى آخر كلامها.

وخرجت عائشة بالجيش نحو البصرة وفى أثناء الطريق وصلوا إلى ماء الحوأب فنبحت الكلاب وقال قائل: ما أكثر كلاب الحوأب وما أشد نباحها فأمسكت عائشة زمام بعيرها وصرخت: إنا لله وإنا إليه راجعون إنى لهيه!! سمعت رسول‌الله وعنده نساؤه يقول: ليت شعرى أيتكن صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة، تنجو بعد ما كادت تقتل؟؟..

ردونى، ردونى.

فأقبل جماعة وشهدوا وحلفوا أن هذا ليس بماء الحوأب فسارت عائشة لوجهها نحو البصرة.

فوصل الخبر إلى أميرالمؤمنين (عليه‌السلام)، فأمر المنادى فنادى: الصلاة جامعة، اجتمع الناس فى مسجد رسول‌الله فى المدينة وصعد الإمام المنبر وخطب فيهم خطبة ذكر فيها الخلافة وأطوارها وأدوارها...

إلى أن قال: وبايعنى هذان الرجلان طلحة والزبير فى أول من بايع، وتعلمون ذلك، وقد نكثا غدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم.

أللهم: فخذ بما عملا واحدة رابية، ولا تنعش لهما ضرعة، ولا تقلهما عثرة، ولا تمهلهما فواقا، فإنهما يطلبان حقا تركاه، ودما سفكاه، أللهم إنى أقتضيك وعدك فإنك قلت وقولك الحق: (ثم بغى عليه لينصرنه الله) ... اللهم أنجز لى موعدى ولا تكلنى إلى نفسى إنك على كل شىء قدير.

ثم استشار الإمام أصحابه، فقال عمار بن ياسر: الرأى عندى: أن تسير إلى الكوفة، فإن أهلها شيعة، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة وأشار عليه عباس أن يأمر أمسلمة لتخرج معه تقوية لجانبه فقال الإمام: أما أمسلمة فإنى لا أرى إخراجها من بيتها كما أن الرجلان إخراج عائشة!! وأشار عليه جماعة أن يعتزل الفتنة ويذهب إلى ماله ب(ينبع) فلم يقبل منه وأخيرا نادى الإمام: تجهزوا للمسير، فإن طلحة والزبير نكثا البيعة ونقضا العهد، وأخرجا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة، وسفك دماء أهل القبلة ورفع يديه للدعاء قائلا: اللهم: إن هذين الرجلين قد بغيا على، ونكثا عهدى، ونقضا عقدى، وشقيانى بغير حق سومهما ذلك، اللهم حذهما بظلمهما وأظفرنى بهما، وانصرنى عليهما.

وجعل الإمام (عليه‌السلام) تمام بن العباس والياً على المدينة وخرج بمن معه إلى الربذة، وإذا بطلحة والزبير قد ارتحلوا منها.

فأرسل الإمام محمد بن أبى‌بكر ومحمد بن الحنفية إلى الكوفة ليستنفرا أهل الكوفة، وكان والى الكوفة يومذاك أباموسى الأشعرى وكان أبوموسى عثمانى الهوى، منحرفا عن على (عليه‌السلام).

وكانت عائشة قد كتبت كتابا إلى أبى‌موسى تأمره أن يخذل الناس عن نصرة الإمام، وقام أبوموسى بتلبية طلبها، فخطب فيهم وأمرهم أن يجتنبوا الفتنة ويبتعدوا عن سفك دماء المسلمين.

لم يستطع محمد بن الحنفية ومجمد بن أبى‌بكر مقاومة الأشعرى فرجعا إلى الإمام، وكان الإمام قد كتب قبل ذلك كتابا إلى الأشعرى يأمره أن يخرج لمؤازرة الإمام، ولكن الأشعرى استمر على رأيه وامتنع عن البيعة، وأظهر العداء الكامن فى صدره، فأخبروا الإمام بذلك.

فكتب الإمام كتابا إلى الأشعرى فيه خبر عزله عن الحكم والتهديد إن لم يعتزل، وكتاباً آخر إلى أهل الكوفة يذكر لهم فيه عما جرى على عثمان، ثم ذكر بيعة الناس له ومن جملتهم طلحة والزبير، ثم نكثهما البيعة وخروجهما ضد الإمام (عليه‌السلام).

وقبل وصول هذين الكتابين كان الإمام الحسن بن على (عليه‌السلام) وعمار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد جاءوا إلى الكوفة وخطبوا فى الناس الخطب المفصلة المطولة، يحثون الناس على نصرة الإمام.

فكان الأشعرى يقوم ويخطب وينقض كلامهم ويخذل الناس ويأمرهم باعتزال الفتنة وعدم الخوض فى المعركة.

وانقضت أيام وأيام والأمر هكذا فى الكوفة وأميرالمؤمنين ينتظر المدد وهو فى أرض يقال لها: (ذو قار) واليوم يقال لها: (المقيرة) وهى قريب الناصرية فى طريق البصرة.

وأخيرا خرج البطل الضرغام مالك الأشتر وأقبل إلى الكوفة ودخلها وهجم على دار الإمارة واستولى عليها، وأخرج غلمان أبى‌موسى منها.

كانت الحرب الباردة قائمة فى المسجد بين الأشعرى وبين أصحاب الإمام وإذا بغلمان الأشعرى دخلوا المسجد، وهم ينادون يا أباموسى هذا الأشتر.

ودخل أصحاب الأشتر وصاحوا: أخرج من المسجد، يا ويلك أخرج الله روحك، إنك والله من المنافقين.

خرج أبوموسى معزولاً خائباً مخذولاً، وأراد الناس أن ينهبوا أمواله فمنعهم الأشتر.

وأقبل الأشتر فصعد المنبر وقال: وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا، وأعظمهم فى الإسلام سهما،ابن عم رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله)، وأفقه الناس فى الدين، وأقرأهم كتاب الله، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس وقد استنفركم، فما تنتظرون؟ أسعيداً؟ أم الوليد؟ الذى شرب الخمر وصلى بكم على سكر؟ واستباح ما حرمه الله فيكم.

أى هذين الرجلين تريدون؟ قبح الله من له هذا الرأى!! فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم، ولا يختلف رجل له قوة، فو الله ما يدرى رجل منكم ما يضره وما ينفعه، وإنى لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون، أو تبصرون.

أصبحوا إن شاء الله غدا غادين مستعدين، وهذا وجهى إلى ما هناك بالوفاء.

ثم قام ابن‌عباس وعزل الأشعرى عن الولاية وخلعه عنها، وجعل قرضة بن كعب، فلم يبرحوا من الكوفة حتى سيروا سبعة آلاف رجل والتحقوا بأميرالمؤمنين فى ذى قار.

والتحق به قبل ذلك ألفان من قبيلة طى، وخرج الإمام (عليه‌السلام) نحو البصرة.

وكانت عائشة وطلحة والزبير ومن معهم قد وصلوا إلى البصرة قبل ذلك، وتعجب الناس من قدومهم إلى البصرة للطلب بدم عثمان المقتول فى المدينة.

وسمع عثمان بن حنيف (والى البصرة) بوصول القوم، فأرسل إليهم أباالأسود الدؤلى وعمران بن حصين للتحقيق، فدخلا على عائشة وقالا لها: يا أم المؤمنين ما حملك على المسير؟ ما الذى أقدمك هذا البلد؟ وأنت حبيبة رسول‌الله وقد أمرك أن تقرى فى بيتك؟ فجرى كلام وجدال طويل بين عائشة والرجلين، وكلما خوفاها من إراقة دماء المسلمين وإفساد الأمر قابلتهم بكل صلابة وحدة.

ودخلا على طلحة فلم يسمعا منه إلا الكلام القبيح والطرد، ثم السب لأميرالمؤمنين (عليه‌السلام).

استعدت عائشة للحرب، وخرجت بمن معها إلى محلة فى البصرة يقال لها (المربد) وخطبت فى أهل البصرة خطبة فنعت عثمان وتأسفت على قتله ثم ذكرت عليا وبيعته وأفرطت فى كلامها ثم طلبت من أهل البصرة نقض خلافة الإمام فصدقها ناس وكذبها ناس، واضطرب الناس بأقوالهم، واشتغلوا بالسب والشتم واللعن، وتوجهت عائشة إلى دار الإمارة وطلبوا من عثمان بن حنيف أن يسلم إليهم دار الإمارة فأبى عليهم، واشتعلت نار الحرب حتى الظهر وقتل فى تلك الواقعة خمسمائة شيخ من بنى عبدالقيس من شيعة على وأنصار عثمان بن حنيف سوى الجرحى، واستمرت الحرب فى البصرة وكثر القتلى والجرحى، ودخل بعض الناس وقرروا الهدنة، فتم القرار على: أن تكون دار الإمارة والمسجد وبيوت المال تحت اختيار عثمان بن حنيف، وتكون البصرة تحت حيازة طلحة والزبير وعائشة، وكتبوا على هذه المصالحة كتابا وشهد الناس على ذلك، ولما أمن الناس واطمئنوا وألقوا سلاحهم أقبل طلحة والزبير وأصحابهما حتى أتوا دار الإمارة على حين غفلة وكان خمسون رجلا يحرسون بيوت الأموال وهم من شيعة على أحاط الزبير بهؤلاء وقتل منهم أربعين رجلا- صبرا ثم هجموا على عثمان بن حنيف فأوثقوه رباطا، وعمدوا إلى لحيته فنتفوا لحيته حتى لم يبق منها شعرة واحدة ونتفوا حاجبيه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد.

وأصبح الصباح فجاء طلحة والزبير إلى المسجد الأعظم لأداء صلاة الصبح جماعة فأراد طلحة أن يتقدم ويصلى بالناس فدفعه الزبير، وأراد الزبير أن يصلى فمنعه طلحة، استمر النزاع والتدافع بين الإمامين!!! حتى كادت الشمس أن تطلع فصاح الناس: الله الله يا أصحاب رسول‌الله! فى الصلاة نخاف فوتها!! فأمرت عائشة أن يصلى مروان بالناس وأخيرا تقدم ابن‌الزبير وصلى بالمسلمين.

انتشر خبر قتل الحرس وإلقاء القبض على عثمان، فأقبل حكيم بن جبلة إلى عشيرته فحثهم على النهوض وجاء طلحة والزبير وشبت النار مرة ثانية وقتل حكيم بن جبلة وأخوه وعدد من الناس، واستولى طلحة والزبير على بيوت الأموال ونصبا الأقفال على أبواب بيوت الأموال، فأمرت عائشة بختم بيت المال، وختم كل من طلحة والزبير وعائشة بختم على بيوت الأموال.

انقضت أيام وعائشة وطلحة والزبير يخطبون فى الناس ويهيجونهم ويحذرونهم من على (عليه‌السلام) وقد كان ينتهى كلامهم إلى ذم الإمام وسبه وأرسلت عائشة كتبا ورسائل إلى البلاد والأمصار كتبت فيها ما أرادت.

ووصل الإمام أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) بجيشه الجرار إلى البصرة، ٔبلغه الخبر عن المجزرة الرهيبة التى أقامها هؤلاء، فأرسل الإمام صعصعة بن صوحان للتفاهم أو لإتمام الحجة على عائشة والرجلين والتقى بهم صعصعة فلم يسمع منهم إلا التهديد والخشونة فى الكلام وأرسل الإمام (عليه‌السلام) عبدالله بن عباس وأمره أن يلتقى بطلحة والزبير، فلم تنجح مذكرات ابن‌عباس معهما.

كان وصول الجيش العلوى إلى البصرة على أحسن هيئة وأجمل نظام وفيهم المشايخ من أهل بدر المهاجرين والأنصار، وقواد الجيش ومعهم الألوية والرايات، والمواكب يترى بعضها بعضا.

وفى الأخير: وصل موكب الإمام وهو موكب عظيم فيه خلق كثير عليهم السلاح والحديد، ومعهم الإمام وعليه الوقار والسكينة ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، والجنود خلفه كأن على رؤوسهم الطير، والإمام الحسن عن يمينه والإمام الحسين عن شماله، وابنه محمد بن الحنفية بين يديه ومعه الراية.

أمر الإمام (عليه‌السلام) ابن‌عباس أن يرجع ثانيا إلى عائشة ويذكر لها خروجها من بيت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ويخوفها من الخلاف على الله، والتبرج الذى نهاها الله عنه...

الخ.

دخل ابن‌عباس على عائشة وأدى رسالته وذكر فضل على وسابقته ولكنها لم ترتدع ولم تقتنع ورجع ابن‌عباس إلى الزبير ووجده وحده وجعل يلين له الكلام ويخوفه من عواقب أعماله، ويلومه على إسراعه فى الخلاف فجاء عبدالله بن الزبير، وكان شابا شرسا قليل الحياء متهورا، وقابل ابن‌عباس بكل صلافة وكانت المباحثات بلا جدوى ولا فائدة، واستعد الفريقان للحرب.

كان كعب بن سور سيد الأزد قد امتنع عن الخوض فى المعركة فجاء طلحة والزبير إلى عائشة وطلبا منها أن تتوجه بنفسها إلى كعب وتطلب منه المؤازرة والتعاون معها، فأرسلت عائشة إليه تطلب منه الحضور فلم يجبها كعب، فركبت بغلا ـ وأحاط بها نفر من أهل البصرة وسارت إلى كعب وسألته عن سبب امتناعه فقال: يا أماه لا حاجة لى فى خوض هذه الفتنة.

فاستعبرت عائشة باكية وطلبت منه أن ينصرها، فرق لها كعب وأجابها وعلق المصحف فى عنقه وخرج معها.

اشتركت العشائر والقبائل من المدينة إلى الكوفة إلى طى إلى أهل البصرة فى نصرة الإمام.

وكان خطباء الفريقين يخطبون فى قومهم ويحرضونهم على الحرب.

ساحة القتال: كانت ساحة القتال فى الخريبة، وهى اليوم بين الزبير والبصرة ويقال لها: (الخر) وهناك قبر طلحة.

اصطف الفريقان للقتال، وكتب كل منهما الكتائب وخرج على (عليه‌السلام) وعليه عمامة سوداء وقميص ورداء وهو راكب على بغلة رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) الشهباء.

وجاءت عائشة وهى فى هودج على بعير وعن يمينها وشمالها طلحة والزبير وعبدالله بن الزبير وخلفها الذين رافقوها من مكة وانضموا إليها فى البصرة.

كان النشاط فی أصحاب علی أكثر، وكانوا یریدون الهجوم علی العدو، لكن الإمام كان یمنعهم ویقول لهم: لا تعجلوا علی القوم حتی أعذر فیما بینی وبین الله وبینهم، فقام إلیهم وقال: یا أهل البصرة هل تجدون علی جورا فی حكم؟ قالوا: لا.

قال: فحیفا فی قسم؟ قالوا: لا.

قال فرغبة فی دنیا أصبتها لی ولأهل بیتی دونكم، فنقمتم علی فنكثتم بیعتی؟ قالوا: لا.

قال: فما بال بیعتی تنكث وبیعة غیری لا تنكث؟ إنی ضربت الأمر أنفه وعینه ولم أجد إلا الكفر أو السیف، ثم التفت إلی أصحابه وقال: إن الله تعالی یقول فی كتابه: (وإن نكثوا أیمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فی دینكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إیمان لهم لعلهم ینتهون). [۱۳۸].

ثم قال: والذی فلق الحبة وبرأ النسمة واصطفی محمدا بالنبوة إنهم لأصحاب هذه الآیة وما قوتلوا منذ نزلت هذه الآیة، تم التفت إلی ابن‌عباس وقال له: امض بهذا المصحف إلی طلحة والزبیر وعائشة وادعهم إلی ما فیه.

جاء ابن‌عباس فبدأ بالزبیر وقال له: إن أمیرالمؤمنین یقول ألم تبایعنی طائعا؟ فبم تستحل دمی؟ وهذا المصحف وما فیه بینی وبینك فإن شئت تحاكمنا إلیه؟ فقال الزبیر: ارجع إلی صاحبك، فإنا بایعنا كارهین وما لی حاجة فی محاكمته.

انصرف ابن‌عباس إلی طلحة، فوجد فیه الاستعداد للشر والحرب، فقال له ابن‌عباس: والله ما أنصفتم رسول‌الله إذ حبستم نساءكم وأخرجتم حبیسة رسول‌الله؟! ونادی طلحة: ناجزوا القوم، فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبی‌طالب.

رجع ابن‌عباس وأخبره بالنتیجة السلبیة وقال للإمام: ما تنتظر؟ والله لا یعطیك القوم إلا السیف، فأحمل علیهم قبل أن یحملوا علیك.

فقال أمیرالمؤمنین: نستظهر بالله علیهم، وهناك خرج أمیرالمؤمنین بین الصفین ونادی بأعلی صوته: أین الزبیر؟ فلیخرج ثم نادی ثانیا، وكان طلحة والزبیر واقفین أمام صفیهما، فخرج الزبیر، وخرج أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) إلیه، فصاح به أصحابه یا أمیرالمؤمنین: أتخرج إلی الزبیر الناكث بیعته وأنت حاسر؟ وهو علی فرس شاكی السلاح، مدجج فی الحدید وأنت بلا سلاح؟ فقال أمیرالمؤمنین: لیس علی منه بأس، إن علی منه جنة واقیة، لن یستطیع أحد فرارا من أجله، وإنی لا أموت، ولا أقتل إلا بید أشقاها، كما عقر ناقة الله أشقی ثمود.

فخرج إلیه الزبیر فقال (علیه‌السلام): أین طلحة؟ لیخرج.

فخرج طلحة.

وقربا منه (علیه‌السلام)، حتی اختلفت أعناق دابتهما، فقال أمیرالمؤمنین للزبیر: ما حملك علی ما صنعت؟ فقال الزبیر: الطلب بدم عثمان.

فقال أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام): أنت وأصحابك قتلتموه، فیجب علیك أن تقید من نفسك.

ولكن أنشدك الله الذی لا إله إلا هو، الذی أنزل الفرقان علی نبیه محمد (صلّی الله علیه وآله): أما تذكر یوما قال لك رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یا زبیر: أتحب علیا؟ فقلت: وما یمنعنی عن حبه وهو ابن خالی؟ فقال لك رسول‌الله: أما أنت فستخرج علیه یوما وأنت له ظالم؟ فقال له الزبیر: اللهم بلی قد كان ذلك.

فقال أمیرالمؤمنین: فأنشدك الله الذی أنزل الفرقان علی نبیه محمد (صلّی الله علیه وآله) أما تذكر یوما جاء رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) من عند ابن‌عوف، وأنت معه، وهو آخذ بیدك، فاستقبلته أنا فسلمت علیه فضحكت فی وجهی، فضحكت أنا إلیه، فقلت أنت: لایدع ابن أبی‌طالب زهوه أبدا.

فقال لك النبی (صلّی الله علیه وآله): مهلا یا زبیر، فلیس به زهو، ولتخرجن علیه یوما وأنت ظالم له؟! فقال الزبیر: اللهم بلی، ولكن نسیت، فأنا إذا ذكرتنی ذلك فلأنصرفن عنك ولو ذكرت هذا لما خرجت علیك.

ثم التفت إلیهما معا وقال: نشدتكما الله أتعلمان وأولوا العلم من أصحاب محمد وعائشة بنت أبی‌بكر: أن أصحاب الجمل، وأهل

النهروان ملعونون على لسان محمد (صلّى الله عليه وآله) وقد خاب من افترى؟ فقال الزبير: كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنة؟ فقال أميرالمؤمنين: لو علمت أنكم من أهل الجنة لما استحللت قتالكم.

فقال الزبير: أما سمعت رسول‌الله يقول يوم أحد: أوجب طلحة الجنة؟ ومن أراد أن ينظر إلى الشهيد يمشى على الأرض حيا فلينظر إلى طلحة؟ أوما سمعت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: عشرة من قريش فى الجنة؟ فقال أميرالمؤمنين: فسمهم.

فجعل الزبير يعد تسعة منهم، وفيهم أبوعبيدة بن الجراح، وسعيد بن عمرو بن نفيل.

فقال أميرالمؤمنين: عددت تسعة منهم فمن العاشر؟ فقال الزبير: أنت.

فقال أميرالمؤمنين: أما أنت فقد أقررت أنى من أهل الجنة، وأما ما ادعيت لنفسك وأصحابك فإنى به لمن الجاحدين، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لقد عهد النبى الأمى إلى أن بعض من سميت فى تابوت فى جب فى أسفل درك من جهنم، وفى نسخة: إن فى جهنم جبا، فيه ستة من الأولين وستة من الآخرين، على رأس ذلك الجب صخرة، إذا أراد الله تعالى أن يسعر جهنم على أهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت، وإن فى ذلك الجب من سميت، وإلا أظفرك الله بى وسفك دمى بيدك، وإلا فأظفرنى الله بك وبأصحابك.

فقال أميرالمؤمنين: دع هذا، أفلست بايعتنى طائعا؟ فقال الزبير: بلى.

فقال أميرالمؤمنين: أفوجدت منى حدثا يوجب مفارقتى؟ فسكت الزبير ثم قال: لا جرم والله لأقاتلنك! ثم التفت (عليه‌السلام) إلى طلحة وقال:

يا طلحة: معكما نساؤكما؟ فقال طلحة: لا.

فقال أميرالمؤمنين: عمدتما إلى امرأة موضعها فى كتاب الله القعود فى بيتها، فأبرزتماها! وصنتما حلائلكما فى الخيام والحجال؟ ما أنصفتما رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) قد أمر الله أن لا يكلمن إلا من وراء حجاب.

أخبرنى عن صلاة ابن‌الزبير بكما، أما يرضى أحدكما بصاحبه؟ أخبرنى عن دعائكما الأعراب إلى قتالى؟ ما يحملكما على ذلك؟

فقال طلحة: يا هذا، كنا فى الشورى ستة، مات منا واحد، وقتل آخر، فنحن اليوم أربعة، كلنا لك كاره.

فقال أميرالمؤمنين: ليس ذلك على، قد كنا فى الشورى والأمر فى يد غيرنا، وهو اليوم فى يدى أرأيت لو أردت بعد ما بايعت عثمان أن أرجُ هذا الأمر شورى أكان ذلك لى؟ فقال طلحة: لا.

فقال أميرالمؤمنين: ولم؟ فقال طلحة: لأنك بايعت عثمان طائعا.

فقال أميرالمؤمنين: وكيف ذلك؟ والأنصار معهم السيوف مخترطة، يقولون: لئن زغتم وبايعتم واحدا منكم، وإلا ضربنا أعناقكم أجمعين؟؟ فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئا من هذا وقت ما بايعتمانى؟ وحجتى فى الاستكراه فى البيعة أوضح من حجتك وقد بايعتنى أنت وأصحابك طائعين غير مكرهين، وكنتما أول من فعل ذلك ولم يقل أحد: لتبايعان أو لنقتلكما؟ ثم انصرف الرجلان إلى صفهما، فأراد الزبير الخروج من الحرب، والانصراف إلى البصرة، فقال له طلحة: ما لك يا زبير؟ ما لك تنصرف عنا؟ سحرك ابن أبى‌طالب؟ فقال الزبير: لا، ولكن ذكرنى ما كان أنسانيه الدهر، واحتج على ببيعتى له.

فقال طلحة: لا، ولكن جبنت وانتفخ سحرك!! فقال الزبير: لم أجبن، ولكن أذكرت فذكرت.

فقالت عائشة: ما ورائك يا أباعبدالله؟ فقال الزبير: والله ورائى؟ إنى ما وقفت موقفا فى شرك ولا إسلام إلا ولى فيه بصيرة وأنا اليوم على شك من أمرى، وما أكاد أبصر موضع قدمى.

فقالت عائشة: لا والله، بل خفت سيوف ابن أبى‌طالب، أما إنها طوال حداد، تحملها سواعد أمجاد، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك.

فقال عبدالله بن الزبير: جبنا جبنا!! فقال الزبير: يا بنى قد علم الناس إنى لست بجبان، ولكن ذكرنى على شيئا سمعته من رسول‌الله، فحلفت أن لا أقاتله.

فقال عبدالله بن الزبير: يا أبة أجئت بهذين العسكرين العظيمين حتى إذا اصطفا للحرب، قلت: أتركهما وأنصرف فما تقول قريش غدا بالمدينة؟ الله الله يا أبة: لا تشمت بنا الأعداء، ولا تشن نفسك بالهزيمة قبل القتال.

فقال الزبير: ما أصنع يا بنى وقد حلفت أن لا أقاتله؟ فقال عبدالله بن الزبير:

كفر عن يمينك، ولا تفسد أمرنا!! فقال الزبير: عبدى مكحول حر لوجه الله، كفارة ليمينى!! ثم عاد معهم للقتال.

فعند ذلك أخذ أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) المصحف بيده، وطلب من يقرأ عليهم هذه الآية: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله). [۱۳۹].

فقام غلام حدث السن وأخذ المصحف ووقف أمام الصفوف وقال هذا كتاب الله، وأميرالمؤمنين يدعوكم إلى ما فيه، فأمرت عائشة بإعدامه فقطعوا يديه ثم أحاطوا به وطعنوه بالرماح من جانب وكانت أمه واقفة تنظر فصاحت وطرحت نفسها على ولدها.

كان الإمام ينتظر وقت الظهر لنزول الملائكة وكان يقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وكفكم عنهم حجة أخرى فإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا، ولا تدخلوا دارا، ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعفاء القوى والأنفس و العقول...

الخ.

كانت السهام تترى على الإمام وأصحابه كالمطر!! فصاح الناس: حتى متى يا أميرالمؤمنين ندلى نحورنا للقوم يقتلون رجلا رجلا والله قد أعذرت أن كنت تريد الإعذار!!! هناك دعا الإمام ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية وهى راية سوداء كبيرة وهى راية رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقال (عليه‌السلام) له: يا بنى هذه الراية ما ردت قط ولا ترد قط!! ثم لبس الإمام درع رسول‌الله، وحزم بطنه بعصابة أسفل من سرته، ثم قال الإمام لولده محمد بن الحنفية: يا أباالقاسم قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزنى عدوى! وذلك أنى لم أبارز أحدا إلا حدثتنى نفسى بقتله، فحدث نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم! وأعطاه تعاليم حربية.

وزحف أصحاب الجمل نحو معسكر الإمام فصاح الإمام بابنه محمد: امض، فمضى.

وتبعه أصحابه واشتعل القتال.

وأقبل الإمام يهرول وبيده السيف يصعد وينزل فتطير الرؤوس وتطيح الأيدى ولا يتلطخ السيف بالدم لسرعة اليد وسبق السيف الدم!! وزحف الجيش خلفه.

وحمل عمار بن ياسر على الميسرة، ومالك الأشتر على الميمنة وحملوا حملة رجل واحد، ونادى الإمام: عليكم بالسيوف.

فجعلوا يضربون بالسيوف على الرؤوس ثم نادى المنادى: عليكم بالأقدام.

كان للفريقين أراجيز كثيرة جداً مذكورة فى محلها وقد ذكرنا شيئاً منها فى الجزء الأول من شرح نهج‌البلاغة.

وقتل طلحة فى ذلك اليوم ولم يعرف قاتله، قيل: إن مروان بن الحكم رماه بسهم فقتله يطلب بذلك ثأر عثمان وكان أهل البصرة كل من أراد منهم القتال أخذ بخطام الجمل وارتجز وقاتل حتى قتل.

فخرج كعب بن سور فأخذ بخطام الجمل وهو يرتجز ويقول:

يا معشر الأزد عليكم أمكم

فإنها صلاتكم وصومكم

والنعمة العظمى التى تعمكم

فأحضروها جدكم وحزمكم

لا يغلبن سم العدو سمكم

إن العدو إن علاكم رمكم

وخصكم بجوره وعمكم

لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقاتل حتى قتل.

فخرج رجل آخر فأخذ بخطام الجمل وقال: يا أم يا أم خلا منى الوطن لا أبتغى القبر ولا أبغى الكفن من هيهنا محشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم على فالغبن أو فاتنا ابناه حسين وحسن إذن أمت بطول هم وحزن.

وغير ذلك من الأراجيز المذكورة فى كتب التاريخ، واشتعلت النار، واستعر القتال، فاقتتلوا قتالا شديدا فصاح على (عليه‌السلام) ما أراه بقاتلكم غير هذا الهودج، إعقروا الجمل أو عرقبوه، فإنه شيطان، أو: اعقروه وإلا فنيت العرب لا يزال السيف قائما وراكعا حتى يهوى هذا البعير إلى الأرض.

فضرب عجز الجمل فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض وعج عجيجا لم يسمع بأشد منه فما هو إلا أن صرع حتى فرت الرجال كما يطير الجراد فى الريح الشديدة الهبوب، وسقط الهودج، فصاح الإمام إقطعوا البطان.

فقطع محمد بن الحنفية البطان وأخرج الهودج فقالت عائشة من أنت؟ فقال محمد: أبغض أهلك إليك.

فقالت عائشة: ابن‌الخثعمية؟ فقال محمد: نعم، ولم تكن دون أمهاتك! فقالت عائشة: لعمرى بل هى شريفة، دع عنك هذا، الحمد لله الذى سلمك.

فقال محمد: قد كان ذلك ما تكرهين.

فقالت عائشة: يا أخى لو كرهته ما قلت ما قلت فقال محمد: كنت تحبين الظفر وأنى قتلت؟ فقالت عائشة: قد كنت أحب ذلك ولكنه لما صرنا إلى ما صرنا إليه أحببت سلامتك لقرابتى منك فاكفف، ولا تعقب الأمور، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة، فإن أباك لم يكن لومة ولا عذلة.

وجاء على فقرع الهودج برمحه وقال: يا شقيراء بهذا أوصاك رسول‌الله؟ فقلت عائشة: يا ابن أبى‌طالب ملكت فاصفح وظفرت فاسجح.

فقال أميرالمؤمنين والله ما أدرى متى أشتفى غيظى؟ أحين أقدر على الانتقام فيقال لى: لو عفوت أم حين أعجز من الانتقام فيقال لى: لو صبرت!! بلى أصبر فإن لكل شىء زكاة، وزكاة القدرة والمكنة: العفو والصفح.

ثم التفت (عليه‌السلام) إلى محمد بن أبى‌بكر وقال: شأنك بأختك فلا يدنو منها أحد سواك.

فأمر (عليه‌السلام) فاحتملت عائشة بهودجها إلى دار عبدالله بن خلف فى البصرة، وأمر بالجمل أن يحرق ثم يذرى فى الريح وقال (عليه‌السلام) إشارة إلى الجمل: لعنه الله من دابة، فما أشبهه بعجل بنى إسرائيل ثم تلى: (وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا). [۱۴۰].

ركبت عائشة وهى تقول: فخرتم وغلبتم، وكان أمر الله قدرا مقدورا، ونادى أميرالمؤمنين: يا محمد بن أبى‌بكر سلها هل وصل إليها شىء من الرماح و السهام؟ فسألها فقالت: نعم وصل إلى سهم، خدش رأسى وسلمت من غيره، الله بينى وبينكم.

فقال محمد: والله ليحكمن عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أميرالمؤمنين حين تخرجين عليه؟ وتؤلبين الناس على قتاله؟ وتنبذين كتاب الله وراء ظهرك؟ فقالت عائشة: دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسنى.

فأمر الإمام أن يحملها أخوها إلى دار ابن‌خلف فى البصرة، فحملها وهى لا تفتر عن سب الإمام وسب أخيها محمد بن أبى‌بكر والترحم على أصحاب الجمل.

ومر الإمام على القتلى وجعل يخاطبهم ويعاتبهم، وخاطب كعبا وطلحة بعد قتلهما فقيل له: أتكلم هؤلاء بعد القتل؟ فقال: والله لقد سمعا كلامى كما سمع أهل القليب كلام رسول‌الله يوم بدر.

ثم نادی منادی الإمام: من أحب أن یواری قتیله فلیواره.

وأمر أصحابه وقال لهم: قتلانا فی ثیابهم التی قتلوا فیها فإنهم یحشرون علی الشهادة وإنی لشاهد لهم بالوفاء.

فجاء ابن‌عباس یطلب الأمان لمروان بن الحکم فأمره الإمام بإحضار مروان فلما حضر قال له الإمام أتبایع؟ فقال مروان: نعم وفی النفس ما فیها!! فقال الإمام: الله أعلم بما فی القلوب.

فلما بسط یده لیبایعه أخذ کفه من کف مروان وجذبها، وقال: لا حاجة لی فیها، إنها کف یهودیة، لو بایعنی بیده عشرین مرة لنکث بإسته، ثم قال: هیه یا بن الحکم: خفت علی رأسک أن تقع فی هذه المعمعة؟ کلا والله حتی یخرج من صلبک فلان وفلان یسومون هذه الأمة خسفا ویسقونهم کأسا مصبرة.

أما الزبیر فإنه خرج من المعرکة ووصل إلی منطقة فی ضواحی البصرة یقال لها (وادی السباع) فقتله عمر بن جرموز وأخذ رأسه وسیفه وخاتمه وجاء بها إلی معسکر الإمام واستأذن ودخل وإذا به یری القائد الأعلی للمسلمین جالسا وبین یدیه ترس علیه أقراص من الطعام الشعیر، فسلم علیه، وهنأه بالفتح عن الأحنف، لأن الحرب کانت قد وضعت أوزارها حینئذ، وقال: أنا رسول الأحنف، وقد قتلت الزبیر، وهذا رأسه وسیفه، فألقاهما بین یدیه، فقال (علیه‌السلام) کیف قتلته؟ وما کان من أمره؟ فحدثنا کیف کان صنعک به؟ فقص علیه ما جری فقال: ناولنی سیفه.

فناوله سیفه، فاستلّه وهزه.

وقال: سیف أعرفه، سیف طالما جلی الکرب عن وجه رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله).

ثم التفت علی (علیه‌السلام) إلی ابن‌جرموز قائلاً: والله ما کان ابن‌صفیة جبانا ولا لئیما، ولکن الحین ومصارع السوء.

ثم تفرس فی وجه الزبیر وقال: لقد کان لک برسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) صحبة ومنه قرابة، ولکن دخل الشیطان منخرک فأوردک هذا المورد.

فقال ابن‌جرموز: الجائزة یا أمیرالمؤمنین.

فقال (علیه‌السلام): أما إنی سمعت رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یقول: بشر قاتل ابن‌صفیة بالنار.

وقبض أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) ما وجد فی عسکر الجمل من سلاح ودابة ومملوک ومتاع فقسمه بین أصحابه، فقال بعض أصحابه: أقسم بیننا أهل البصرة، فاجعلهم رقیقا.

فقال: لا.

فقالوا: کیف تحل لنا دماؤهم وتحرم علینا سبیهم؟ فقال: کیف یحل لکم ذریة ضعیفة فی دار هجرة وإسلام؟ وأما ما جلب به القوم فی معسکرهم علیکم فهو لکم مغنم، وأما ما وارت الدور وأغلقت علیه الأبواب فهو لأهله، ولا نصیب لکم فی شیء منه.

فلما أکثروا علیه قال: فأقرعوا علی عائشة لأدفعها إلی من تصیبه القرعة!! فقالوا: نستغفر الله یا أمیرالمؤمنین ثم انصرفوا.

فلما دخل (علیه‌السلام) بیت المال فی نفر من المهاجرین والأنصار، ونظر إلی کثرة ما فیه قال: غری غیری: مرارا، ثم نظر إلی المال، وصعد وصوب بصره، وقال: أقسموه بین أصحابی خمسمائة خمسمائة، فقسم بینهم، فلا والذی بعث محمدا بالحق ما نقص درهما ولا زاد درهما، کأنه کان یعرف مبلغه ومقداره، وکان مقدار المال ستة ملایین، وعدد أصحابه اثنی عشر ألف رجل.

وأخذ هو خمسمائة درهم کواحد منهم، فجاءه رجل لم یحضر الواقعة فقال: یا أمیرالمؤمنین: کنت شاهدا بقلبی، وإن غاب عنک جسمی فأعطنی من الفیء شیئا، فدفع إلیه الذی أخذه لنفسه، ولم یصب من الفیء شیئا.

وفی روایة أخری: جاء رجل فقال: إن اسمی سقط من کتابک فقال (علیه‌السلام): ردوها علیه، ثم قال: الحمد لله الذی لم یصل إلی من هذا المال شیء.

ولما فرغ من تقسیم بیت المال قام خطیبا فی أصحابه، فحمد الله وأثنی علیه وقال: أیها الناس إنی أحمد الله علی نعمة، قتل طلحة

والزبير وأيم الله لو كانت عائشة طلبت حقا، وهانت باطلا لكان لها فى بيتها مأوى، وما فرض الله عليها الجهاد، وأن أول خطأها فى نفسها، وما كانت والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة، وما ازداد عدوكم إلا حقدا وما زادهم الشيطان إلا طغيانا ولقد جاءوا مبطلين وأدبروا ظالمين إن إخوانكم المؤمنين جاهدوا فى سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله، وإننا لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل ويجمعنا الله وإياهم يوم الفصل واستغفر الله لى ولكم.

أرسل أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) ابن‌عباس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل، وقلة العرجة الإقامة فجاءها ابن‌عباس وهى فى قصر بنى خلف فى جانب البصرة، فطلب الإذن عليها فلم تأذن له، فجاء ابن‌عباس ودخل عليها بغير إذنها فإذا بيت قفار لم يعد له فيه مجلس، فإذا هى من وراء سترين، نظر ابن‌عباس إلى ما فى الحجرة، فوقع بصره على طنفسة على رحل، فمد الطنفسة وجلس عليها، فقالت عائشة من وراء الستر يا بن عباس أخطأت السنة: دخلت بيتنا بغير إذننا، وجلست على متاعنا بغير إذننا.

فقال ابن‌عباس: نحن أولى بالسنة منك، ونحن علمناك السنة وإنما بيتك الذى خلفك فيه رسول‌الله فخرجت منه ظالمة لنفسك، غاشة لدينك، عاتية على ربك، عاصية لرسول‌الله، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلا بإذنك، ولم نجلس على متاعك إلا بأمرك، إن أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب بعث يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلة العرجة.

فقالت عائشة: رحم الله أميرالمؤمنين ذاك عمر بن الخطاب.

فقال ابن‌عباس: هذا والله أميرالمؤمنين، وإن تربدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس، أما والله لهو أميرالمؤمنين، وأمس برسول‌الله رحما، وأقرب قرابة، وأقدم سبقا وأكثر علما، وأعلى منارا، وأكثر آثارا من أبيك ومن عمر.

فقالت عائشة: أبيت ذلك.

فقال ابن‌عباس: أما والله إن كان إباؤك عدم قبولك فيه لقصير المدة، عظيم التبعة، ظاهر الشؤم، بين النكر، وما كان إباؤك فيه إلا حلب شاة حتى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا تعرفين ولا تضعين، وما كان مثلك إلا كمثل ابن‌الحضرمى ابن‌يحمان أخى بنى أسد حيث يقول:

ما ذاك إهداء القصائد بيننا

شتم الصديق وكثرة الألقاب

حتى تركتهم كأن قلوبهم

فى كل مجمعة طنين ذباب

سمعت عائشة فأراقت دمعتها، وبدا عويلها ثم قالت: أخرج والله عنكم، فما فى الأرض بلد أبغض إلى من بلد تكونون فيه.

فقال ابن‌عباس: فلم؟ والله ماذا بلاؤنا عندك، ولا يضعنا إليك، إنا جعلناك للمؤمنين أماً، وأنت بنت أم رومان، وجعلنا أباك صديقا وهو ابن أبى‌قحافة: حامل قصاع الودك لابن جذعان إلى أضيافه.

فقالت عائشة: يا بن عباس تمنّون على برسول‌الله؟!

فقال ابن‌عباس: ولم لا نمن عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننتنا به؟

ونحن لحمه ودمه ومنه، وما أنت إلا حشية من حشايا تسع، خلفهن بعده، لست بأبيضهن لونا ولا بأحسنهن وجها ولا بأرشحهن عرقا، ولا بأنضرهن ورقاً، ولا بأضهرهن أصلا، صرت تأمرين فتطاعين وتدعين فتجابين وما مثلك إلا كما قال أخو بنى فهر:

مننت على قومى فابدوا عداوة

فقلت لهم: كفوا العداوة والشكرا

ففيه رضا من مثلكم لصديقكم

وأحجى بكم أن تجمعوا البغى والكفرا

ثم نهض ابن‌عباس وأتی أمیرالمؤمنین فأخبره بمقالتها، وما رد علیها فقال أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام): أما لو کنت أعلم بک حیث بعثتک.

استمرت الحرب من الزوال إلی الغروب، وقیل استمرت ثلاثة أیام.

وعلی کل فقد بلغ عدد القتلی خمسة وعشرین ألف قتیل.

ستة آلاف من أصحاب الإمام والباقون من أصحاب الجمل، وأما الأیدی والأرجل التی قطعت فقد بلغ عددها أربعة عشر ألفا.

هکذا تروت الأرض بالدماء، وهکذا زهقت الأرواح ولا تسأل عن الجرحی ولا تسأل عن أرامل القتلی ویتاماهم.

هذا والکلام طویل وفی هذا المقدار کفایة.

علی فی صفین

بسم الله الرحمن الرحیم

حدیثنا اللیلة حول الحرب الثانیة التی وقعت فی أیام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وهی واقعة صفین، تلک المجزرة الرهیبة، التی تقشعر الجلود من استماع الحوادث، والفجائع التی وقعت فی تلک المعرکة، وضیاع الحق وغلبة الباطل عن طریق الخدعة والغدر والمکر والتزویر، وتتجلی صحیفة أمیرالمؤمنین نقیة بیضاء متلألئة، وتتمثل فیها العدالة والتقوی والورع، نذکرها فی صورة موجزة: لما انتهت غزوة الجمل فی البصرة ووضعت الحرب أوزارها، ورجع الإمام (علیه‌السلام) إلی الکوفة مظفرا منصورا، بعث کتابا إلی معاویة یأمره بأخذ البیعة له (علیه‌السلام)، وبعث الکتاب بید رجل إلی الشام، وجمع معاویة بعض مشاهیر الشام وأمرهم بإشاعة هذا الخبر وإذاعته فیما بین الناس: (أن علیا قتل عثمان، ومعاویة ولی دم عثمان، فیجب الطلب بثأر عثمان ودمه) ۹ وأعانه علی هذه الفکرة عمرو بن العاص واشترط علی معاویة أنه إذا بایعه وأعانه علی حرب الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وأخرجوا مصر من تحت سلطة أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) یکون عمرو بن العاص والیاً وأمیراً علی مصر، فبایعه علی ذلک وبایع أهل الشام معاویة أیضا.

فنهض معاویة بجیشه الجرار وأقبل إلی (صفین)، وهو اسم أرض کبیرة واسعة، مستعداً للقتال ونهض الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) بعسکره إلی ذلک المکان وبعد أیام من وصوله استعرت نار الحرب فیما بین الفریقین وجرت أنهار من الدماء، وتکونت أتلال وجبال من الأجساد المضرجة من القتلی من الفریقین.

فقد وصل أبوالأعور السلمی وهو علی مقدمة جیش معاویة إلی منطقة صفین، الکائنة بالقرب من مدینة الرقة فی سوریا، ونزلا منزلا اختاروه واسعا واستولوا علی شریعة الفرات.

فوصل مالک الأشتر ومعه أربعة آلاف رجل وهم مقدمة الجیش العلوی، فاصطدموا بأبی الأعور وأزالوهم عن الفرات، فوصل معاویة مع الجیش الجرار، فانسحب الأشتر عن الفرات، فاستولی معاویة وأصحابه علی شاطئ الفرات وصار الماء لدیهم فوصل الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) ومعه مائة ألف إنسان ویزیدون، فأمر الإمام الجیش أن ینزلوا ویضعوا أثقالهم وأحمالهم، وتسرع بعضهم إلی ناحیة معاویة واقتتلوا قتالا قلیلا.

وتقدم طائفة من الناس إلی الفرات لیستقوا فمنعهم أهل الشام فأرسل الإمام (علیه‌السلام) صعصعة بن صوحان إلی معاویة رسولا یعاتبه علی تسرعه بالاستیلاء علی الماء وجری هنا کلام طویل.

کان عمرو بن العاص ینصح معاویة ویأمره أن یفسح المجال لأصحاب علی لیشربوا، ولکن غرور معاویة منعه عن قبول النصیحة، وخاصة بعد أن استولی أصحابه استیلاء تاما علی الفرات، حتی قال معاویة: یا أهل الشام هذا أول الظفر، لا سقانی الله ولا أباسفیان إن شربوا منه حتی یقتلوا بأجمعهم.

وتباشر أهل الشام من هذه البشری السارة وهی التغلب علی العدو عن طریق حبس الماء، فقام رجل من أهل الشام همدانی متعبد وقال:

یا معاویة سبحان الله سبقتم القوم إلی الفرات وتمنعونهم الماء؟ أما الله لو سبقوکم إلیه لسقوکم منه، ألیس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات؟ أما تعلمون أن فیهم العبد والأمة والأجیر والضعیف ومن لا ذنب له؟؟ هذا والله أول الجور.

فأغلظ له معاویة فی الکلام وقال لعمرو: اکفنی صدیقک، فأتاه عمرو وقابله بالکلام الخشن، فسار الهمذانی فی سواد اللیل حتی لحق بعلی (علیه‌السلام).

ومکث أصحاب علی (علیه‌السلام) یوما ولیلة بغیر ماء، واغتم الإمام (علیه‌السلام) من عطش أصحابه، لأنهم باتوا فی البر عطاشا، قد حیل بینهم وبین الورود إلی الماء، فقال عمرو بن العاص لمعاویة: إن علیا لا یموت عطشا، هو وتسعون من أهل العراق وسیوفهم علی عواتقهم، ولکن دعهم یشربون وتشرب.

فقال معاویة: لا والله أو یموتون عطشا کما مات عثمان.

وخرج الإمام فی تلک اللیلة یدور فی عسکره فسمع قائلا یقول:

أیمنعنا القوم ماء الفرات؟

وفینا علی وفینا الهدی

وفینا الصلاة وفینا الصیام

وفینا المناجون تحت الدجی

ثم مر بآخر فسمعه یقول:

أیمنعنا القوم ماء الفرات؟

وفینا الرماح وفینا الحجف

وفینا علی له صولة..

إذا خوفوه الردی لم یخف

ونحن غداة لقینا الزبیر

وطلحة خضنا غمار التلف

فما بالنا أمس أسد العرین

وما بالنا الیوم شاء عجف

وألقی علی الأشعث رقعة فیها شعر، فلما قرأها هاجت فیه الحمیة، ودخل علی الإمام.

فقال: یا أمیرالمؤمنین أیمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فینا والسیوف فی أیدینا؟ خل عنا وعن القوم، فوالله لا نرجع حتی نرده أو نموت.

فقال الإمام: ذلک إلیکم.

فرجع الأشعث فنادی فی الناس: من یرید الماء أو الموت فمیعاده موضع کذا، فإنی ناهض.

فخرج اثنا عشر ألف رجل من قبیلة کندة وغیرهم، واضعی سیوفهم علی عواتقهم، وأقبل الأشتر بخیله فحملوا علی الفرات حملة رجل واحد وأخذت السیوف أهل الشام، فولوا مدبرین حتی غمست خیل أمیرالمؤمنین سنابکها فی الفرات واستولوا علی الماء، وأزالوا أباالأعور عن الشریعة وغرقوا منهم بشرا وخیلا، وارتحل معاویة عن ذلک الموضع، ولما صار الماء بأیدهم قالوا: لا والله لا نسقیهم، فأرسل إلیهم أمیرالمؤمنین: أن خذوا حاجتکم من الماء وارجعوا إلی معسکرکم، وخلوا بینکم وبین الماء فإن الله قد نصرکم علیهم بظلمهم وبغیهم، وقالوا له: أمنعهم الماء کما منعوک، فقال: لا، خلوا بینهم وبینه، لا أفعل ما فعله الجاهلون، واستأذنه معاویة فی وروده المشرعة فأباح الإمام له ذلک.

کان الإمام (علیه‌السلام) یحاول المحافظة علی السلم والسلام والأمان کما فعل یوم الجمل فلم یزل یرسل الأفراد إلی معاویة للتفاهم

وحسم النزاع وكان معاوية مصرا على الحرب والقتال.

وأخيرا اشتعلت نار الحرب واصطدم العسكران، فزحف بعضهم على بعض، وتراموا بالنبال والحجارة حتى فنيت، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت ومشى بعضهم إلى بعض السيوف وعمد الحديد، فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض، وانكسفت الشمس وأمطرت السماء دما، وحملت الأفواج على الأفواج.

وحيث أن الحرب كانت قد طالت على الفريقين أراد كل جانب إنهاء الأمر وسئموا البقاء هناك، ولهذا تبادروا إلى القتال واستمرت الحرب ستة وثلاثين ساعة، واقترب الجيش العلوى من مقر قيادة الجيش الأموى وطلب معاوية فرسا لينهزم، وكان أهل الشام ينادون: يا معشر العرب: الله الله فى الحرمات من النساء والبنات، الله الله فى البقية، لقد فنيت العرب ... الخ.

اقترب الجيش العلوى من الفتح، ولاح لهم الظفر والنصر وتوجه الخطر إلى معاوية ولم يستطع المقاومة إلا عن طريق الخدعة والمكر، فأمر معاوية أصحابه فى جوف الليل أن يربطوا المصاحف على رؤوس الرماح، وأصبح الصباح وإذا بأهل العراق يشاهدون خمسمائة مصحف على رؤوس الرماح وأهل الشام ينادون بما تقدم من كلامهم، ويستعطفون أهل العراق ويطلبون منهم ترك الحرب، وكان آخر كلامهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال الإمام: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون.

ومن هنا اختلف أصحاب على، فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب، ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب.

فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها، وكان عدى بن حاتم يرى أن الفتح والنصر قد اقترب، ويطلب من الإمام إدامة الحرب، وقام عمرو بن الحمق وطلب من الإمام أم يعمل بما يرى، فقام الأشعث بن قيس وقابل هؤلاء بالكلام الخشن وطلب كف القتال.

فقال الأمام: إنى أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبىمعيط وابن أبىسرح وابنمسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وإنى أعرف بهم منكم، صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال!!

ويحكم! إنها كلمة حق يراد بها الباطل، إنهم ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

استمرت الحرب من يوم شروعها إلى صبيحة ليلة الهرير مائة وعشرة أيام وبلغ عدد القتلى من أهل الشام تسعين ألفا ومن أهل العراق عشرين ألفا والمجموع مائة وعشرة آلاف كما ذكره المسعودى.

فجاء الإمام من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقنعين فى الحديد حاملى سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من كثرة السجود، وهم الذين صاروا بعد ذلك خوارج، فنادوا الإمام باسمه لا بإمرة المؤمنين وقالوا: يا على أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، وإلا قتلناك كما قتلنا ابنعفان، فو الله لنفعلها إن لم تجبهم.

فقال الإمام (عليه‌السلام): ويحكم!! أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب...

ولكنى قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

كان مالك الأشتر فى تلك الساعة يقاتل ويتقدم لحظة بعد لحظة، وجيش معاوية كان ينسحب وينقرض ساعة بعد ساعة ولو أمهلوا الأشتر ساعة واحدة لانتهت الحرب.

فصاح هؤلاء: يا أميرالمؤمنين ابعث إلى الأشتر ليأتيك.

فبعث الإمام رجلا إلى الأشتر: أن ائتنى.

فقال الأشتر: ليس هذه بالساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى عن موقفى، إنى قد رجوت الفتح فلا تعجلنى.

رجع الرسول فأخبر الإمام، وحمل الأشتر على أهل الشام وظهرت علامات الفتح، ولكن القوم قالوا: يا أميرالمؤمنين ما نراك إلا أمرته

بالقتال.

فقال الإمام: أرأيتموني شاورت رسولي إليه؟ أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون؟ فقالوا: ابعث إليه، وإلا فوالله اعتزلناك!! فذهب الرسول إلى الأشتر وأخبره عن اختلاف القوم، وما كان الأشتر يحب مغادرة جبهة القتال في تلك الساعة الحرجة فقال له الرسول: أتحب أنك ظفرت ههنا، وأن أميرالمؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه؟؟، فقال الأشتر: سبحان الله!! لا- والله، لا- أحب ذلك فقال الرسول: فإنهم قد حلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتيك أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمك إلى عدوك!! أقبل الأشتر مغضبا وصاح بالقوم: يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها...

فلا تجيبوهم، أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا نمهلك.

جرى كلام طويل وعتاب بين الأشتر والقوم وآل الأمر إلى السب والشتم والصياح، فصاح بهم الإمام، فكفوا، فصاح القوم: أم أميرالمؤمنين قد رضي المحاكمة بحكم القرآن.

كان الإمام ساكتا لا يتكلم، والقوم يتكلمون، ولما سكتوا قال الإمام: أيها الناس إن أمرى لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب...

إلا- إني أمس أميرالمؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت منهيا، وقد أحببتم البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون.

اضطرب أقوال الرجال وقام الرؤساء وتكلموا بما تكلموا من الموافقة على رأى الإمام ورفض المحاكمة، ولكن المهرجين نشروا هذه الكلمة: إن أميرالمؤمنين رضى التحكيم.

ودخل الأشعث بن قيس رأس الفساد واستأذن من الإمام ليكون رسولا إلى معاوية فأذن له الإمام، فجاء الأشعث ودخل على معاوية وقال: لأى شيء رفعتم هذه المصاحف؟ فقال معاوية: لنرجع إلى ما أمر الله به فيها، فابعثوا رجلا منكم ترضون به، ونبعث رجلا منا، ونأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله، ولا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقنا عليه.

فرجع الأشعث.

فأقبل جماعة من أصحاب الإمام وجماعة من أصحاب معاوية واجتمعوا بين الصفين وتذاكروا حول انتخاب (الحكم) فانتخب أهل الشام عمرو بن العاص، وانتخب الأشعث ونظراؤه أباموسى الأشعرى فرفض الإمام أباموسى ولم يرض به، وقال الأشعث وجماعة: لا نرضى إلا به، فلم يوافق الإمام وانتخب ابن‌عباس ليكون (حكما) فلم يرض الأشعث بابن عباس لأنه من أقارب الإمام فاختار الأشتر فلم يرضوا به.

جادل الأشعث بكل وقاحة وصلافة، ورد على الإمام جميع مقترحاته وبقى مصرا على الأشعرى، فقال الإمام: فاصنعوا ما شئتم! وكان يصفق بيديه ويقول: يا عجبا! أعصى ويطاع معاوية؟!

أرسلوا إلى أبى‌موسى وكان فى الشام فجاء إلى معسكر الإمام، فجاء الأشتر ورشح نفسه ليكون هو الحكم، وجاء الأحنف بن قيس وحذر الإمام من الأشعرى وعجزه وضعف نفسه ورشح نفسه للحكم فوافق الإمام على ذلك، ولكن الناس رفضوا وقالوا: لا يكون إلا أباموسى.

وكتبوا كتاب الموادعة وهذه صورته: هذا ما تقاضى عليه على أميرالمؤمنين معاوية بن أبى‌سفيان...

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أميرالمؤمنين ثم قاتلته!! أعيد الكتاب إلى الإمام وأخبروه فأمر الإمام بمحو كلمة (أميرالمؤمنين) فنهاه الأحنف عن ذلك، فقال الأشعث: أمح هذا الاسم !! ... فقال الإمام: إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب

الکتاب عن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): هذا ما صالح علیه محمد رسول‌الله وسهیل بن عمرو...

فقال سهیل: لو أعلم أنک رسول‌الله لم أقاتلک ولم أخالفک، إنی إذن لظالم لک...

ولکن أکتب: محمد بن عبدالله.

فقال رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله): یا علی إنی لرسول‌الله وأنا محمد بن عبدالله، ولن یمحو عنی الرسالة کتابی لهم.

إن ذلک الکتاب أنا کتبته بیننا وبین المشرکین، والیوم أکتبه إلی أبنائهم کما کان رسول‌الله کتبه إلی آبائهم شبها ومثلا.

فقال عمرو بن العاص: سبحان الله! أتشبهنا بالکفار ونحن مسلمون؟ فقال الإمام: یا بن النابغة ومتی لم تکن للکافرین ولیا وللمسلمین عدوا؟ ولما أرادوا تنظیم الکتاب سألوا الإمام: أتقر أنهم مسلمون مؤمنون؟ فقال الإمام: ما أقر لمعاویة ولا لأصحابه أنهم مؤمنون ولا مسلمون ولکن یکتب معاویة ما شاء ویقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ویسمی نفسه بما شاء وأصحابه.

فکتبوا الکتاب، وکان فی أعلی الکتاب خاتم أمیرالمؤمنین وفی أسفله خاتم معاویة وشهد الشهود علیها وخرج الأشعث بالکتاب وقرأه علی أهل العراق فهاج الناس وظهرت الفتنة والانقسام والتفرقة وتکونت الخوارج وصاحوا: لا حکم إلا لله.

فأین قتلانا یا أشعث؟ وحمل بعضهم علی الأشعث لیقتله.

وأقبل الناس إلی الإمام مستنکرین للحکومة وطلبوا من الإمام نقض العهد والرجوع إلی الحرب فقال الإمام: ویحکم! أبعد الرضا والمیثاق والعهد نرجع؟ ألیس الله تعالی قد قال: أوفوا بالعقود؟ وقال: (أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإیمان بعد توکیدها، وقد جعلتم الله علیکم کفیلاً). [۱۴۱].

فبرأ الخوارج من الإمام وبرأ منهم، وأقبل الجیش یستأذنون الإمام بالهجوم علی معاویة فقال الإمام (علیه‌السلام): لو کان هذا قبل المعاهدة وسطر الصحیفة لأزلتهم عن عسکرهم.

توجه الأشعری للاجتماع بابن العاص للمحاکمة، فحذره الناس عن ابن‌العاص وغدره ومکیدته وسوء سوابقه حتی یتخذ التدابیر اللازمة ویکون علی بصیرة من أمره، ولکن کان کل هذا بلا جدوی بلی کانت النتیجة معکوسة.

اجتمع الحکمان فی المکان المعد لهما فقال عمرو: تکلم یا أباموسی فقال الأشعری: بل أنت تکلم.

فقال عمرو: ما کنت لأفعل وأقدم نفسی قبلک، ولک حقوق کلها واجبة...

فتکلم أبوموسی فقال عمرو: إن للکلام أولاً وآخراً ومتی تنازعنا الکلام لم نبلغ آخره حتی ننسی أوله، فاجعل ما کان من کلام بیننا فی کتاب یصیر إلیه أمرنا؟ فقال أبوموسی: اکتب، دعی عمرو بصحیفة وکاتب.

وبعد سؤال وجواب وخداع وتزویر قال الأشعری: قد علمت أن أهل العراق لا یحبون معاویة أبدا، وأن أهل الشام لا یحبون علیا أبدا، فهلم نخلعهما ونستخلف عبدالله بن عمر بن الخطاب.

فقال عمرو: أیفعل ابن‌عمر؟ قال: نعم، إذا حمله الناس علی فعل ذلک فعل.

فقال عمرو: فهل لک فی سعد بن أبی‌وقاص؟ قال: لا.

فذکر ابن‌العاص جماعة والأشعری لا یرضی بهم.

فقال عمرو: قم واخطب.

فقال الأشعری: قم أنت واخطب فامتنع ابن‌العاص وقام الأشعری وخرج من الخیمة وقد اجتمع أربعمائة رجل من أصحاب الإمام ومثلهم من أصحاب معاویة.

فقام الأشعری وخطب خطبة وقال: أیها الناس إنا نظرنا فی أمرنا فرأینا أقرب ما یحضرنا من الأمن والصلاح ولم الشعث وحقن الدماء وجمع الألفة خلعنا علیا ومعاویة، وقد خلعت علیا کما خلعت عمامتی هذه، وخلع عمامته...

وقام عمرو وقال: أیها الناس إن أباموسی عبدالله بن قیس قد خلع علیا وأخرجه من هذا الأمر الذی یطلب، وهو أعلم به، ألا وأنی

خلعت علیا وأثبت معاویة علی وعلیکم...

فقال الأشعری کذب عمرو ولم نستخلف معاویة ولکنا خلعنا معاویة وعلیا! فقال عمرو بل کذب عبدالله بن قیس قد خلع علیا ولم أخلع معاویة.

فقال الأشعری: ما لک؟ لا وفقک الله غدرت وفجرت، إنما مثلک کمثل الکلب إن تحمل علیه یلهث أو تترکه یلهث.

فقال عمرو: بل إیاک یلعن الله، کذبت وغدرت إنما مثلک کمثل الحمار یحمل أسفارا.

فضرب عمرو أباموسی فسقط وضرب شریح عمراً بالسوط، فرکب الأشعری راحلته وتوجه إلی مکة وحلف أن لا ینظر فی وجه علی.

علی والخوارج

بسم الله الرحمن الرحیم

لما تقرر التحکیم غادر الإمام (علیه‌السلام) صفین وقصد نحو الکوفة، وبقی فی الکوفة، فوقع تحکیم الحکمین، وأنتج ذلک التحکیم خلع الإمام (علیه‌السلام) عن الإمامة وتثبیت معاویة، ومن هنا تکون مذهب الخوارج وکان الإمام (علیه‌السلام) ینتظر انقضاء السنة...

وهی مدة الهدنة التی بینه وبین معاویة لیرجع إلی المقاتلة والحرب، وإذا بأربعة آلاف فارس من أصحابه العباد والنساک قد تکتلوا کتلة واحدة ضد الإمام فخرجوا من الکوفة لإعلان المخالفة، وقالوا: لا حکم إلا لله، ولا طاعة لمن عصی الله!! وانضمت إلیهم جماعة أخری وهم ثمانیة آلاف ممن یری رأیهم فصاروا اثنی عشر ألفا، من أهل الکوفة والبصرة وغیرها وساروا إلی أن نزلوا الحروراء، ونادی مناديهم: إن أمیر القتال شبث بن ربعی، وأمیر الصلاة عبدالله بن الکوا، والأمر شوری بعد الفتح، والبیعة لله علی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر.

فدخل زرعة الطائی وحرقوص بن زهیر ذو الثدیة فقالا: لا حکم إلا لله.

فقال علی (علیه‌السلام): کلمة حق یراد بها الباطل.

قال ذو الثدیة: فتب من خطیئتک، وارجع عن قصتک، واخرج بنا إلی عدونا نقاتلهم حتی نلقی ربنا.

فقال (علیه‌السلام): قد أردتکم علی ذلک فعصیتمونی، وقد کتبنا بیننا وبین القوم کتابا وشروطا، وأعطینا علیها عهودا ومواثیق، وقد قال الله تعالی: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم). [۱۴۲].

قال ذو الثدیة: ذلک ذنب ینبغی أن تتوب عنه.

فقال (علیه‌السلام): ما هو بذنب ولکنه عجز من الرأی وضعف فی العقل، وقد تقدمت فنهیتکم عنه.

فقال ابن‌الکوا: الآن صح عندنا أنک لست بإمام، ولو کنت إماما لما رجعت.

فقال (علیه‌السلام) ویلکم قد رجع رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) عام الحدیبیة عن قتال أهل مکة.

وقال زرعة: أما والله لئن لم تتب من تحکیمک الرجال لأقتلنک أطلب بذلک وجه الله ورضوانه! فقال (علیه‌السلام): بؤساً لک! ما أشقاک! کأنی بک قتیلا، تسفی علیه الریاح، قال زرعة: وددت أنه کان ذلک.

بعث الإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) صعصعة بن صوحان مع زیاد بن نضر وعبدالله بن العباس إلی القوم فلم یرتدعوا، فدعی الإمام صعصعة وقال له: بأی القوم رأیتم أشد طاعة؟ فقال صعصعة: بیزید بن قیس الأرحبی، فرکب (علیه السلام) إلی حروراء حتی وصل إلی خیمة یزید بن قیس فصلی فیه رکعتین ثم خرج، فاتکأ علی قوسه، وأقبل علی الناس فقال: هذا مقام من فلج فیه فلج إلی یوم القیامة، ثم کلمهم وناشدهم فقال لهم: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لکم: إن هذه مکیدة ووهن، ولو أنهم قصدوا إلی حکم المصاحف لأتونی وسألونی التحکیم؟ أفتعلمون أن أحدا أکره إلی التحکیم منی؟ قالوا: صدقت.

قال: فهل تعلمون أنکم استکرهتمونی علی ذلکم حتی أجبتکم، فأشرطت أن حکمهما: نافذ ما حکما بحکم الله، فمتی خالفاه فأنا

وأنتم من ذلك براء، وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدونى؟

فقال ابن‌الكواء: حكمت فى دين الله برأينا، ونحن مقرون بأنا كفرنا ولكن تائبون فأقر بمثل ما أقررنا به، وتب ننهض معك إلى الشام.

فقال (عليه‌السلام): أما تعلمون أن الله قد أمر بالتحكيم فى شقاق بين الرجل وامرأته؟ فقال: (فابعثوا حكما من أهله وحكماً من أهلها)، [۱۴۳] وفى صيد (كأرنب) يساوى نصف درهم فقال: (يحكم به ذوا عدل منكم).

فقالوا: فإن عمرو بن العاص لما أبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبدالله على أميرالمؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت على بن أبى‌طالب، فقد خلعت نفسك.

فقال (عليه‌السلام): لى أسوة برسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: هذا ما كتبه محمد رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وسهيل بن عمرو وقال: لو أقررت بأنك رسول‌الله ما خالفتك، ولكنى أقدمك لفضلك، فاكتب محمد بن عبدالله فقال لى: يا على، امح رسول‌الله.

فقلت: يا رسول‌الله لا تشجعنى نفسى على محو اسمك من النبوة.

فقضى عليه فمحاه بيده ثم قال: اكتب محمد بن عبدالله.

ثم تبسم إلى وقال: إنك لتسام مثلها فتعطى.

فقالوا: إنا أذنبنا ذنبا عظيما، وقد تبنا، فتب إلى الله كما تبنا نعد لك.

فقال على (عليه‌السلام): أستغفر الله من كل ذنب.

فرجعوا معه منهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا: أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا، وقالوا: إنما ينتظر أن يسمن الكراع ويجىء المال ثم ينهض بنا إلى الشام.

فأتى الأشعث عليا (عليه‌السلام) فقال: يا أميرالمؤمنين إن الناس قد تحدثوا: أنك رأيت الحكومة تحكيم الحكمين ضلالاً والإقامة عليها كفراً.

فقام على (عليه‌السلام) فخطب فقال: من زعم أنى رجعت عن الحكمين فقد كذب، ومن رآها ضلالة فقد ضل.

فخرجت الخوارج من المسجد، ثم توجهت إلى النهروان.

ووقعت لهم فى طريقهم إلى النهروان طرائف عجيبة وقضايا مبكية ومضحكة، فمنها: أنهم وجدوا مسلما ونصرانيا فى طريقهم، فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصرانى وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم.

ووثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها فى فمه فصاحوا به، فلفظها تورعا.

ورأى أحدهم خنزيرا فضربه وقتله، فقالوا: هذا فساد فى الأرض وأنكروا قتل الخنزير.

وساوموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقالوا: ما كنا لنأخذها إلا بالثمن، فقال النصرانى: واعجباه أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة إلا بالثمن؟! وأما عبدالله بن خباب الأزدى، فإنه كان راكبا على حمار ومعه زوجته وهى حامل فقالوا له: حدثنا.

قال سمعت أبى يقول: قال رسول‌الله: ستكون بعدى فتنة، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسى مؤمنا ويصبح كافرا فكن عند الله المقتول ولا تكن القاتل.

قالوا: فما تقول فى أبى‌بكر وعمر؟ فأثنى خيرا.

قالوا: فما تقول فى على قبل التحكيم؟ وفى عثمان فى السنين الست الأخيرة؟ فأثنى خيرا.

قالوا: فما تقول فى على بعد التحكيم والحكومة؟ قال: إن عليا أعلم بالله وأشد توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

قالوا: إنك تتبع الهوى، إنما تتبع الرجال على أسمائهم، ثم قربوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه وذبحوه، ثم عمدوا إلى امرأته فشقوا بطنها وهى حامل! وصل القوم إلى النهروان وتوجه الإمام (عليه‌السلام) بجيشه إليهم، فقال (عليه‌السلام): يا ابن‌عباس امض إلى هؤلاء القوم،

فانظر ما هم علیه، ولماذا اجتمعوا؟ فلما وصل إلیهم، دار بینهم ما یلی: الخوارج.

ویحک یا ابن‌عباس: کفرت بربک کما کفر صاحبک علی بن أبی‌طالب! وخرج خطیبهم عتاب بن الأعور التغلبی فسأله ابن‌عباس:

ابن‌عباس: من بنی الإسلام؟

عتاب: الله ورسوله.

ابن‌عباس: النبی أحکم أموره وبین حدوده أم لا؟

عتاب: بلی.

ابن‌عباس: فالنبی بقی فی دار الإسلام أم ارتحل؟

عتاب: بل ارتحل.

ابن‌عباس: فأمور الشرع ارتحلت معه أم بقیت؟

عتاب: بل بقیت بعده.

ابن‌عباس: فهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه؟

عتاب: نعم الذریة والصحابة.

ابن‌عباس: فعمروها أو خربوها.

عتاب: بل عمروها.

ابن‌عباس: فالآن هی معمورة أم خراب؟

عتاب: بل خراب.

ابن‌عباس: خربها ذریته أم أمته؟

عتاب: بل أمته.

ابن‌عباس: أنت من الذریة أو من الأمة؟

عتاب: من الأمة.

ابن‌عباس: أنت من الأمة وخربت دار الإسلام فکیف ترجو الجنة؟

فقالوا: لیخرج إلینا علی بنفسه لنسمع کلامه عسی أن یزول ما بأنفسنا إذا سمعناه فرجع ابن‌عباس فأخبره، فرکب (علیه‌السلام) فی جماعة، ومضی إلیهم فرکب ابن‌الکوا فی جماعة منهم، فلما التقوا قال الإمام (علیه‌السلام): یا بن الکوا إن الکلام کثیر، فأبرز إلی من أصحابک لأکلمک.

فقال: وأنا آمن من سیفک؟ قال (علیه‌السلام): نعم.

فخرج إلیه فی عشرة من أصحابه فقال له علی (علیه‌السلام): ألم أقل لکم إن أهل الشام إنما یخدعونکم بها الحکومة ورفع المصاحف وغیر ذلک فإن الحرب قد عضتهم فذرونی أناجزهم فأبیتم؟ ألم أرد نصب ابن عمی ابن‌عباس وقلت: إنه لا ینخدع فأبیتم إلا أباموسی؟ وقلتم: رضینا به حکما.

فأجبتکم کارها؟ ولو وجدت فی ذلک الوقت أعوانا غیرکم لما أجبتکم، وشرطت علی الحکمین بحضورکم.

أن یحکما بما أنزل الله من فاتحته إلی خاتمته.

والسنة الجامعة، وإنهما إن لم یفعلا فلا طاعة لهما علی؟ کان ذلک أو لم یکن؟ قال ابن‌الکواء: صدقت، کان هذا کله، فلم لا نرجع الآن إلی حرب القوم؟ قال الإمام (علیه‌السلام): حتی تنقضی المدة التی بیننا وبینهم.

قال ابن‌الکوا: وأنت مجمع علی ذلک؟ قال (علیه‌السلام): نعم، لا یسعنی غیره، فعاد ابن‌الکواء والعشرة الذین معه إلی أصحاب علی

(علیه‌السلام) راجعین عن دین الخوارج وتفرق الباقون وهم یقولون: لا حکم إلا لله.

وأمروا علیهم عبدالله بن وهب الراسبی وذا الثدیة، وعسکروا بالنهروان، وخرج الإمام (علیه‌السلام) حتی بقی علی فرسخین منهم، وکاتبهم وراسلهم، فلم یرتدعوا، فأمر الإمام ابن‌عباس أن یرکب إلیهم، وقال: سلهم ما الذی نقموه؟ وأنا ردفک فلا تخف منهم.

فلما جاءهم ابن‌عباس قال: ما الذی نقمتم من أمیرالمؤمنین؟ قالوا: نقمنا أشیاء لو کان حاضراً لکفرناه بها!! والإمام یسمع کلامهم فقال ابن‌عباس: یا أمیرالمؤمنین قد سمعت کلامهم وأنت أحق بالجواب.

فتقدم (علیه‌السلام) وقال: أیها الناس أنا علی بن أبی‌طالب، فتکلموا بما نقمتم علی.

قالوا: نقمنا علیک أولا: إنا قاتلنا بین یدیک بالبصرة، فلما أظفرک الله بهم أبحتنا ما فی عسکرهم ومنعتنا النساء والذریة، فکیف حل لنا ما فی المعسکر ولم یحل لنا النساء؟ فقال (علیه‌السلام): یا هؤلاء، إن أهل البصرة قاتلونا بالقتال، فلما ظفرتم بهم قسمتم سلب من قاتلکم، ومنعتکم من النساء والذریة، فإن النساء لم یقاتلن، ولدوا علی الفطرة، ولم ینکثوا ولا ذنب لهم، ولقد رأیت رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) من علی المشرکین، فلا تعجبوا إن مننت علی المسلمین فلم أسب نساءهم ولا ذریتهم.

قالوا: نقمنا علیک یوم صفین کونک محوت اسمک من إمرة المؤمنین فإذن لم تکن أمیرنا، ولست أمیرا لنا!! قال (علیه‌السلام): یا هؤلاء إنما اقتدیت برسول الله (صلّی الله علیه وآله) حین صالح سهیل بن عمرو وقد تقدمت عنهم فی ذلک الوقت.

قالوا: نقمنا علیک.

أنک قلت للحکمین: انظروا کتاب الله، فإن کنت أفضل من معاویة فأثبتانی فی الخلافة.

فإذا کنت شاکا فی نفسک فنحن فیک أشد وأعظم شکا! قال (علیه‌السلام): إنما أردت بذلک النصفة الإنصاف فإنی لو قلت: أحکما لی دون معاویة لم یرض ولم یقبل، ولو قال النبی (صلّی الله علیه وآله) لنصاری نجران لما قدموا علیه: تعالوا نبتهل فأجعل لعنة الله علیکم.

فلم یرضوا، ولکن أنصفهم من نفسه کما أمره الله فقال: (فنجعل لعنة الله علی الکافرین) [۱۴۴] فأنصفهم من نفسه، فکذلک فعلت أنا ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خدعة أبی‌موسی.

قالوا: فإنا نقمنا علیک أنک حکمت حکما فی حق هو لک.

فقال (علیه‌السلام): إن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) حکم سعد بن معاذ فی بنی قریظة ولو شاء لم یفعل، وأنا اقتدیت به، فهل بقی عندکم شیء؟ فسکتوا وصاح جماعة منهم من کل جانب: التوبة التوبة یا أمیرالمؤمنین فأعطی أمیرالمؤمنین رایة أمان مع أبی‌أیوب الأنصاری، فناداهم أبوأیوب من جاء إلی هذه الرایة أو خرج من الجماعة فهو آمن.

فرجع منهم ثمانیة آلاف، فأمر (علیه‌السلام) المستأمنین بالاعتزال وبقی أربعة آلاف منهم مستعدین للقتال، فخطبهم الإمام ووعظهم فلم یرتدعوا، وصاح مناديهم فیهم: دعوا مخاطبة علی وأصحابه، وبادروا إلی الجنة.

وصاحوا: الرواح إلی الجنة!! وتقدم حرقوص ذو الثدیة وعبدالله بن وهب وقالا: ما نرید بقتالنا إیاک إلا وجه الله والدار الآخرة، فقال (علیه‌السلام): (هل أنبئکم بالأخسرین أعمالا الذین ضل سعیهم فی الحیاة الدنیا، وهم یحسبون أنهم یحسنون صنعا) [۱۴۵] فکان أول من خرج أخنس بن العزیز الطائی، فقتله الإمام (علیه‌السلام) وخرج عبدالله بن وهب ومالک بن الوضاح، وخرج أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) وقتل الوضاح وضرب ضربة علی رأس الحرقوص وقتله، وأمر أصحابه بالهجوم علی العدو.عند ذلک استعرت الحرب والتهبت نیرانها، وأما عبدالله بن وهب الراسبی فصاح: یا ابن أبی‌طالب: والله لا نبرح من هذه المعرکة حتی تأتی علی أنفسنا ونأتی علی نفسک، فأبرز إلی وأبرز إلیک، وذر الناس جانبا، فلما سمع الإمام کلامه تبسم وقال: قاتله الله من رجل ما أقل حیاءه، أما أنه لیعلم إنی حلیف السیف وخدین الرمح، ولکنه قد یئس من الحیاة، وإنه لیطمع طمعا کاذبا، ثم حمل علیه الإمام فضربه وقتله وألحقه بأصحابه فی النار، واختلط الجیشان فلم تکن إلا ساعة حتی قتلوا بأجمعهم وکانوا أربعة آلاف، ولم ینج منهم إلا تسعة أنفس: رجلان هربا إلی

خراسان إلى أرض سجستان وبها نسلهما، ورجلان صارا إلى اليمن وفيهما نسلهما (وهم الإباضية)، ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن والبواريخ نواحى تكريت فى شمال العراق والباقون تفرقوا فى البلاد.

وقتل من أصحاب على (عليه‌السلام) بعدد من سلم من الخوارج.

الغارات الثلاث على بلاد الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

لما وقع التحكيم فى صفين وحصل الانشقاق والافتراق فى أصحاب الإمام وتكونت الخوارج انتهز معاوية الفرصة فكان يرسل الجيوش إلى بلاد الإمام (عليه‌السلام) ويفتك بالناس ويهاجمهم غدرا وصبرا.

وقد تكررت منه هذه الجريمة والجناية، ونقتطف ثلاث غارات شنها معاوية على المسلمين وأقام المجازر والمذابح وبلغ أقصى مراتب القساوة والوحشية والهمجية، نذكر لكم كل غارة بشىء من التفصيل: الغارة الأولى روى ابن أبى‌الحديد عن ابن‌الكنوز قال: حدثنى سفيان بن عوف الغامدى قال: دعانى معاوية فقال: إنى باعثك فى جيش ذى أداة وجلادة، فالزم لى جانب الفرات حتى تمر ب(هيت) فتقطعها، فإن وجدت بها جندا فأغِر عليهم، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جندا فامض حتى توغل المدائن ثم أقبل إلى: واتق أن تقرب الكوفة واعلم: أنك إن أغرت على الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة إن هذه الغارات يا سفيان: على أهل العرق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، واخرب كل ما مررت به من القرى، وصرب الأموال شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلب.

هذه وصايا معاوية، هكذا يأمر عميله بالقتل والحرق والهدم والسلب والنهب بقوم مسلمين مؤمنين، ومع ذلك هو أميرالمؤمنين!! قال سفيان: فخرجت من عنده فعسكرت، وقام معاوية فى الناس فخطبهم فقال: أيها الناس، انتدبوا مع سفيان بن عوف فإنه وجه عظيم فيه أجر، سريعة فيه أوبتكم إن شاء الله.

ثم نزل.

فو الله الذى لا إله غيره ما مرت ثالثة حتى خرجت فى ستة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات، فأغذذت (أسرعت) السير حتى أمر بهيت فبلغهم أنى قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها وما بها غريب، كأنها لم تحلل قط، فوطأتها حتى أمر بصدوراء ففروا، فلم ألق بها أحدا، فأمضى حتى أفتتح الأنبار، وقد أنذروا بى، فخرج صاحب المسلحة إلى، فوقف فلم أقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم: أخبرونى كم بالأنبار من أصحاب على؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم تبددوا ورجعوا إلى الكوفة، ولا ندرى الذى يكون فيها، قد يكون مائتى رجل.

فنزلت فكتبت أصحابى كتائب، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلهم والله ويصبر لهم ويطاردهم، ويطاردونه فى الأزقة، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحوا من مأتين، وأتبعتهم الخيل، فلما حملت الخيل وأمامها الرجال تمشى لم يكن شىء حتى تفرقوا، وقتل صاحبهم فى نحو ثلاثين رجلا، وحملنا ما كان من الأنبار من الأموال، ثم انصرفت، فوالله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون، ولا أسر للنفوس منها وبلغنى أنها رعبت الناس، فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه فقال: كنت عند ظنى بك.

ولا تنزل فى بلد من بلدانى إلا قضيت فيه مثل ما يقضى فيه أميره، وإن أحببت تولية وليتك، وليس لأحد من خلق الله عليك أمر دونى ...

الخ.

وصلت هذه الأخبار إلى الإمام (عليه‌السلام) فصعد المنبر فخطب الناس وقال: إن أخاكم البكرى عامل الأنبار قد أصيب، وهو اختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفاً أنكتموهم عن العراق أبدا ما بقوا.

ثم سکت عنهم رجاء أن یجیبوه أو یتکلم منهم متکلم، فلم ینبس أحد منهم بکلمة، فلما رأی صمتهم نزل وخرج یمشی حتی أتی النخیلة والناس خلفه حتی أحاط به القوم من أشرافهم، فقالوا: ارجع یا أمیرالمؤمنین: نحن نکفیک فقال: ما تکفوننی، ولا تکفون أنفسکم!! فلم یزالوا به حتی صرفوه إلی منزله، فرجع وهو واجم ساکت کئیب، ودعی سعید بت قیس الهمدانی.

فبعثه من النخیلة فی ثمانیة آلاف وذلک أنه أخبر أن القوم جاءوا فی جمع کثیف فخرج سعید بن قیس علی شاطئ الفرات فی طلب سفیان بن عوف حتی إذا بلغ عانات سرح أمامه هانی بن الخطاب الهمدانی فاتبع آثارهم حتی أدنی قنسرین، فقد فاتوه فانصرف.

ولبث الإمام (علیه‌السلام) تری فیه الکآبة والحزن حتی قدم سعید بن قیس، وکان (علیه‌السلام) تلک الأیام علیلا، فلم یقو علی القیام فی الناس بما یریده من القول، فجلس بباب السدة التی تصل إلی المسجد، ومعه ابناه الحسن والحسین (علیهماالسلام) وعبدالله بن جعفر، ودعا سعدا مولاه فدفع إلیه الکتاب وأمره أن یقرأ علی الناس، فقام سعد بحیث یستمع أمیرالمؤمنین صوته، ثم قرأ الخطبة: أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أولیائه وهو لباس التقوی، ودرع الله الحصینة، وجنته الوثیقة، فمن ترکه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشملة البلاء، ودیث بالصغار والقمار، وضرب علی قلبه بالأسداد وأدیل الحق منه بتضییع الجهاد، وسیم الخسف، ومنع النصف.

ألا:

وإنی قد دعوتکم إلی قتال القوم لیلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لکم: أغزوهم قبل أن یغزوکم، فوالله ما غزی قوم قط فی عقر دارهم إلا ذلوا.

فتواکلتم وتخاذلتم حتی شنت علیکم الغارات وملکت علیکم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خیله الأنبار وقد قتل حسان البکری وأزال خیلکم عن مسالحها.

ولقد بلغنی: أن الرجل منهم کان یدخل علی المرأة المسلمة والأخری المعاهدة، فینتزع منها حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلا منهم کلم ولا أریق لهم دم، فلو أن امرءً مسلما مات بعد هذا أسفا ما کان به ملوما، بل کان به عندی جدیرا.

فیا عجباً، عجباً والله یمیت القلب، ویجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم علی باطلهم وتفرقکم عن حقکم، فقبحا لکم وترحا! حین صرتم غرضا یرمی! یغار علیکم ولا تغیرون وتغزون ولا تغزون، ویعصی الله وترضون فإذا أمرتکم بالسیر إلیهم فی أیام الحر قلتم: هذه حمارة القیظ أمهلنا یسبخ عنا الحر.

وإذا أمرتکم بالسیر إلیهم فی الشتاء قلتم: هذه صبارة القر أمهلنا ینسلخ عنا البرد.

کل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا کنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السیف أفر.

یا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال! وعقول ربات الحجال! لوددت أنی لم أرکم ولم أعرفکم معرفة والله جرت ندما وأعقبت سدماً! قاتلکم الله! لقد ملأتم قلبی قیحاً، وشحنتم صدری غیظا، وجرعتمونی نغب التهمام علی أنفاسا، وأفسدتم علی رأیی بالعصیان والخذلان، حتی قالت قریش: إن أبی‌طالب رجل شجاع ولکن لا علم له بالحرب!! لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد مراساً وأقدم فیها مقاماً منی؟ ولقد نهضت فیها وما بلغت العشرین، وها أنا ذا قد ذرفت علی الستین، ولکن لا رأی لمن لا یطاع!!. الغارة الثانیة وهذه جنایة أخری قام بها أحد عملاء معاویة وهو بسر بن أرطأة أو ابن أبی‌أرطأة.

روی ابن أبی‌الحدید: أن قوماً بصنعاء الیمن کانوا من أتباع عثمان یعظمون قتله، لم یکن لهم نظام ولا رأس، فبایعوا لعلی (علیه‌السلام) علی ما فی أنفسهم، وعامل أمیرالمؤمنین علی صنعاء یومئذ عبیدالله بن العباس وعامله علی الجند سعید بن نمران، فلما اختلف الناس علی علی (علیه‌السلام) بالعراق وقتل محمد بن أبی‌بکر بمصر، وکثرت غارات أهل الشام، تکلموا ودعوا إلی الطلب بدم عثمان، فبلغ ذلک عبیدالله بن العباس فأرسل إلی الناس من وجوههم، ما هذا الذی بلغنی عنکم؟ قالوا: إنا نفکر فی قتل عثمان، ونری مجاهدة من

سعی علیه.

فحبسهم، فکتبوا إلی من فی الجند من أصحابهم فساروا بسعید بن نمران وأخرجوه من الجند، وأظهروا أمرهم، وخرج إلیهم من کان بصنعاء وانضم إلیهم کل من کان علی رأیهم، ولحق بهم قوم لم یکونوا علی رأیهم، إرادة أن یمنعوا الصدقة، فالتقی عبیدالله بن العباس یسعید بن نمران ومعهما شیعة علی (علیه‌السلام)، فقال ابن‌العباس لابن نمران: والله لقد اجتمع هؤلاء، وإنهم لنا لمقاربون وإن قاتلناهم لا نعلم علی من تکون الدائرة؟ فهلم لنکتب إلی أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) بخبرهم.

فکتب إلی أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام): أما بعد.

فإنا نخبر أمیرالمؤمنین أن أتباع عثمان وثبوا بنا، وأظهروا أن معاویة قد شید أمره، واتسق له أکثر الناس وإنا سرنا بشیعة أمیرالمؤمنین، ومن کان علی طاعته، إلخ.

فلما وصل کتابهما ساء علیا (علیه‌السلام) وأغضبه، وکتب إلیهما: من علی أمیرالمؤمنین إلی عبیدالله بن العباس وسعید بن نمران.

سلام الله علیکما، فإنی أحمد إلیکما الله الذی لا إله إلا هو، أما بعد.

فإنه لما أتانی کتابکما تذکران فیه خروج هذه الخارجة وتعظمان من شأنها صغیرا، وتکثران من عددها قلیلا، وقد علمت أن نخب جبن أفئدتکما وصغر أنفسکما، وشتات رأیکما وسوء تدبیرکما هو الذی أفسد علیکما من کان عن لقائکما جبانا، فإذا قام رسولی علیکما فامضیا إلی القوم حتی تقرئا علیهم کتابی إلیهم، وتدعواهم إلی حظهم، وتقوی ربهم، فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم، وإن حاربوا استعنا بالله علیهم ونابذناهم علی سواء إن الله لا یحب کید الخائنین.

فکتب (علیه‌السلام): من عبدالله علی أمیرالمؤمنین إلی من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء.

أما بعد: فإنی أحمد الله الذی لا إله إلا هو، الذی لا یعقب له حکم ولا یرد له قضاء، ولا یرد بأسه عن القوم المجرمین، وقد بلغنی تجرؤکم وشقاؤکم وإعراضکم عن دیتکم بعد الطاعة، وإعطاء البیعة، فسألت أهل الدین الخالص والورع الصادق واللب الراجح عن بدء مخرجکم وما نویتم به وما أحمشکم له فحدثت عن ذلک بما لم أر لکم فی شیء عذرا منه مبینا، ولا مقالا جمیلا ولا حجة ظاهرة، فإذا أتاکم رسولی فتفرقوا، وانصرفوا إلی رحابکم، أعف عنکم، وأصفح عن جاهلکم وأحفظ قاصیکم، وأعمل فیکم بحکم الکتاب، فإن لم تفعلوا فاستعدوا لقدوم جیش جم الفرسان، عظیم الأرکان یقصد لمن طغی وعصی، فتظحنوا کطحن الرحی، فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعلیها وما ربک بظلام للعبید.

وأرسل الکتاب مع رجل من همدان، فقدم علیهم بالکتاب، فلم یجیبوه إلی خیر، فقال لهم: إنی ترکت أمیرالمؤمنین یرید أن یوجه إلیکم یزید بن قیس الأرحبی فی جیش کثیف، فلم یمنعه إلا انتظار جوابکم.

فقالوا: نحن سامعون إن عزل عنا هذین الرجلین عبیدالله وسعیدا.

فرجع الهمدانی إلی علی (علیه‌السلام) فأخبره خبر القوم، وکتبت تلک العصابة حینئذ إلی معاویة یخبرونه، فلما قدم کتابهم دعا معاویة بسر بن أرطأة، وکان قاسی القلب، فظا سفاکا للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة فأمره أن یأخذ طریق الحجاز ومکة حتی ینتهی إلی الیمن، وقال له: لا تنزل علی بلد علی طاعة علی إلا بسطت علیهم لسانک حتی یروا أنهم لا نجاة لهم، وأنک محیط بهم ثم اکفف عنهم، وادعهم إلی البیعة لی! فمن أبی فاقتله، واقتل شیعة علی حیث کانوا!! سار بسر بن أرطأة فی ثلاثة آلاف، وکان إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلک الماء فرکبوها، وقادوا خیولهم حتی یردوا الماء الآخر فیردون تلک الإبل، ویرکبون إبل هؤلاء لئلا یصل الخبر إلی البلاد التی یقصدونها فلم یزل یصنع ذلک حتی قرب المدینة فاستقبلتهم قضاعة ینحرون لهم الجزر حتی دخلوا المدینة، وعامل علی (علیه‌السلام) علی المدینة یومئذ: أبوأیوب الأنصاری صاحب منزل رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله)، فخرج عنها هاربا، ودخل بسر المدینة فخطب الناس وشتمهم وتهددهم یومئذ وتوعدهم، وقال: شاهت الوجوه، إن الله تعالی ضرب مثلا: (قریة کانت آمنة مطمئنة، یأتیها رزقها رغدا فکفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف). [۱۴۶].

وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله، كان بلدكم مهاجر النبى ومنزله، وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده، فلم تشكروا نعمة ربكم ولم ترعوا حق نبيكم، وقتل خليفة الله بين أظهركم، فكنتم بين قاتل وخاذل، ومتربص وشامت، إن كان للمؤمنين قلتم: ألم نكن معكم؟! وإن كان للكافرين نصيب قلتم: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين؟!.

ثم شتم الأنصار فقال: يا معشر اليهود! وأبناء بنى زريق! وبنى النجار، وبنى سالم وبنى عبد الأشهل! والله لأوقعكن بكم وقعة تشفى غليل صدور المؤمنين، وآل عثمان، أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة!!.

فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم، ففزعوا إلى حويطب بن عبد العزى، ويقال إنه زوج أمه.

فصعد إليه المنبر وناشده، وقال: عترتك وأنصار رسول‌الله، وليست بقتلة عثمان.

فلم يزل به حتى سكن ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه ونزل، فأحرق دورا كثيرة.

منها دار زرارة بن حرون، ودار أبى‌أيوب الأنصارى، وفقد جابر بن عبدالله الأنصارى فقال: ما لى لا أرى جابرا؟ يا بنى سلمة.

لا أمان لكم عندى أو أن تأتونى بجابر.

فعاذ جابر بأم سلمة زوجة النبى، فأرسلت إلى بسر بن أرطأة فقال: لا آمنه حتى يبايع.

فقالت أم‌سلمة اذهب فبايع.

وقالت لابنها عمر: اذهب فبايع، فذهبا فبايعاه.

ثم خرج إلى مكة، فلما قرب منها هرب قثم بن العباس، وكان عامل على (عليه‌السلام) ودخلها بسر، فشتم أهل مكة وأنبهم، ثم خرج عنهم واستعمل عليهم شيبة بن عثمان، وفى طريقه من المدينة قتل رجالا وأخذ أموالا، ثم دخل الطائف وشتم وقتل، ثم دخل نجران وشتم وقتل، حتى دخل صنعاء، وقد خرج عنها عبيدالله بن العباس وسعيد بن نمران، وقد استخلف عبيدالله عليها عمرو بن أراكة، فمنع بسرا عن دخولها، وقاتله فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوما، وأتاه وفد مأرب فقتلهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد.

ثم خرج بسر من صنعاء، فأتى أهل جلسان وهم شيعة على (عليه‌السلام) فقاتلهم وقاتلوه فهزمهم، وقتلهم قتلا ذريعا، ثم رجع إلى صنعاء فقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس، لأن ابنى عبيدالله بن العباس كانا مستترين فى بيت إمرأة من أبنائهم وذبح بسر ابنى عبيدالله بمدية كانت معه، (وكانا طفلين صغيرين وهما: عبدالرحمن وقثم) فلما أراد ذبحهما قيل: وكانا عند رجل من بنى كنانة، فقال له الكنانى: ولم تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلهما فاقتلنى معهما.

قال: أفعل.

فقتله، ثم ذبحهما (!!)، فخرجت نسوة من بنى كنانة، فقالت إمرأة: يا هذا قتلت الرجال فعلام تقتل هذين؟ والله ما كانوا يقتلون فى الجاهلية والإسلام!!

والله يا بن أرطأة إن سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبى الصغير، والشيخ الكبير، ونزع الرحمة، وعقوق الأرحام لسطان سوء!! فلما سمعت أم الطفلين خبر ذبح ولديها أصابها وله على ابنيها، فكانت لا تعقل ولا تصغى إلا قول من أعلمها أنهما قد قتلا، ولا تزال تطوف فى الموسم تنشد الناس ابنيها بهذه الأبيات:

ها من أحس بابنى اللذين هما

كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بابنى اللذين هما

سمعى وقلبى اليوم مردهف

يا من أحس بابنى اللذين هما

مخ العظام فمخى اليوم مختطف

نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا

من قولهم، ومن الإفك الذى اقترفوا

أنحى على ودجى ابنى مرهفة

مشحوذة، وكذاك الإفك يقترف

حتى لقيت رجالاً من أرومته

شم الأنوف فى قومهم شرف

فالآن ألعن بسراً حق لعنته

هذا لعمر أبى‌بسر هو السرف

من دل والهة حرى مولهة

على حبيبين ضلا إذ غدى السلف

ولما بلغت هذه الأخبار إلى أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) جزع جزعا شديدا، ودعا على بسر لعنه الله وقال: اللهم أسلبه دينه، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله.

فأصابه ذلك وفقد عقله، وكان يهذى بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ، فلا يزال يضربه حتى يسأم أو يغشى عليه إلى أن مات عليه لعنة الله.

وبلغ عدد القتلى الذين قتلهم بسر فى الحجاز واليمن ثلاثين ألفا، سوى الذين أحرقهم بالنار، وعدا الدور التى هدمها.

والخطب الأفظع الذى ارتكبه عميل معاوية بسر بن أرطأة هم أنه لما أغار على قبيلة همدان، وهم شيعة على أميرالمؤمنين (عليه‌السلام): قتل رجالهم وسبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين فى الإسلام، ولقد أشار سيدنا أبوذر الغفارى إلى هذه الجناية التى تقشعر منها الجلود جلود أهل الغيرة والحمية والإيمان بقوله: وأما يوم العورة: فإن نساء من المسلمات يسبين، فيكشف عن سوقهن جمع ساق فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتريت على عظم ساقها، فدعوت الله أن لا يدركنى هذا الزمان.

فصدرت هذه الجناية من بسر بن أرطأة.

أنه بعد أن سبى نساء الشيعة من همدان وذهب بهم إلى الشام فأقامهن فى السوق، وعرضهن للبيع كما ذكرنا.

ووصلت هذه الأخبار الفجيعة إلى أميرالمؤمنين وهو فى الكوفة وكان (عليه‌السلام) يجلس كل يوم فى موضع من المسجد الأعظم يسبح به بعد الغداة إلى طلوع الشمس، فلما طلعت نهض إلى المنبر فضرب بإصبعيه على راحته وهو يقول: ما هى إلا الكوفة، ما هى إلا الكوفة، أقبضها وأبسطها، إن لم تكونى إلا أنت، تهب أعاصيرك، فقبحك الله، ثم تمثل بقول الشاعر:

لعمر أبيك الخير يا عمرو: إننى

على وضر من ذا الإناء قليل

ثم قال:

أنبئت بسرا قد اطلع على اليمن، وإنى والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم فى الحق، وطاعتهم إمامهم فى الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم صاحبكم، وبصلاحهم فى بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته: اللهم: إنى قد مللتهم وملونى، وسئمتهم وسئمونى، فأبدلنى بهم خيرا منهم، وأبدلهم شرا منى، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح فى الماء.

أما والله لوددت أن لى بكم ألف فارس من بنى فراس بن غنم:

هنالك لو دعوت أتاك منهم

فوارس مثل أرمیة الحمیم

ثم نزل (علیه‌السلام) من المنبر. الغارة الثالثة ذکر ابن أبی‌الحدید أنه أرسل معاویة النعمان بن بشیر وآباهریرة إلی أمیرالمؤمنین علیه الصلاة والسلام یسألانه أن یدفع قتلة عثمان إلی معاویة لیقتص منهم، لعل الحرب أن تطفأ ویصطلح الناس، وإنما أراد معاویة أن یرجع مثل النعمان وأبی‌هریرة من عند علی (علیه‌السلام) وهم لمعاویة عاذرون ولعلی لائمون، لأن معاویة کان یعلم أن علیا لا یدفع قتلة عثمان إلیه، فأراد أن یکون هذان یشهدان له عند أهل الشام بذلک، وأن یظهر عذره.

فقال لهما معاویة: ائتیا علیا فانشداه الله وسلاه (اسألاه) بالله لما دفع إلینا قتلة عثمان، فإنه قد آواهم أو منعهم، ثم لا حرب بیننا وبینه، فإن أبی فکونوا شهداء لی علیه وأقبلا علی الناس وأعلماهم ذلک.

فأتیا علیا (علیه‌السلام) فدخلا علیه فقال أبوهریرة: یا أباالحسن، إن الله قد جعل لک فی الإسلام فضلا وشرفا: أنت ابن عم محمد رسول‌الله وقد بعثنا إلیک ابن عمک معاویة یسألک أمرا تسکن به هذه الحرب، ویصلح الله تعالی به ذات البین.

أن تدفع إلیه قتلة عثمان ابن عمه فیقتلهم به، ویجمع الله تعالی أمرک وأمره، ویصلح بینکم وتسلم هذه الأمة من الفتنة والفرقة.

ثم تکلم النعمان بنحو من هذا، فقال (علیه‌السلام): دعا الکلام فی هذا، حدثنی یا نعمان: أنت أهدی قومک سبیلا؟ (یعنی الأنصار) فقال: لا.

قال فکل قومک تبعنی إلا شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة أفتکون أنت من الشذاذ؟ فقال النعمان: أصلحک الله إنما جئت لأکون معک وألزمک، وقد کان معاویة سألنی أن أؤدی هذا الکلام، ورجوت أن یکون لی موقف أجتمع فیه معک، وطمعت أن یجری الله بینکما صلحا، فإذا کان غیر هذا رأیک فأنا ملازم وکائن معک.

فأما أبوهریرة فلحق بالشام، وأقام النعمان عند علی (علیه‌السلام)، فأخبر أبوهریرة معاویة بالخبر فأمره أن یعلم الناس ففعل، وأقام النعمان بعده، ثم خرج فارا من علی (علیه‌السلام) حتی إذا مر بعین التمر، أخذه مالک بن کعب الأرحبی وکان عامل علی علیها، فأراد حبسه وقال له: ما مر بک هیهنا؟ قال: إنما أنا رسول، بلغت رسالة صاحبی ثم انصرفت.

فحبسه مالک وقال: کما أنت حتی أکتب إلی علی فیک.

فناشده، وعظم علیه أن یکتب إلی علی فیه، فأرسل النعمان إلی قرظة بن کعب الأنصاری وهو کاتب عین التمر یجبی خراجها لعلی (علیه‌السلام)، فجاءه مسرعا فقال لمالک: خل سبیل ابن عمی یرحمک الله.

فقال یا قرظة اتق الله ولا تتکلم فی هذا فإنه إن کان من عباد الأنصار ونساکهم کیف یهرب من أمیرالمؤمنین إلی أمیر المنافقین؟.

فلم یزل یقسم علیه حتی خلی سبیله وقال له: یا هذا الأمان الیوم واللیلة وغدا، والله لئن أدرکتک بعدها لأضربن عنقک.

فخرج مسرعا لا یلوی علی شیء، وذهبت به راحلته فلم یدر أین تتئکع من الأرض ثلاثة أیام لا یعلم أین هو، ثم قدم إلی معاویة فخبره بما لقی، ولم یزل معه مصاحبا له، یجاهد علیا ویتبع قتلة عثمان حتی غزی الضحاک بن قیس أرض العراق ثم انصرف إلی معاویة، فقال معاویة: أما من رجل أبعث معه بجریدة خیل حتی یغیر علی شاطئ الفرات فإن الله یرعب بها أهل العراق؟ فقال له النعمان: فابعثنی فإن لی فی قتالهم نیة وهوی وکان النعمان عثمانیا قال: فانتدب علی اسم الله.

فانتدب وندب معه ألفی رجل وأوصاه أن یتجنب المدن والجماعات، وأن لا یغیر إلا علی مسلحة، وأن یعجل الرجوع.

فأقبل النعمان حتی دنی من عین التمر، وبها مالک بن کعب الأرحبی الذی جری له ما ذکرناه ومع مالک ألف رجل، وقد أذن لهم، فقد رجعوا إلی الکوفة، فلم یبق معه إلا مائة أو نحوها، فکتب مالک إلی علی (علیه‌السلام): أما بعد: فإن النعمان بن بشیر قد نزل بی فی جمع کثیف، فمر رأیک سددک الله تعالی وثبتک والسلام.

فوصل الکتاب إلی علی (علیه‌السلام)، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: أخرجوا هداکم الله إلی مالک بن کعب أخیکم، فإن النعمان بن بشیر قد نزل فی جمع من أهل الشام لیس بالکثیر فانهضوا إلی إخوانکم لعل الله یقطع بکم من الکافرین طرفا.

ثم نزل، فلم يخرجوا، فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمر أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئا.

واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة فارس أو دونها فقام (عليه‌السلام) فقال: (منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أباً لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحمشكم؟ أقوم فيكم مستصرخا، وأناديكم متغوثا فلا تسمعون لى قولا، ولا- تطيعون لى أمرا، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة، فما يدرك بكم ثأر، ولا يبلغ بكم مرام، دعوتكم إلى نصرة إخوانكم، فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر، وتثاقلتم تثاقل الأدبر، ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون).

على بقلمه ولسانه

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يحب أن يحمد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير البرية.

قال الله تعالى: (بل الإنسان على نفسه بصيرة). [۱۴۷].

أيها الإخوان: لقد ذكرنا فى الليالى الماضية شيئا من كلام أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) حول نفسه ومواهبه ومزاياه ومواقفه، الليلة: نستمع إلى شىء من خطبه (عليه‌السلام) المشتملة على فضائله وفواضله، وخصائصه، ومكارم أخلاقه، وبعبارة أخرى نستمع إلى تاريخ حياته من لسانه، ونقرأ كتابا خاصا كتبه (عليه‌السلام) إلى عثمان بن حنيف والى البصرة وهو من جلائل كتبه ورسائله ومشاهيرها، وقد رأيت ترجمته بلغات عديدة، ويمتاز هذا الكتاب عن غيره لأنه بقلم رئيس حكومة كان يحكم على نصف الكرة الأرضية، وحياة الناس ومماتهم بين شفتيه، وكنوز الذهب والفضة تحت يده، ومع ذلك كله ومع تلك الإمكانيات اختار لنفسه أبسط معيشة وأزهد حياة لا يستطيع أى فرد من أفراد البشر أن يسلك طريقته ويكون مثله، ضع يدك على من شئت وقارن بين حياته وحياة أميرالمؤمنين فيظهر لك صدق هذا الكلام، وتعرف أن الإمام هو الرجل الوحيد فى مواهبه ومزاياه.

نستمع إلى كلامه ونقرأ كتابه بقلمه، فإنه أعرف بنفسه من غيره، ومهما ظهرت نفسيات الإنسان وصفاته واطلع عليها الناس ومع ذلك فإن فى حياة الإنسان الداخلية والخارجية أسرارا وسرائرا وخفايا ونوايا لا يطلع عليها أحد إلا الله تعالى والإنسان نفسه، فالإنسان أبصر بنفسه من غيره وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (بل الإنسان على نفسه بصيرة). [۱۴۸].

لم يقصد الإمام (عليه‌السلام) من بيان هذه الأمور تزكية نفسه بل بيان حقائق عن شخصيته لا يستطيع أحد أن يناقشه فيها أو يكابر.

وهنا نقتطف من خطبه الشىء اليسير ومن رسائله رسالة واحدة وفيها الكفاية.

الخطبة الشقشقية

أما والله لقد تقمصها ابن أبى‌قحافة وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى، ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتأى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم منها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها المؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفى العين قذى، وفى الحلق شجا، أرى تراثى نهبا، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن‌الخطاب بعده (ثم تمثل بقول الأعشى):

شتان ما يومى على كورها

ويوم حيان أخى جابر

فیا عجباً بینا هو یستقیلها فی حیاته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعیها، فصیرها فی حوزة خشناء یغلظ کلامها [۱۴۹] ویخشن مسها.

ویکثر العثار فیها.

والاعتذار منها، فصاحبها کراکب الصعبة إن أشنق لها خرم.

وإن أسلس لها تقحم، فمنی الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض، فصبرت علی طول المدة وشدة المحنة، حتی إذا مضی لسبیله، جعلها فی جماعة زعم أنی أحدهم فیا لله وللشوری! متی اعترض الریب فی مع الأول منهم حتی صرت أقرن إلی هذه النظائر لکنی أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا.

فصغی رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ، إلی أن قام ثالث القوم نافجاً حضنیه بین نثیله ومعتلفه وقام معه بنو أبیه یخضمون مال الله خضمة [۱۵۰] الإبل نبتة الربیع، إلی أن انتکث فتله.

وأجهز علیه عمله وکبت به بطنته، فما راعنی إلا والناس کعرف الضبع إلی ینثالون علی من کل جانب.

حتی لقد وطئ الحسنان.

وشق عطفای، مجتمعین حولی کربیضة الغنم، فلما نهضت بالأمر نکثت طائفة ومرقت أخری، وقسط آخرون، کأنهم لم یسمعوا کلام الله حیث یقول: (تلک الدار الآخرة نجعلها للذین لا یریدون علوا فی الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقین). [۱۵۱].

بلی والله لقد سمعوها ووعوها.

ولکنهم حلیت الدنیا فی أعینهم وراقهم زبرجها.

أما والذی فلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقیام الحجة بوجود الناصر.

وما أخذ الله علی العلماء أن لا یقارّوا علی کظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقیت حبلها علی غاربها، ولسقیت آخرها بکأس أولها.

ولألفیتم دنیاکم هذه أزهد عندی من عفطة عنز...

(قالوا) وقام إلیه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلی هذا الموضع من خطبته فناوله کتابا فأقبل ینظر فیه قال له ابن‌عباس رضی الله عنه: یا أمیرالمؤمنین لو أطردت خطبتک من حیث أفضیت.

فقال: هیهات یا ابن‌عباس تلک شقشقة هدرت ثم قرت!!

قال ابن‌عباس: فوالله ما أسفت علی کلام قط کأسفی علی هذا الکلام أن لا یکون أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) بلغ منه حیث أراد.

قوله: (کراکب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم)، یرید أنه إذا شدد علیها فی جذب الزمام وهی تنازعه رأسها خرم أنفها وإن أرخی علیها شیئا مع صعوبتها تقحمت به فلم یملکها، یقال: أشنق الناقة إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه وشنقها أیضا، ذکر ذلک ابن‌السکیت فی إصلاح المنطق.

خطب أخری له

ومن کلام (علیه‌السلام)

ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد (صلّی الله علیه وآله) أنی لم أردّ علی الله ولا علی رسوله ساعة قط، ولقد واسیته بنفسی فی المواطن التی تنکص فیها الأبطال، وتتأخر فیها الأقدام، نجدة أکرمنی الله بها.

ولقد قبض رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وإن رأسه علی صدری، ولقد سالت نفسه فی کفی فأمررتها علی وجهی.

ولقد ولّیت غسله (صلّی الله علیه وآله) والملائکة أعوانی، فضجت الدار، والأفنیة ملأٌ یهبط وملأٌ یعرج، وما فارقت سمعی هینمة منهم (الهینمة: الصوت الخفی) یصلون علیه حتی وارییناه فی ضریحه.

فما أحق به منی حیاً ومیتاً؟ فأنفذوا بصائرکم، ولتصدق نیاتکم فی جهاد عدوکم.

فوالذی لا إله إلا هو إنی لعلی جادة الحق وإنهم لعلی مزلة الباطل أقول ما تسمعون وأستغفر الله لی ولکم.

ومن کلام له (علیه‌السلام)

والله لأن أبیت علی حسک السعدان مسهّداً، وأُجرّ فی الأغلال مصفداً، أحب إلی من أن ألقی الله ورسوله یوم القیامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشیءٍ من الحطام.

وکیف أظلم أحداً لنفس یسرع إلی البلی قفولها، ویطول فی الثری حلولها، والله لقد رأیت عقیلا وقد أملق حتی استماحنی من بُرّکم صاعاً، ورأیت صبیانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم کأنما سودت وجوههم بالعظلم، وعاودنی مؤکداً وکرر علی القول مردّداً، فأصغیت إلیه سمعی، فظن أنی أبیعه دینی، وأتبع قیاده مفارقاً طریقی فأحمیت له حدیدة ثم أدنیتها من جسمه لیعتبر بها فضج ضجیج ذی دنف من ألمها، وکاد أن یحترق من میسمها.

فقلت له: ثکلتک الثواکل یا عقیل أتئن من حدیدة أحماها إنسانها للعبه؟ وتجرنی إلی نار سجرها جبارها لغضبه؟ أتئن من الأذی؟ ولا أئن من لظی؟ وأعجب من ذلک طارق طرقنا بملفوفة فی وعائها، ومعجونة شنئتها، کأنما عُجنت بریق حیة أو قیئها، فقلت: أصلة أم زکاة أم صدقة؟ فذلک محرم علینا أهل البیت.

فقال: لا ذا ولا ذاک ولکنها هدیة.

فقلت: هبلتک الهبول، أعن دین الله أتیتنی لتخدعنی؟ أمختبط أنت؟ أم ذو جنة أم تهجر؟ والله لو أعطیت الأقالیم السبعة بما تحت افلاکها علی أن أعصی الله فی نملة أسلبها جلب شعیرة ما فعلت وإن دنیاکم عندی لأهون من ورقة فی فم جرادة تقضمها! ما لعلی ولنعیم یفنی ولذة لا تبقی؟ نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعین.

ومن خطبة له (علیه‌السلام)

أما بعد أیها الناس.

فأنا فقأت عین الفتنة، ولم تکن لیجرأ علیها أحد غیری، بعد أن ماج غیهبها، وأشتد کلبها، فاسألونی قبل أن تفقدونی فوالذی نفسی بیده لا تسألونی عن شیء فیما بینکم وبین الساعة، ولا عن فئة تهدی مائة وتضل مائة إلا أنبأتکم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ رکابها ومحط رحالها، ومن یقتل من أهلها قتلاً، ویموت منهم موتاً، ولو قد فقدتمونی ونزلت بکم کرائه الأمور وحوازب الخطوب لأطرق کثیر من السائلین وفشل کثیراً من المسؤولین. ومن خطبه له (علیه‌السلام) أیها الناس إنی قد بثثت لکم المواعظ التی وعظ الأنبیاء بها أممهم.

وأدّیت إلیکم ما أدت الأوصیاء إلی من بعدهم.

وأدبتکم بسوطی فلم تستقیموا.

وحدوتکم بالزواجر فلم تستوثقوا.

لله أنتم! أتتوقعون إماماً غیری یطأ بکم فی الطریق، ویرشدکم السبیل؟

ألا إنه قد أدبر من الدنیا ما کان مقبلاً، وأقبل منها ما کان مدبراً وأزمع الترحال عباد الله الأخیار، وباعوا قلیلاً من الدنیا لا یبقی، بکثیر من الآخرة لا یفنی.

ما ضر إخواننا الذین سفکت دماؤهم بصفین أن لا یکونوا الیوم أحیاء؟ یسیغون الغصص ویشربون الرنق.

قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن، بعد خوفهم؟ أین إخوانی الذین رکبوا الطریق ومضوا علی الحق؟ أین عمار؟ وأین أبن التیهان؟ وأین ذو الشهادتین؟ وأین نظراؤهم من إخوانهم الذین تعاقدوا علی المنیة، وأبرد برؤوسهم إلی الفجرة؟ (قال ثم ضرب بیده علی لحیته الشریفة الکریمة فأطال البکاء).

ثم قال (عليه‌السلام): أوه على إخوانى الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه أحيوا السنة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فأتبعوه (ثم نادى بأعلى صوته:) الجهاد...

الجهاد عباد الله.

ألا وإنى معسكر فى يومى هذا فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج.

ومن كلام له (عليه‌السلام)

لم تكن بيعتكم إياى فلتة، وليس أمرى وأمركم واحداً، إنى أريدكم لله وأنتم تريدونى لأنفسكم، أيها الناس، أعينونى على أنفسكم، وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً. ومن كتاب له (عليه‌السلام) إلى عثمان بن حنيف الأنصارى وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: أما بعد يا بن حنيف فقد بلغنى أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه.

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه ألا: وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينونى بورع واجتهاد، وعفة وسداد.

فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالى ثوبىّ طمراَ.

بلى كانت فى أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين.

ونعم الحكم الله وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها فى غد جدث تنقطع فى ظلمته آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد فى فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر، وسدّ فدجها التراب المتراكم؟، وإنما هى نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبنى هواى ويقودنى جشعى إلى تخير الأطعمة.

ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص ولا عهد له بالشبع.

أو أبيت مبطاناً وحولى بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسى بان يقال أميرالمؤمنين؟ ولا أشاركهم فى مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم فى جشوبة العيش.

فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همُّها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها.

أو أترك سدى أو أهمل عابثاً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتسف طريق المتاهة.

وكأنى بقائلكم يقول: إذا كان (هذا) قوت ابن أبىطالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان.

ألا: وإن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول‌الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد.

والله لو تظاهرت العرب على قتالى لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها، وسأجهد فى أن اطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد.

إليك عنى يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وأفلت من حبائلك، واجتنبت الذهاب فى مداحضك.

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك؟ أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ها هم رهائن القبور ومضامين اللحود.

والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقمت عليك حدود الله فی عباد غررتهم بالأمانی وأمم ألقيتهم فی المهاوی، وملوك أسلمتهم إلی التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر.

هيهات من وطئ دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازورّ حبائلك وُفّق.

والسالم منك لا يبالی إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه عنی.

فو الله لا أذل لك فتستذلنی، ولا أسلس لك فتقودينی.

وأيم الله يميناً أستثنی فيها بمشيئة الله لأروضن نفسی رياضة تهش معها إلی القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعن مقلتی كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها.

أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل علی من زاده فيهجع؟ قرت إذاً عينه! إذا اقتدی بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية.

طوبی لنفس أدت إلی ربها فرضها! وعركت بجنبها بؤسها.

وهجرت فی الليل غمضها حتی إذا غلب الكری عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها، فی معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم.

وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) [۱۵۲] فاتق الله يا ابن‌حنيف ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك.

فی كتاب الأنوار النعمانيه عن كتاب المناقب مسنداً إلی صعصعة بن صوحان: أنه دخل علی أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) لما ضرب فقال: يا أميرالمؤمنين أنت أفضل أم آدم أبوالبشر؟ قال علی (عليه‌السلام) تزكية المرء نفسه قبيح.

لكن قال الله تعالی لآدم: (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)، [۱۵۳] وأنا أكثر الأشياء أباحها لی وتركتها وما قاربتها.

ثم قال: أنت أفضل يا أميرالمؤمنين أم نوح؟ قال علی: إن نوحاً دعا علی قومه، وأنا ما دعوت علی ظالمی حقی، وابن‌نوح كان كافراً، وابنای سيد شباب أهل الجنة.

وقال: أنت أفضل أم موسی؟ قال (عليه‌السلام): إن الله تبارك وتعالی أرسل موسی إلی فرعون فقال: (إنی أخاف أن يقتلون) حتی قال الله تعالی: (لا تخف إنی لا يخاف لدی المرسلون) [۱۵۴] قال: (رب إنی قتلت منهم نفساً وأخاف أن يقتلون) [۱۵۵] وأنا ما خفت حين أرسلنی رسول‌الله بتبليغ سورة البراءة أن أقرأها علی قريش فی الموسم مع إنی كنت قتلت كثيراً من صناديدهم، فذهبت بها وقرأتها عليهم وما خفتهم.

ثم قال: أنت أفضل أم عيسی بن مريم؟ قال علی: عيسی كانت أمه فی بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: أخرجی، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأنا أمی فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت فی الحرم فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول: أدخلی فدخلت فی وسط البيت، وأنا ولدت فيه، وليس لأحد هذه الفضيلة، لا قبلی ولا بعدی.

علی ينعی نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الشاكرين علی المصيبة وصلی الله علی محمد وآله المظلومين.

قال الله تعالی: (من المؤمنين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضی نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا). [۱۵۶].

نبدأ حديثنا من هذه الليلة حول شهادة الإمام أميرالمؤمنين (عليه‌السلام)، فلقد سبق أن رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أخبر علياً بأنه يفوز بالشهادة فى سبيل الله، ففى يوم أحد تأسف الإمام أميرالمؤمنين على حرمانه الشهادة فى ذلك اليوم فقال له النبى: إنها من ورائك.

ويوم الخندق لما ضربه عمرو بن عبدود على رأسه كانت الدماء تسيل على وجهه الشريف فقام رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يشد جرحه ويقول له: أين أنا يوم ضربك أشقى الآخرين على رأسك ويخضب لحيتك من دم رأسك؟؟

وخطب رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فى آخر جمعة من شهر شعبان وذكر ما يتعلق بشهر رمضان، فقام على (عليه‌السلام) وقال: ما أفضل الأعمال فى هذا الشهر؟ فقال: يا أباالحسن أفضل الأعمال فى هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل، ثم بكى النبى فقال (عليه‌السلام): ما يبكيك؟ فقال: يا على أبكى لما يستحل منك فى هذا الشهر! كأنى بك وأنت تصلى لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك، قال الإمام: وذلك فى سلامة من دينى؟ فقال: فى سلامة من دينك ... الخ.

وكان الإمام (عليه‌السلام) كثيراً ما يخبر الناس بشهادته واختضاب لحيته الكريمة بدم رأسه، وحينما أتاه عبدالرحمن بن ملجم ليبايعه نظر على فى وجه طويلاً ثم قال: أرأيتك إن سألتك عن شىء وعندك منه علم هل أنت مخبر عنه؟ قال: نعم، وحلفه عليه فقال: أكنت تواضع الغلمان وتقوم عليهم وكنت إذا جئت فرأوك من بعيد قالوا: قد جاءنا ابن‌راعية الكلاب؟؟ فقال: اللهم نعم.

فقال له: مررت برجل وقد أيفعت (صرت يافعاً) فنظر إليك نظراً حاداً فقال: أشقى من عاقر ناقة ثمود؟ قال: نعم قال: قد أخبرتك أمك أنها حملت بك فى بعض حيضها؟ فتعتع هنيئة ثم قال: نعم.

فقال الإمام: قم فقام، قال (عليه‌السلام): سمعت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: (قاتلك شبه اليهودى بل هو اليهودى).

وقد تكرر منه (عليه‌السلام) أن رأى ابن‌ملجم فقال: أريد حياته ويريد قتلى، وفى تلك السنة الأخيرة من حياته والشهر الأخير من حياته كان يخبر الناس بشهادته فيقول: ألا وإنكم حاجوا العام صفاً واحداً، وآية (علامة) ذلك أنى لست فيكم.

فعلم الناس أنه ينعى نفسه، ولم يكتفِ (عليه‌السلام) بذلك بل كان يدعو على نفسه ويسأل من الله تعالى تعجيل الوفاة، وتارة كان يكشف عن رأسه وينشر المصحف على رأسه ويرفع يديه للدعاء قائلاً: اللهم إنى قد سئمتهم وسئمونى وملتهم وملونى، أما أن تخضب هذه من هذا ويشير إلى هامته ولحيته.

وقبل الواقعة أخبر (عليه‌السلام) أبنته أم‌كلثوم بأنه رأى رسول‌الله (صلى الله عليه وآله) وهو يمسح الغبار عن وجهه ويقول: يا على لا عليك، قضيت ما عليك.

وكان الإمام قد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة، وفى شهر رمضان من تلك السنة كان الإمام يفطر ليلة عند ولده الحسن وليلة عند ولده الحسين وليلة عند ابنته زينب الكبرى زوجة عبدالله بن جعفر وليلة عند أبنته زينب الصغرى المكناة بأم‌كلثوم.

وفى الليلة التاسعة عشر كان الإمام (عليه‌السلام) فى دار ابنته أم‌كلثوم فقدمت له فطوره فى طبق فيه: قرصان من خبز الشعير، وقصعة فيها لبن حامض، فأمر الإمام ابنته أن ترفع اللبن، وأفطر بالخبز والملح، ولم يشرب من اللبن شيئاً لأن فى الملح كفاية، وأكل قرصاً واحداً، ثم حمد الله وأثنى عليه، و قام إلى الصلاة، ولم يزل راكعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله تعالى، وكان يكثر الدخول والخروج وينظر إلى السماء ويقول: هى، هى والله الليلة التى وعدنيها حبيبى رسول‌الله.

ثم رقد هنيئة وانتبه مرعوباً وجعل يمسح وجهه بثوبه، ونهض قائماً على قدميه وهو يقول: اللهم بارك لنا فى لقائك.

ويكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم) ثم صلى حتى ذهب بعض الليل، ثم جلس للتعقيب، ثم نامت عيناه وهو جالس، ثم انتبه من نومته مرعوباً، وقالت أم‌كلثوم: قال لأولاده: إنى رأيت فى هذه الليلة رؤيا هالتنى وأريد أن أقصها عليكم قالوا: وما هى؟ قال: إنى رأيت الساعة رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فى منامى وهو يقول لى: يا أباالحسن إنك قادم إلينا عن قريب، يجىء إليك

أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك، وأنا والله مشتاق إليك، وإنك عندنا فى العشر الآخر من شهر رمضان، فهلم إلينا فما عندنا خير لك وأبقى.

قال: فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل، فأقسم عليهم بالسكوت فسكتوا، ثم أقبل عليهم يوصيهم ويأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر قالت أم كلثوم: لم يزل أبى تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ثم يخرج ساعة بعد ساعة يقلب طرفه فى السماء وينظر فى الكواكب وهو يقول: والله ما كذبت ولا كذبت، وإنها الليلة التى وعدت بها، ثم يعود إلى مصلاه ويقول: اللهم بارك لى فى الموت.

ويكثر من قول: (أنا لله وأنا إليه راجعون) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويصلى على النبى (صلّى الله عليه وآله) ويستغفر الله كثيراً قالت أم كلثوم فلما رأيته فى تلك الليلة قلقاً متململاً كثير الذكر والاستغفار أرقت معه ليلتى وقلت: يا أبتاه ما لى أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ قال: يا بنية إن أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل فى قلبى رعب أكثر مما دخل فى هذه الليلة ثم قال: (أنا لله وأنا إليه راجعون).

فقلت يا أبا ما لك تنعى نفسك منذ الليلة؟ قال: بنية قد قرب الأجل وانقطع الأمل قالت أم كلثوم: فبكيت فقال لى يا بنية لا تبكى فإنى لم أقل ذلك إلا بما عهد إلى النبى (صلّى الله عليه وآله) ثم إنه نعس وطوى ساعة ثم استيقظ من نومه، وقال: يا بنية إذا قرب الأذان فأعلمينى.

ثم رجع إلى ما كان عليه أول الليل من الصلاة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى قالت أم كلثوم: فجعلت أرقب الأذان فلما لاح الوقت أتيته ومعى إناء فيه ماء، ثم أيقظته فأسبغ الوضوء، وقام ولبس ثيابه وفتح بابه ثم نزل إلى الدار وكان فى الدار إوز قد أهدى إلى أخى الحسين (عليه‌السلام) فلما نزل خرجن وراءه ورفرفن، وصحن فى وجهه.

وكان قبل تلك الليلة لم يصحن فقال (عليه‌السلام): لا إله إلا الله، صوائح تتبعها نوائح، وفى غداة غد يظهر القضاء.

فقلت: يا أبتاه هكذا تتطير؟ فقال: بنية ما منا أهل البيت من يتطير ولا يتطير به.

ولكن قول جرى على لسانى ثم قال: يا بنية بحقى عليك إلا ما أطلقتيه، وقد حبست ما ليس له لسان، ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه واسقيه وإلا خلى سبيله يأكل من حشائش الأرض.

فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فتعلق الباب بمئزره فانحل مئزره حتى سقط فأخذه وشده وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت

فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت

إذا حل بناديكا

كما أضحك الدهر

كذاك الدهر يبكيكا

ثم قال: اللهم بارك لنا فى الموت اللهم بارك لنا فى لقائك قالت أم كلثوم: وكنت أمشى خلفه فلما سمعته يقول ذلك قلت: واغوثاه يا أبتاه أراك تنعى نفسك منذ الليلة قال: يا بنية ما هو بنعاء ولكنها دلالات وعلامات للموت يتبع بعضها بعضاً، فامسكى عن الجواب، ثم فتح الباب وخرج قالت أم كلثوم: فجئت إلى أخى الحسن (عليه‌السلام) فقلت: يا أخى قد كان من أمر أبيك الليلة كذا وكذا وهو قد خرج فى هذا الليل الغلس فالحقه فقام الحسن بن على (عليه‌السلام) وتبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فأمره الإمام بالرجوع فرجع.

وأما عدو الله: عبدالرحمن بن ملجم فكان على رأى الخوارج وكانت بينه وبين قطام حب وغرام، وقطام قد قتل أبوها وأخوها وزوجها

فی النهروان، وقد امتلأ قلبها غیظاً وعداءً لأمیرالمؤمنین وأراد ابن‌ملجم أن یتزوجها فاشترطت علیه أن یقتل أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) فاستعظم هذا الأمر وطلبت منه ثلاثة آلاف دینار وعبداً وقینة (جاریة) وینسب إلیه هذه الأبیات:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة

کمهر قطام من فصیح وأعجم

ثلاثة آلاف وعبد وقینة

وضرب علی بالحسام المصمم

وقیل إنه تعاهد هو ورجلین علی قتل معاویة وعمرو بن العاص واختار الثالث قتل معاویة، فقصد البرک بن عبدالله التمیمی مصر لیقتل ابن‌العاص، ولم یخرج ابن‌العاص تلک الصبیحة فأرسل رجلاً یقال له: خارجة بن تمیم، فلما وقف فی المحراب صربه البرک ظناً منه أنه ابن‌العاص فمات خارجة من تلک الضربة.

وأما الآخر ویقال له: العنبری فإنه قصد الشام یقصد قتل معاویة وتعرف بمعاویة وجعل یدخل علیه ویلاطف له فی الکلام وینشده الأشعار حتی صارت صبیحة یوم التاسع عشر من شهر رمضان وجاء معاویة للصلاة وثار إلیه العنبری ورفع السیف لیضرب عنقه فأخطأ الضربة فوقع السیف علی إلیة معاویة، ولم یقتل من ضربته بل جرح جرحاً برء بالمعالجة.

وأما عبدالرحمن بن ملجم فقد جاء تلک اللیلة وبات فی المسجد ینتظر طلوع الفجر ومجیء الإمام للصلاة وهو یفکر حول الجریمة العظمی التی قصد ارتکابها ومعه رجلان: شبیب بن بحرة ووردان بن مجالد یساعدانه علی قتل الإمام.

وسار الإمام إلی المسجد فصلی فی المسجد، ثم صعد المأذنة ووضع سبابته فی أذنیه وتنحنح، ثم أذن، فلم یبق فی الکوفة بیت إلا اخترقه صوته، ثم نزل عن المأذنة وهو یسبح الله ویقدسه ویکبره، ویکثر من الصلاة علی النبی (صلّی الله علیه وآله)، وکان یتفقد النائمین فی المسجد ویقول للنائم: الصلاة، یرحمک الله، قم إلی الصلاة المکتوبة ثم یتلو: (إن الصلاة تنهی عن الفحشاء والمنکر).

لم یزل الإمام یفعل ذلک حتی وصل إلی ابن‌ملجم وهو نائم علی وجهه وقد أخفی سیفه تحت إزاره فقال له الإمام: یا هذا قم من نومک هذا فإنها نومة یمقتها الله، وهی نومة الشیطان، ونومة أهل النار بل نم علی یمینک فإنها نومة العلماء، أو علی یسارک فإنها نومة الحکماء، أو نم علی ظهرک فإنها نومة الأنبیاء.

نعم، الشمس تشرق علی البر والفاجر والکلب والخنزیر وکل رجس وقذر، والإمام أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) یفیض من علومه علی الأخیار والأشرار وینصح السعداء والأشقیاء ولا یبخل عن الخیر حتی لأشقی الأشقیاء، ویرشد کل أحد حتی قاتله!! ثم قال له الإمام: لقد هممت بشیء تکاد السماوات أن یتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ولو شئت لأنبأتک بما تحت ثیابک ثم ترکه، واتجه إلی المحراب، وقام قائماً یصلی، وکان (علیه‌السلام) یطیل الرکوع والسجود فی صلاته، فقام المجرم الشقی لإنجاز أکبر جریمة فی تاریخ الکون!! وأقبل مسرعاً یمشی حتی وقف بازاء الاسطوانة التی کان الإمام یصلی علیها، فأمهله حتی صلی الرکعة الأولی وسجد السجدة الأولی ورفع رأسه منها فتقدم اللعین وأخذ السیف وهزه ثم ضربه علی رأسه الشریف فوقعت الضربة علی مکان الضربة التی ضربه عمر بن عبدود العامری.

فوقع الإمام علی وجهه قائلاً: بسم الله وعلی ملة رسول‌الله ثم صاح الإمام: قتلنی ابن‌ملجم قتلنی ابن‌الیهودیة، أیها الناس لا یفوتکم ابن‌ملجم.

أخبر الإمام عن قاتله کیلا یشتبه الناس بغیره فیقتلون البریء، کما قتل فی حادثة قتل عمر بن الخطاب جماعة من الأبریاء المساکین الذین هجم علیهم عبیدالله بن عمر وقتلهم.

حتی فی تلک اللحظة یحافظ الإمام علی النظام وعلی حیاة الناس، نبع الدم العبیط من هامة الإمام وسال علی وجهه المنیر، وخضب لحیته الکریمة وصدق کلام الرسول ووقع ما أخبر به، لم یفقد الإمام وعیه وما انهارت أعصابه بالرغم من وصول الضربة إلی جبهته

وبين حاجبيه، فجعل يشد الضربة بمئزره ويضع عليها التراب، ولم يمهله الدم فقد سال على صدره وأزياقه، وعوضاً من التأوه والتألم والتوجع كان يقول (صلوات الله عليه): فزت ورب الكعبة! هذا ما وعد الله ورسوله! وصدق الله ورسوله! استولت الدهشة والذهول على الناس، وخاصة على المصلين فى المسجد، وفى تلك اللحظة هتف جبرائيل بذلك الهتاف السماوى.

لم نسمع فى تاريخ الأنبياء أن جبرائيل هتف يوم وفاة نبى من الأنبياء أو وصى من الأوصياء، ولكنه هتف ذلك الهتاف لما وصل السيف إلى هامة الإمام وهو بعد حى، هتف بشهادته كما هتف يوم أحد بفتوته وشهامته يوم قال: لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار.

فاصطفت أبواب الجامع وضجت الملائكة فى السماء بالدعاء وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة ونادى جبرائيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى وانفصمت والله العروة الوثقى قتل ابن عم محمد المصطفى (صلّى الله عليه وآله) قتل الوصى المجتبى قتل على المرتضى، قتل والله سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء.

فلما سمعت أم كلثوم نعى جبرائيل لطمت على وجهها، وخدها وشقت جيبها وصاحت: واأبتاه واعلياه وامحمداه واسيداه.

وخرج الحسن والحسين فإذا الناس ينوحون وينادون: واإماماه واأمير المؤمنيناه، قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم قط وكان أشبه الناس برسول‌الله.

فلما سمع الحسن والحسين (عليهماالسلام) صرخات الناس ناديا: واأبتاه واعلياه ليت الموت أعدمنا الحياة، فلما وصلا إلى الجامع ودخلا وجدا أباجعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الإمام فى المحراب ليصلى بالناس.

فلم يطق على النهوض، وتأخر عن الصف وتقدم الحسن (عليه‌السلام) فصلى بالناس، وأميرالمؤمنين (عليه‌السلام) صلى إيماء من جلوس وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمته يميل تارة ويسكن أخرى والحسن (عليه‌السلام) ينادى: واانقطاع ظهراه! يعز والله على أن أراك هكذا ففتح الإمام (عليه‌السلام) عينه.

وقال: يا بنى لا جزع على أبيك بعد اليوم! هذا جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأمك فاطمة الزهراء والحور العين محدقون فينتظرون قدوم أبيك، فطب نفساً وقر عيناً وكف عن البكاء، فإن الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السماء.

ثم إن الخبر شاع فى جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدرهن إلى الجامع ينظرون إلى الإمام على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) فدخل الناس الجامع فوجدوا الحسن (عليه‌السلام) ورأس أبيه فى حجره وقد غسل الدم عنه، وشد الضربة وهى بعدها تشخب دماً ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة وهو يرمق السماء بطرفه، ولسانه يسبح الله ويوحده، وهو يقول أسألك يا رب الرفيع الأعلى.

فأخذ الحسن (عليه‌السلام) رأسه فى حجره فوجده مغشياً عليه فعندها بكى بكاء شديداً وجعل يقبل وجه أبيه وما بين عينيه وموضع سجوده فسقط من دموعه قطرات على وجه أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) ففتح عينيه فرآه باكياً.

فقال له الإمام (عليه‌السلام): يا بنى يا حسن ما هذا البكاء؟ يا بنى لا روع على أبيك بعد اليوم! يا بنى أتجزع على أبيك وغداً تقتل بعدى مسموماً مظلوماً؟ ويقتل أخوك بالسيف هكذا؟ وتلحقان بجدكما وأبيكما وأمكما؟ فقال له الحسن (عليه‌السلام): يا أبتاه ما تعرفنا من قتلك؟ ومن فعل بك هذا؟ قال (عليه‌السلام): قتلنى ابن‌اليهودية: عبدالرحمن بن ملجم المرادى فقال: يا أباه من أى طريق مضى؟ قا لا يمضى أحد فى طلبه فإنه سيطلع عليكم من هذا الباب.

وأشار بيده الشريفة إلى باب كنده.

ولم يزل السم يسرى فى رأسه وبدنه ثم أغمى عليه ساعة والناس ينتظرون قدوم الملعون من باب كنده، فاشتغل الناس بالنظر إلى الباب ويرتقبون قدوم الملعون وقد غص المسجد بالعالم ما بين باكٍ ومحزون فما كان إلا ساعة وإذا بالصيحة قد ارتفعت، من الناس وقد جاءوا بعدو الله ابن‌ملجم مكتوفاً هذا يلعنه وهذا يضربه.

فوقع الناس بعضهم على بعض ينظرون إليه فأقبلوا باللعين مكتوفاً وهم ينهشون لحمه بأسنانهم، ويقولون له: يا عدو الله ما فعلت؟ أهلكت أمة محمد (صلّى الله عليه وآله) وقتلت خير الناس.

وإنه لصامت وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي بيده سيف مشهور وهو يرد الناس عن قتله وهو يقول هذا قاتل الإمام على (عليه‌السلام) حتى أدخلوه إلى المسجد.

وكانت عيناه قد طارتا فى أم رأسه كأنهما قطعتا علق وقد وقعت فى وجهه ضربة قد هشمت وجهه وأنفه والدم يسيل على لحيته وعلى صدره، وهو ينظر يميناً وشمالاً وعيناه قد طارتا فى أم رأسه وهو أسمر اللون وكان على رأسه شعر أسود منشوراً على وجهه كأنه الشيطان الرجيم.

فلما جاءوا به أوقفوه بين يدى أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فلما نظر إليه الحسن (عليه‌السلام): قال له: يا ويلك يا لعين! يا عدو الله! أنت قاتل أميرالمؤمنين ومثكلنا بإمام المسلمين؟ هذا جزاؤه منك حيث آواك وقربك وأدناك وآثرك على غيرك؟ وهل كان بئس الإمام لك حتى جازيته هذا الجزاء يا شقى؟؟ فلم يتكلم بل دمعت عيناه.

فقال له الملعون: يا أبامحمد أفأنت تنقذ من فى النار؟ فعند ذاك ضج الناس بالبكاء والنحيب.

فأمر الحسن (عليه‌السلام) بالسكوت ثم التفت الحسن (عليه‌السلام) إلى الذى جاء به حذيفة فقال له: كيف ظفرت بعدو الله وأين لقيته؟ فقال: يا مولاى كنت نائماً فى دارى إذ سمعت زوجتى الزعقة، وناعياً ينعى أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وهو يقول: تهدمت والله أركان الهدى وانطمست والله أعلام التقى قتل ابن عم محمد المصطفى قتل على المرتضى قتله أشقى الأشقياء.

فأيقظتنى وقالت لى: أنت نائم؟ وقد قتل إمامك على بن أبى‌طالب.

فانتبهت من كلامها فزعاً مرعوباً وقلت لها: يا ويلك ما هذا الكلام؟ رض الله فاك! لعل الشيطان قد ألقى فى سمعك هذا أن أميرالمؤمنين ليس لأحد من خلق الله تعالى قبله تبعه ولا ظلامة، فمن ذا الذى يقدر على قتل أميرالمؤمنين؟ وهو الأسد الضرغام والبطل الهمام والفارس القمقام فأكثرت على وقالت: إنى سمعت ما لم تسمع وعلمت ما لم تعلم، فقلت لها: وما سمعت فأخبرتى بالصوت.

ثم قالت: ما أظن أن بيتاً فى الكوفة إلا وقد دخله هذا الصوت.

قال: وبينما أنا وهى فى مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة وجلبة وقائل يقول: قتل أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فحس قلبى بالشر فمددت يدى إلى سيفى وسللته من غمده، وأخذته ونزلت مسرعاً، وفتحت باب دارى وخرجت، فلما صرت فى وسط الجادة نظرت يميناً وشمالاً فإذا بعدو الله يجول فيها، يطلب مهرباً فلم يجد، وإذا قد انسدت الطرقات فى وجهه، فلما نظرت إليه وهو كذلك رابنى أمره فناديته: من أنت وما تريد؟ لا أم لك! فى وسط هذا الدرب؟ فتسمى بغير اسمه، وانتمى إلى غير كنيته فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من منزلى قلت: وإلى أين تريد لأن تمضى فى هذا الوقت؟ قال إلى الحيرة، فقلت: ولم لا تقعد حتى تصلى مع أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) صلاة الغدة وتمضى فى حاجتك؟ فقال: أخشى أن أقعد للصلاة فتفوتنى حاجتى.

فقلت: يا ويلك إنى سمعت صيحة وقائلاً يقول قتل أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) فهل عندك من ذلك خبر؟ قال: لا علم لى بذلك.

فقلت له: ولم لا تمضى معى حتى تحقق الخبر وتمضى فى حاجتك؟ فقال: أنا ماض فى حاجتى وهى أهم من ذلك.

فلما قال لى مثل ذلك القول قلت: يا لكع الرجال حاجتك أحب إليك من الجسس لأمير المؤمنين وإمام المسلمين؟ وإذا والله يا لكع ما لك عند الله من خلاق.

وحملت عليه بسيفى وهممت أن أعلو به، فراغ عنى فبينما أنا أخاطبه وهو يخاطبنى إذ هبت ريح فكشفت إزاره وإذا بسيفه يلمع تحت الإزار وكأنه مرآة مصقولة.

فلما رأيت بريقه تحت ثيابه قلت: يا ويلك ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك؟ لعلك أنت قاتل أميرالمؤمنين فأراد أن يقول: لا. فأنطق الله لسانه بالحق فقال: نعم، فرفعت سيفى وضربته فرفع هو سيفه وهم أن يعلونى به فانحرفت عنه فضربته على ساقيه فأوقعته ووقع

لجینه ووقعت علیه وصرخت صرخة شدیدة وأردت أخذ سیفه فمانعنی عنه، فخرج أهل الحیرة فأعانونی علیه حتی أوثقته وجئتک به، فهو بین یدیک جعلنی الله فداک فاصنع به ما شئت.

فقال الحسن (علیه‌السلام): الحمد لله الذی نصر ولیه وخذل عدوه ثم انکب الحسن (علیه‌السلام) علی أبیه یقبله وقال: یا أباه هذا عدو الله وعدوک قد أمکن الله منه.

ففتح عینیه (علیه‌السلام) وهو یقول: أرفقوا بی یا ملائکة ربی.

فقال له الحسن (علیه‌السلام): هذا عدو الله وعدوک ابن‌ملجم قد أمکن الله منه وقد حضر بین یدیک.

ففتح أمیرالمؤمنین (علیه‌السلام) عینیه ونظر إلیه وهو مکتوف وسیفه معلق فی عنقه.

فقال له بضعف وانکسار صوت ورأفة ورحمة: یا هذا لقد جئت عظیماً، وارتکبت أمراً عظیماً، وخطباً جسیماً، أبئس الإمام کنت لک حتی جازیتنی بهذا الجزاء؟ ألم أکن شفیقاً علیک وآثرتک علی غیرک وأحسنت إلیک وزدت فی عطائک؟ ألم أکن یقال لی فیک کذا وکذا، فخلیت لک السبیل ومنحتک عطائی؟ وقد کنت أعلم أنک قاتلی لا محالة ولکن رجوت بذلک الاستظهار من الله تعالی علیک یا لکع فغلبت علیک الشقاوة فقتلتنی یا شقی الأشقیاء؟ فدمعت عینا ابن‌ملجم وقال یا أمیرالمؤمنین: أفأنت تنقذ من فی النار.

قال له: صدقت ثم التفت (علیه‌السلام) إلی ولده الحسن (علیه‌السلام) وقال له: إرفق یا ولدی بأسیرک.

وارحمه وأحسن إلیه واشفق علیه، ألا تری إلی عینیه قد طارتا فی أم رأسه وقلبه یرجف خوفاً وفزعاً؟؟ فقال له الحسن (علیه‌السلام) یا أباه قد قتلک هذا اللعین الفاجر وأفجعنا فیک وأنت تأمرنا بالرفق به؟ فقال: نعم یا بنی نحن أهل بیت لا نزداد علی الذنب إلینا إلا کرماً وعفواً! والرحمة والشفقة من شیمتنا! بحقی علیک فاطعمه یا بنی مما تأکله! واسقه مما تشرب! ولا تقید له قدماً ولا تغل له یداً! فإن أنتا مت فاقتص منه بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة ولا تحرقه بالنار ولا تمثل بالرجل فإنی سمعت جدک رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یقول: إیاکم والمثلة ولو بالکلب العقور، وإن أنا عشت فأنا أولی به بالعفو عنه وأنا أعلم بما أفعل به.

ولقد أحسن وأجاد المرحوم السید جعفر الحلی (ره):

لبس الإسلام أبراد السواد

یوم أردی المرتضی سیف المرادی

لیلة ما أصبحت إلا وقد

غلب الغی علی أمر الرشاد

والصلاح انخفضت أعلامه

وغدت ترفع أعلام الفساد

ما رعی الغادر شهر الله فی

حجة الله علی کل العباد

وببیت الله قد جدّ له

ساجداً ینشج من خوف المعاد

یا لیال أنزل الله بها

سور الذکر علی أکرم هادی

مُحیت فیک علی رغم العلی

آیة فی فضلها الذکر ینادی

قتلوه وهو فی محرابه

طاوی الأحشاء عن ماء وزاد

سل بعینیه الدجی هل جفتا

عن بکا أو ذاقتا طعم الرقاد؟

وسل الأنجم هل أبصرنه

لیلهٔ مضطجعاً فوق الوساد؟

وسل الصبح هل صادفه

ملّ من نوح مذیب للجماد؟

عاقر الناقهٔ مع شقوته

لیس بالأشقی من الرجس المرادی

فلقد عمم بالسیف فتی

عمّ خلق الله طراً بالأیادی

فبکته الأنس والجن معاً

وطیور الجومع وحش البوادی

وبکاه الملأ الأعلی دماً

وغدی جبریل بالویل ینادی

هدمت والله أرکان الهدی

حیث لا من منذر فینا وهادی

علی طریح الفراش

بسم الله الرحمن الرحیم

أیها الأخوان: فی مثل صبیحهٔ هذا الیوم وقعت الحادثهٔ الکبری التی ذکرنا عنها الیسیر لیلهٔ أمس، لا یملک القلم واللسان بیاناً لشرح الواقعهٔ والدهشهٔ التی استولت علی الناس إثر استماع الصیحهٔ السماویهٔ وانتشار الخبر فی الکوفهٔ بأسرع ما یکون، وأقبلت الجماهیر تتراکض إلی المسجد (محل الحادثهٔ) حتی المخدرات خرجن من خدورهن، وغص المسجد الجامع بالناس، فلا تری إلا صفق الأیدی علی الرؤوس ولا- تسمع إلا- أصوات النیاحهٔ وصرخات الناس، وقد أزدحم الناس حول الإمام ینظرون إلی ذلک البطل الذی کان یخوض غمار الموت، وکانت الأسود تخاف من باسه واسمه، ینظرون إلیه وقد أبیض وجهه من نزف الدم، وصلی الإمام صلاهٔ الصبح من جلوس، ثم قال احملونی إلی منزلی.

فحملوه والناس حوله یبکون وینتحبون، وکان الحسن والحسین أشد الناس بکاء وحزناً، فکان الحسین (علیه‌السلام) یبکی ویقول: یا أبتاه من لنا بعدک؟ لا یوم کیومک إلا یوم رسول‌الله، من أجلک تعلمت البکاء، یعز والله علی أن أراک هکذا.

فعزاه الإمام وسلاه، ومسح دموع ولده ووضع یده علی قلب ولده وقال: یا بنی ربط الله علی قلبک وأجزل لک ولأخوتک عظیم الأجر.

أقبلت بنات رسول‌الله وسائر بنات الإمام وجلسن حول فراشه ینظرن إلی أسد الله وهو بتلک الحالهٔ، فصاحت زینب الکبری وأختها: أبتاه من للصغیر حتی یکبر؟ ومن للکبیر بین الملأ؟ یا أبتاه حزننا علیک طویل، وعبرتنا لا ترقا! فضج الناس من وراء الحجرهٔ بالبکاء والنحیب، وشارکهم الإمام وفاضت عیناه بالدموع.

اجتمع الأطباء والجراحون فوصفوا للإمام اللبن، لأن سیف ابن‌ملجم کان مسموماً، فکان اللبن طعامه وشرابه، ودعی الإمام بولدیه

وجعل يقبلهما ويحصنهما لأنه علم أنه سيفارقهما وكان يغمى عليه ساعة بعد ساعة، فناوله الحسن قدحاً من اللبن فشرب منه قليلاً، ثم نحاه عن فمه وقال: احملوه إلى أسيركم! ثم قال للحسن: يا بنى بحقى عليك إلا ما طيبتم مطعمه ومشربه وارفقوا به إلى حين موتى! وتطعمه مما تأكل، وتسقيه مما تشرب حتى تكون أكرم منه!! وكان اللعين ابن‌ملجم محبوساً فى بيت، فحملوا إليه اللبن وأخبروه بعطف الإمام وحنانه على قاتله، فشرب اللعين اللبن.

قال محمد بن الحنيفة: بتنا ليلة عشرين من شهر رمضان مع أبى وقد نزل السم إلى قدميه، وكان يصلى تلك الليلة من جلوس ولم يزل يوصينا بوصاياه ويعزينا عن نفسه، ويخبرنا بأمره إلى طلوع الفجر، فلما أصبح استأذن الناس عليه، فأذن لهم بالدخول، فدخلوا عليه واقبلوا يسلمون عليه وهو يرد (عليهم‌السلام) ثم يقول: أيها الناس اسألونى قبل أن تفقدونى، وخففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم!! فبكى الناس بكاء شديداً، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه فقام إليه حجر بن عدى الطائى وقال:

فيا أسفى على المولى النقى

أبى الأطهار حيدرة الزكى

قتله كافر حنث زنيم

لعين فاسق نغل شقى

إلى آخر أبياته، فلما بصر الإمام وسمع شعره قال له: كيف بك إذا دعيت إلى البراءة منى؟ فما عساك أن تقول؟ فقال: والله يا أميرالمؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً، وأضرم لى النار وألقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك!! فقال (عليه‌السلام): وفقت لكل خير يا حجر، جزاك الله عن أهل بيت نبيك.

ثم قال هل من شربة لبن؟ فأتوه بلبن فشربه كله، فذكر (عليه‌السلام) ابن‌ملجم وأنه لم يترك له من اللبن شيئاً فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، أعلمونى أنى شربت الجميع، ولم أبق لأسيركم شيئاً من هذا! ألا: وإنه آخر رزقى من الدنيا! فبالله عليك يا بنى إلا ما سقيته مثل ما شربت، فحمل إليه اللبن فشرب.

كان الناس متجمهرين على باب الإمام ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام فى حق ابن‌ملجم، فخرج إليهم الإمام الحسن وأمرهم عن قول أبيه بالانصراف، فانصرف الناس، وكان الأصبغ بن نباته جالساً فلم ينصرف، فخرج الإمام الحسن مرة ثانية وقال: يا أصبغ أما سمعت قولى عن أميرالمؤمنين؟ قال: بلى، ولكنى رأيت حاله، فأحببت أن أنظر إليه فاسمع من حديثاً، فاستأذن لى رحمك الله.

فدخل الحسن ولم يلبث أن خرج فقال له: أدخل.

قال الأصبغ فدخلت فإذا أميرالمؤمنين معصب بعصابة، وقد علت صفرة وجهه على تلك العصابة، وإذا هو يرفع فخذاً ويضع أخرى من شدة الضربة وكثرة السم.

فقال لى: يا أصبغ أما سمعت قول الحسن عن قولى؟ قلت: بلى يا أميرالمؤمنين، ولكنى رأيتك فى حالة فأحببت النظر إليك، وأن أسمع منك حديثاً.

فقال لى: أقعد، فما أراك تسمع منى حديثاً بعد يومك هذا!! إعلم يا أصبغ: أنى أتيت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) عائداً كما جئت الساعة فقال: يا أباالحسن أخرج فناد فى الناس: الصلاة جامعة، واصعد المنبر وقم دون مقامى بمرقاة، وقل للناس: ألا: من عق والديه فلعنة الله عليه، ألا:

من أبق مواليه فلعنة الله عليه، ألا: من ظلم أجيراً أجرته فلعنة الله عليه! يا أصبغ: ففعلت ما أمرنى به حبيبى رسول‌الله، فقام من أقصى المسجد رجل فقال: يا أباالحسن تكلمت بثلاث كلمات أوجزتهن (اختصرتهن) فلم أرد جواباً حتى أتيت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) فقلت ما كان من الرجل.

قال الأصبغ: ثم أخذ بيدى وقال: يا أصبغ أبسط يدك، فبسطت يدى، فتناول أصبع من أصابع يدى وقال: يا أصبغ كذا تناول رسول‌الله

الحسن ألا: وإنی وأنت أبوا هـذه الأمـة، فمن عقنا فلعنـة الله علیه، ألا وإنی وأنت مولیا هـذه الأمـة فعلی من أبق عنا لعنـة الله، ألا: وإنی وأنت أجیرا هذه الأمة، فمن ظلمنا أجرنا فلعنة الله علیه، ثم قال: آمین.

فقلت آمین.

قال الأصـبغ: ثم أغمی علیه ثم أفاق فقال لی: أقاعـد أنت یا أصـبغ؟ قلت: نعم یا مولای قال: أزیـدک حدیثاً آخر؟ قلت نعم زادک الله من مزیدات الخیر، قال: یا أصـبغ: لقینی رسول‌الله (صـلّی الله علیه وآله) فی بعض طرقات المدینة وأنا مغموم، قد تبین الغم فی وجهی، فقال لی: یا أباالحسن أراک مغموماً؟ ألا أحدثک بحدیث لا تغتم بعده أبداً؟؟ قلت: نعم.

قال: إذا کان یوم القیامة نصب الله منبراً یعلو منبر النبیین والشـهداء ثم یأمرنی الله أن أصـعد فوقه ثم یأمرک الله أن تصـعد دونی بمرقاة ثم یـأمر الله ملکین فیجلسان دونک بمرقاة، فإذا اسـتقللنا علی المنبر لا یبق أحـد من الأولین والآخرین إلا حضـر، فینادی الملک الـذی دونـک بمرقـاة: معاشـر النـاس ألاـ من عرفنی فقـد عرفنی، ومن لم یعرفنی فأنا أعرفه بنفسـی: أنا أدفع مفاتیـح الجنـة إلی محمـد، وإن محمداً أمرنی أن أدفعها إلی علی بن أبی‌طالب، فاشهدوا لی علیه.

ثم یقوم ذلـک الـذی تحت ذلـک الملک بمرقاة منادیاً یسـمع أهل الموقف: معاشـر الناس من عرفنی فقـد عرفنی، ومن لم یعرفنی فأنا أعرفه بنفسـی: أنا مالک (خازن) النیران، ألا: إن الله بمنه وکرمه وفضـله وجلاله قـد أمرنی أن أدفع مفاتیح النار إلی محمد وإن محمداً قد أمرنی أن أدفعها إلی علی بن أبی‌طالب فاشهدوا لی علیه.

فآخذ مفاتیح الجنان والنیران، یا علی فتأخذ بحجزتی، [۱۵۷] وأهل بیتک یأخذون بحجزتک، وشیعتک یأخذون بحجزة أهل بیتک.

قال الإمام: فصفقت بکلتا یدی وقلت: وإلی الجنة یا رسول‌الله؟ قال: إی ورب الکعبة..

علی یفارق الحیاة

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم

عظم الله أجورکم بمصـیبة سیدنا وإمامنا أمیرالمؤمنین علی بن أبی‌طالب ففی هذه اللیلة قضی نحبه وفارق الحیاة، وقد انطوت صفحات تلک الحیاة المشرقة، واستراح الإمام من أیدی الناس وأفواههم وانتهت أیام مسؤولیته.

فقـد جمعـوا لـه أطبـاء الکوفـة ومـن جملتهم: أثیر بن عمرو بن هـانی السـکونی فلمـا نظر إلی جرح رأس الإمـام طلب رئـة شـاة حـارة فاسـتخرج منهـا عرقـاً ثم نفخه ثم اسـتخرجه، وإذا علیه بیـاض الـدماغ کأنه قطن منـدوف فقال: یا أمیرالمؤمنین اعهـد عهـدک وأوص وصیتک فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلی أم رأسک.

قال محمد بن الحنیفة: لما کانت لیلة إحدی وعشـرین جمع أبی أولاده وأهل بیته وودعهم ثم قال لهم: الله خلیفتی علیکم، وهو حسبی ونعم الوکیل، وأوصاهم بلزوم الإیمان..

وتزاید ولوج السم فی جسده حتی نظرنا إلی قدمیه وقد احمرتا جمیعاً، فکبر ذلک علینا وأیسنا منه.

ثم عرضـنا علیه المأکول والمشـروب فأبی أن یشـرب، فنظرنا إلی شفتیه یختلجان بذکر الله، ثم نادی أولاده کلهم بأسمائهم واحداً بعد واحد وجعل یودعهم وهم یبکون فقال الحسن: ما دعاک إلی هذا؟ فقال: یا بنی إنی رأیت جدک رسول‌الله (صـلّی الله علیه وآله) فی منامی قبل هـذه الکائنـة بلیلة فشـکوت إلیه ما أنا فیه من التذلل والأذی من هذه الأمة فقال لی: أدع علیهم فقلت: اللهم أبدلهم بی شـراً منی وأبدلنی بهم خیراً منهم.

فقال لی رسول‌الله: قد استجاب الله دعاک، سینقلک إلینا بعد ثلاث.

وقد مضت الثلاث، يا أبامحمد أوصيك ويا أباعبدالله خيراً، فأنتما منى وأنا منكما، ثم ألتفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة (عليهاالسلام) وأوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعنى الحسن والحسين، ثم قال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإنى منصرف عنكم وراحل فى ليلتى هذه ولاحق بحبيبى محمد (صلّى الله عليه وآله) كما وعدنى، فإذا أنا مت يا أبامحمد فغسلنى وكفنى وحنطنى ببقية حنوط جدك رسول‌الله، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل إليه، ثم ضعنى على سريرى، ولا يتقدم أحد منكم مقدم السرير، واحملوا مؤخره، واتبعوا مقدمه، فأى موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر، فحيث قام سريرى فهو موضع قبرى، ثم تقدم يا أبامحمد وصل على يا بنى يا حسن وكبر على سبعاً، واعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيرى إلا على رجل يخرج فى آخر الزمان اسمه: القائم المهدى من ولد أخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق.

فإذا أنت صليت على يا حسن فنح السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه، فترى قبراً محفوراً، ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة، فأضجعنى فيها، فإذا أردت الخروج من قبرى فتفقدنى فإنك لا تجدنى وإنى لاحق بجدك رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) وأعلم يا بنى: ما من نبى يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيه بالمغرب إلا ويجمع الله عزوجل بين روحيهما وجسديهما، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره وإلى موضعه الذى حط فيه.

ثم أشرج اللحد باللبن (جمع لبنة) وأهِل التراب علىَّ ثم غيِّب قبرى.

وللإمام أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وصية أخرى هى من جلائل وصاياه أوصى بها أولاده فى مثل هذه الليلة، روى الصدوق فى الفقيه عن سليم بن قيس الهلالى قال: شهدت وصية على بن أبى‌طالب (عليه‌السلام) حين أوصى إلى أبنه الحسن (عليه‌السلام) وأشهد على وصيته الحسين (عليه‌السلام) ومحمد وجميع ولده ورؤساء أهل بيته وشيعته ثم دفع إليه الكتاب والسلاح ثم قال: يا بنى أمرنى رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أن أوصى إليك وأن أدفع إليك كتبى وسلاحى، كما أوصى إلى رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ودفع إلى كتبه وسلاحه وأمرنى أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعه إلى أخيك الحسين (عليه‌السلام) ثم أقبل على أبنه الحسين فقال: وأمرك رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أن تدفعه إلى ابنك على بن الحسين ثم أقبل إلى إبنه على بن الحسين (عليه‌السلام) فقال له: وأمرك رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) أن تدفع وصيتك إلى ابنك محمد بن على فأقرأه من رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) ومنى السلام، ثم أقبل على أبنه الحسن فقال: يا بنى أنت ولى الأمر بعدى وولى الدم فإن عفوت فلك، وإن قتلت فضربة مكان ضربة ولا تأثم، ثم قال أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شىء منها زوى عنكما، وقولا بالحق واعملا للأجر (للآخرة) وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

أوصيكما وجميع ولدى وأهل بيتى (وأهلى) ومن بلغهم كتابى هذا من المؤمنين بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم (بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم) فإنى سمعت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإن البغضة حالقة الدين وفساد ذات البين (وإن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين) ولا قوة إلا بالله، انظروا ذوى أرحامكم فصلوهم يُهوّن الله عليكم الحساب، والله الله فى الأيتام لا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فإنى سمعت رسول‌الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: من عال يتيماً حتى يستغنى أوجب الله له الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار، والله الله فى القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به غيركم، والله الله فى جيرانكم فإن الله ورسوله أوصيا بهم (فإنه وصية نبيكم) ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله فى بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا، الله الله فى الصلاة! فإنها خير العمل وإنها عمود دينكم، الله الله فى الزكاة فإنها تطفئ غضب

ربکم، الله الله فی صیام شهر رمضان فإن صیامه جنة من النار، الله الله فی الجهاد فی سبیل الله بأموالکم وأنفسکم وألسنتکم فإنما یجاهد فی سبیل الله رجلان: إمام هدی ومطیع له مقتد بهداه والله الله فی ذریة نبیکم فلا یظلمن بین أظهرکم، والله الله فی أصحاب نبیکم الذین لم یحدثوا حدثاً ولم یؤوا محدثاً فإن رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) أوصی بهم، ولعن المحدث منهم ومن غیرهم، والمؤوی للمحدث، والله الله فی الفقراء والمساکین فأشرکوهم فی معایشکم، والله الله فی النساء وما ملکت أیمانکم فإن آخر ما تکلم به رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) أن قال: أوصیکم بالضعیفین: نسائکم وما ملکت أیمانکم، ثم قال: الصلاة، الصلاة، الصلاة، ولا تخافن فی الله لومة لائم، یکفکم من أرادکم وبغی علیکم، قولوا للناس حسناً کما أمرکم الله عزوجل، ولا تترکوا الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر فیولی علیکم أشرارکم، ثم تدعون فلا یستجاب لکم.

وعلیکم بالتواصل والتباذل والتبار وإیاکم والتقاطع والتدابر والتفرق، وتعاونوا علی البر والتقوی ولا تعاونوا علی الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شدید العقاب، حفظکم الله من أهل بیت وحفظ فیکم نبیکم، وأستودعکم الله خیر مستودع، وأقرأ علیکم‌السلام ورحمة الله وبرکاته.

یا بنی عبدالمطلب: لا ألفینکم تخوضون دماء المسلمین خوضاً، تقولون: قتل أمیرالمؤمنین.ألا: لا تقتلن بی إلا قاتلی انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا یمثل بالرجل فإنی سمعت رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یقول: إیاکم والمثلة ولو بالکلب العقور.

هکذا ینهی الإمام (علیه‌السلام) أولاده عن إقامة المجازر والمذابح لأجل الطلب بدمه کما کان الأمر فی قضایا عثمان، یقول: لا تقتلوا إلا قاتلی.

ینهاهم عن التحقیق عن أصل الفتنة ورجال المؤامرة وأسباب الفساد ویأمرهم بالاکتفاء بالقصاص من القاتل، ثم ینهی عن قطع أعضائه.

ثم عرق جبین الإمام فجعل یمسح العرق بیده فقالت أبنته زینب: یا أبه أراک تمسح جبینک؟ قال: یا بنیة سمعت جدک رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) یقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبینه وصار کاللؤلؤ الرطب، وسکن أنینه.

فقامت زینب وألقت بنفسها علی صدر أبیها وقالت: یا أبه حدثتنی أم أیمن بحدیث کربلاء وقد أحببت أن أسمعه منک، فقال: یا بنیة، الحدیث کما حدثتک، أم أیمن، وکأنی بک وبنساء أهلک لسبایا بهذا البلد، خاشعین تخافون أن یتخطفکم الناس، فصبراً صبراً..

ثم التفت الإمام إلی ولدیه الحسن والحسین وقال: یا أبامحمد ویا أباعبدالله کأنی بکما وقدج خرجت علیکما من بعدی الفتن من ههنا وههنا فاصبرا حتی یحکم الله وهو خیر الحاکمین یا أباعبدالله أنت شهید هذه الأمة، فعلیک بتقوی الله والصبر علی بلائه.

ثم أغمی علیه وأفاق وقال: هذا رسول‌الله، وعمی حمزة وأخی جعفر وأصحاب رسول‌الله، وکلهم یقولون: عجل قدومک علینا فإنا إلیک مشتاقون، ثم أدار عینیه فی أهل بیته کلهم وقال: أستودعکم الله جمیعاً، سددکم الله جمیعاً، خلیفتی علیکم الله، وکفی بالله خلیفة، ثم قال: وعلیکم‌السلام یا رسل ربی، ثم قال: لمثل هذا فلیعمل العاملون، (إن الله مع الذین اتقوا والذین هم محسنون). [۱۵۸].

وما زال یذکر الله، ویستشهد الشهادتین، ثم استقبل القبلة، وغمض عینیه ومدد رجلیه ویدیه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم قضی نحبه!! فعند ذلک صرخت زینب بنت علی وأم‌کلثوم وجمیع نسائه وقد شققن الجیوب ولطمن الخدود، وارتفعت الصیحة فی القصر، فعلم أهل الکوفة أن أمیرالمؤمنین قد فارق الحیاة، فأقبل النساء والرجال یهرعون أفواجاً، وصاحوا صیحة عظیمة فارتجت الکوفة بأهلها، وکثر البکاء والنحیب والضجیج بالکوفة وقبائلها وجمیع أقصارها، فکان ذلک الیوم کالیوم الذی مات فیه رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) وتغیر أفق السماء، وسمع الناس أصواتاً وتسبیحاً فی الهواء، واشتغلوا بالنیاحة علی الإمام.

ثم قام أولاده لتجهیزه لیلاً، ولما جردوه عن ثیابه، وجدوا علی جسده الشریف آثار ألف جراحة من قرنه إلی قدمیه وهی الجراحات

التی أصابته فی سبیل الله فی الحروب، وکان الحسن یغسله والحسین یصب علیه الماء، وکان (علیه‌السلام) لا یحتاج إلی من یقلبه، بل کان یتقلّب کما یرید الغاسل یمیناً وشمالاً، لأن الملائکة کانت تقلّبه وکانت رائحته أطیب من رائحة المسک.

ثم نادی الحسن بأخته زینب وأم کلثوم وقال: یا أختاه هلمی بحنوط جدی رسول‌الله، فبادرت زینب مسرعة حتی أتته به، فلما فتحته فاحت الدار وجمیع الکوفة، ولما حنطوه لفوه بخمسة أثواب ثم وضعوه علی السریر وتقدم الحسن والحسین إلی السریر من مؤخره وإذا مقدمه قد ارتفع، ولا یری حامله، وکان حاملاه جبرائیل ومیکائیل، فما مر بشیء علی وجه الأرض إلا انحنی له.

وضجت الکوفة بالبکاء والنحیب، وخرجت النساء خلف الجنازة لاطمات فمنعهن الحسن وردهن إلی أماکنهم، والحسین یقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم، أنا لله وأنا إلیه راجعون، یا أبتاه واإنقطاع ظهراه، من أجلک تعلمت البکاء، إلی الله المشتکی.

أمر الإمام الحسن الناس بالإنصراف، ولم یبق إلا أولاد أمیرالمؤمنین وعدد قلیل من أخص أصحابه المعتمد علیهم، فابتعدوا عن الکوفة فی جوف اللیل قاصدین النجف، وإذا بمقدم السریر قد وضع، فوضع الحسن والحسین مؤخر السریر، وقام الحسن وصلی مع جماعة علی أبیه فکبر سبعاً کما أمر أبوه، ثم زحزح السریر، وکشف التراب وإذا بقبر مقبور ولحد مشقوق وساجة منقورة مکتوب علیها: هذا ادخره نوح النبی للعبد الصالح الطاهر بن المطهر.

ولما أرادوا إنزاله إلی القبر سمعوا هاتفاً یقول: أنزلوه إلی التربة الطاهرة فقد اشتاق الحبیب إلی الحبیب، فدهش الناس من سماع الهاتف، وانتهی الدفن قبل الفجر، وأخفوا قبره کما أوصی به، لأنه (علیه‌السلام) کان یعلم من عداوة الخوارج والأعداء له، فقد روی فی منتخب التواریخ أن الحجاج بن یوسف نبش فی النجف آلاف القبور یفتش عن جثمان علی (علیه‌السلام) ولکنه لم یعثر علیه، ولم یزل القبر مخفیاً عن الناس لا یعرف به إلا أولاد الإمام وأخصاء الشیعة إلی أیام هارون الرشید.

قال عبدالله بن حازم: خرجنا یوماً مع الرشید من الکوفة نتصید فصرنا إلی ناحیة الغری، فرأینا ظبیات، فأرسلنا إلیها الصقور والکلاب، فحاولتها ساعة، ثم لجأت الظباء إلی الأکمة فسقطت علیها، فسقطت الصقور والکلاب، فتعجب الرشید من ذلک ثم أن الظباء هبطت من الأکمة فسقطت الصقور والکلاب فرجعت الظباء إلی الأکمة، فتراجعت عنها الکلاب والصقور ففعلت ذلک ثلاثة، فقال هارون: أرکضوا فمن لقیتموه آتونی به؟ فأتیناه بشیخ من بنی أسد، فقال هارون ما هذه الأکمة؟ قال: إن جعلت لی الأمان أخبرتک! قال: لک عهد الله ومیثاقه أن لا أهیجک ولا أؤذیک.

قال الشیخ حدثنی أبی عن أبیه أنهم کانوا یقولون: هذه الأکمة قبر علی بن أبی‌طالب (علیه‌السلام) جعله الله حرماً لا یأوی إلیه أحد إلا أمن.

فنزل هارون ودعی بماء فتوضأ وصلی عند الأکمة وتمرغ علیها وجعل یبکی، وأمر ببناء القبة علی القبر، ومن ذلک الیوم لم یزل البناء فی تطور وهو الآن صرح بدیع متلألئ، وبناء مشید من قبة ذهبیة ومنارتین ذهبیتین، ومشهد عظیم وضریح فخم فی داخله صندوق لا یثمن، والبقعة مزینة بهدایا الملوک والسلاطین علی مر القرون، وقد بنی المشهد علی أحسن هندسة وأبدع فن معماری وأجمل نقوش یتوصل إلیها الفکر البشری.

والمعلقات الموجودة والذخائر المکنونة والهدایا الثمینة لا یمکن تقدیرها وتثمینها، ویقصد القبر الشریف ملایین من الناس من شرق الأرض وغربها، وکذلک الوفود والسواح من المسلمین.

تابین علی

ولما فرغوا من دفن الإمام (علیه‌السلام) قام صعصعة بن صوحان یؤبن الإمام بهذه الکلمات، فوقف علی القبر ووضع إحدی یدیه علی فؤاده والأخری قد أخذ بها التراب وضرب به رأسه ثم قال: بأبی لأنت وأمی یا أمیرالمؤمنین هنیئاً لک یا أباالحسن، فلقد طاب مولدک، وقوی صبرک، وعظم جهادک وظفرت برأیک، وربحت تجارتک، وقدمت علی خالقک فتلقاک ببشارته، وحفتک

ملائکته، واستقررت فی جوار المصطفی فأکرمک الله بجواره، ولحقت بدرجة أخیک المصطفی وشربت بکأسه الأوفی، فأسأل الله أن یمن علینا باقتفائنا أثرک، والعمل بسیرتک، والموالاة لأولیائک، والمعاداة لأعدائک، وأن یحشرنا فی زمرة أولیائک، فقد نلت ما لم ینله أحد، وأدرکت ما لم یدرکه أحد، وجاهدت فی سبیل ربک بین یدی أخیک المصطفی حق جهاده، وقمت بدین الله حق القیام حتی أقمت السنن، وأبرت الفتن، واستقام الإسلام وأنتظم الإیمان، فعلیک منی أفضل الصلاة والسلام، بک أعتدل ظهر المؤمنین واتضحت أعلام السبل، وأقیمت السنن، وما جمع لأحد مناقبک وخصالک، سبقت إلی إجابة النبی (صلّی الله علیه وآله) مقدماً مؤثراً، وسارعت إلی نصرته، ووقیته بنفسک ورمیت سیفک ذا الفقار فی مواطن الخوف والحذر، قصم الله بک کل جبار عنید، وذل بک کل ذی بأس شدید، وهدم بک حصون أهل الشرک والکفر والعدوان والردی، وقتل بک أهل الضلال من العدی، فهنیئاً لک یا أمیرالمؤمنین کنت أقرب الناس من رسول‌الله قربی وأولهم سلماً وأکثرهم علماً وفهماً.

فهنیئاً لک یا أباالحسن، لقد شرف الله مقامک، وکنت أقرب الناس إلی رسول‌الله (صلّی الله علیه وآله) نسباً، وأولهم إسلاماً وأوفاهم یقیناً، وأشدهم قلباً، وأبذلهم لنفسه مجاهداً، وأعظمهم فی الخیر نصیباً، فلا حرمنا الله أجرک، ولا ذلنا بعدک، فوالله لقد کانت حیاتک مفاتیح للخیر ومغالق للشر، وإن یومک هذا مفتاح کل شر ومغلاق کل خیر، ولو أن الناس قبلوا منک لأکلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولکنهم آثروا الدنیا علی الآخرة.

ذکر ابن أبی‌الحدید أن صعصعة بن صوحان العبدی رثا أمیرالمؤمنین علیاً بهذه الأبیات:

ألا، من لی بأنسک یا أخیا

ومن لی أن أبثک ما لدیا؟

طوتک خطوب دهر قد تولی

لذاک خطوبه نشراً وطیا

فلو نشرت قواک لی المنایا

شکوت إلیک ما صنعت إلیا

بکیتک یا علی بدرّ عینی

فلم یغن البکاء علیک شیا

کفی حزناً بدفنک ثم إنی

نفضت تراب قبرک من یدیا

وکانت فی حیاتک لی عظاة

وأنت الیوم أوعظ منک حیا

فیا أسفی علیک وطول شوقی

ألا لو أن ذلک رد شیا

ثم بکی بکاءً شدیداً وأبکی کل من کان معه، وعدلوا إلی الحسن والحسین ومحمد وجعفر والعباس ویحیی وعون وعبدالله، فعزوهم فی أبیهم وانصرف الناس ورجع أولاد أمیرالمؤمنین إلی الکوفة ولم یشعر بهم أحد:

قم ناشد الإسلام عن مصابه

أصیب بالنبی أم کتابه

بلی قضی نفس النبی المصطفی

وأدرج اللیلة فی أثوابه

فاصفر وجه الدين لاصفراره

وخضب الإيمان لختضابه

قتلتم الصلاة فی محرابها

يا قاتليه وهو فی محرابه

ثم عمدوا إلی عبدالرحمن بن ملجم فقتلوه، وهجم الناس علی قطام وقطعوها بالسيوف ونهبوا دارها وأحرقوا جثتها وجثة أبن‌ملجم.

فی ناسخ التواريخ لما توفی أميرالمؤمنين (عليه‌السلام) وقتل أبن‌ملجم، خرج أبن‌عباس إلی الناس فقال: إن أميرالمؤمنين توفی، وقد ترک لكم خلفاً، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد علی أحد، فبكی الناس وقالوا: بل يخرج إلينا.

فخرج الإمام الحسن وعليه ثوب أسود، واعتلی المنبر، فحمد الله وأثنی عليه ثم قال: لقد قبض فی هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول‌الله فيقيه بنفسه، وكان رسول‌الله يوجهه برايته، فيكفيه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ولا يرجع حتی يفتح الله علی يديه.

ولقد توفی فی الليلة التی نزل فيها القرآن، وعرج فيها بعيسی بن مريم، والتی قبض فيها يوشع بن نون وصی موسی، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطيته أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ثم خنقته العبرة فبكی وبكی الناس..

ختام واعتذار

أيها الإخوان لقد قضينا معكم هذه الليالی الثمينة بالتحدث عن شخصية الإمام أميرالمؤمنين، وقد كان حديثنا يدور حول ترجمة حياته المتلألئة وذكرنا ما تيسر، وأود أن أحيطكم علماً وأحلف لكك يميناً لا حنث فيه بأنی لم أذكر عشراً من معشار فضائل الإمام ومناقبه، فلقد فاتنا التكلم عن قضاء أميرالمؤمنين ومعجزاته وكثير من خططه الحربية وسياسته الحكيمة وترجمة زوجاته وأولاده وبناته وكلماته القصار وآثاره الطيبة الخالدة، ومن الله نسأل أن يحقق الآمال ونتدارک ما قد فات.

وسلام الله علی أميرالمؤمنين يوم ولد فی الكعبة ويوم مات شهيداً فی سبيل الله ويوم يبعث حياً للشفاعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم.

پاورقی

[۱] سورة الأنبياء، الآية: ۶۹.

[۲] البحار ج ۹.

[۳] نفس المصدر.

[۴] سورة المؤمنون، الآيتان: ۱ و ۲.

[۵] سورة المؤمنون، الآيتان: ۱۰ و ۱۱.

[۶] البحار ج ۹.

[۷] سورة القدر، الآية: ۱.

[۸] نهج‌البلاغة، خطبة رقم ۱۸۷.

[۹] البحار: ج ۹.

[۱۰] سورة الشعراء، الآية: ۲۱۴.

[۱۱] البحار ج ۹.

[۱۲] سورة الواقعة، الآیة: ۱۰.

[۱۳] سورة ص، الآیة: ۸۶.

[۱۴] سورة الأنعام، الآیة: ۱۶۳.

[۱۵] سورة البقرة، الآیة: ۱۳۱.

[۱۶] سورة الأعراف، الآیة: ۱۴۳.

[۱۷] سورة البقرة، الآیة: ۲۸۵.

[۱۸] سورة الأنعام، الآیة: ۱۴.

[۱۹] سورة غافر، الآیة: ۶۶.

[۲۰] وقد ضمن حسان بن ثابت هذا البیت فی مدیح النبی (صلّی الله علیه وآله).

[۲۱] سورة البقرة، الآیة: ۲۰۷.

[۲۲] سورة هود، الآیة: ۱۱۲.

[۲۳] سورة البقرة، الآیة: ۲۰۷.

[۲۴] سورة البقرة، الآیة: ۲۷.

[۲۵] سورة النساء، الآیة: ۱۰۰.

[۲۶] سورة العنکبوت، الآیة: ۲۶.

[۲۷] سورة آل عمران، الآیة: ۱۹۱.

[۲۸] سورة آل عمران، الآیة: ۱۹۵.

[۲۹] سورة النور، الآیة: ۳۲.

[۳۰] سورة التکویر، الآیتان: ۸ و ۹.

[۳۱] سورة النحل، الآیتان: ۵۸ و ۵۹.

[۳۲] سورة الأعراف، الآیة: ۱۵۷.

[۳۳] الخرق: سیئ التصرف والجاهل. والنزق: الخفیف فی کل أمر، العجول فی الجهل والحمق.

[۳۴] اقتطفنا أحادیث هذا البحث من المجلد العاشر من کتاب بحارالأنوار لشیخنا المجلسی (ره).

[۳۵] سورة التوبة، الآیة: ۱۱۱.

[۳۶] البحار ج ۶.

[۳۷] البحار ج ۹.

[۳۸] سورة التوبة، الآیتان: ۲۵ و ۲۶.

[۳۹] سورة البینة الآیة: ۷.

[۴۰] سورة الأحزاب، الآیة: ۳۳.

[۴۱] سورة الأحزاب، الآیات: ۳۴-۳۲.

[۴۲] سورة آل عمران، الآیة: ۵۹.

[۴۳] سورة آل عمران، الآیة: ۶۱.

[۴۴] سورة آل عمران، الآیة: ۵۹.

[۴۵] سورة آل عمران، الآیة: ۶۱.

[۴۶] سورة آل عمران، الآیة: ۶۱.

[۴۷] سورة آل عمران، الآیة: ۶۱.

[۴۸] سورة المائدة، الآیة: ۵۵.

[۴۹] سورة المائدة، الآیة: ۵۶.

[۵۰] سورة المائدة، الآیتان: ۵۵ و ۵۶.

[۵۱] سورة طه، الآیات: ۲۵ و ۳۲.

[۵۲] سورة القصص، الآیة: ۳۵.

[۵۳] سورة الإنسان، الآیة: ۷.

[۵۴] سورة الإنسان، الآیة: ۱.

[۵۵] سورة الإنسان، الآیة: ۲۲.

[۵۶] سورة الإنسان، الآیتان: ۵ و ۶.

[۵۷] سورة الإنسان، الآیة: ۷.

[۵۸] سورة الإنسان، الآیة: ۸.

[۵۹] سورة الإنسان، الآیة: ۹.

[۶۰] سورة الإنسان، الآیة: ۱۱.

[۶۱] سورة الإنسان، الآیة: ۱۲.

[۶۲] سورة الإنسان، الآیة: ۱۳.

[۶۳] سورة الحشر، الآیة: ۹.

[۶۴] سورة التوبة، الآیة: ۱۹.

[۶۵] سورة المجادلة، الآیة: ۱۲.

[۶۶] سورة المجادلة، الآیة: ۱۳.

[۶۷] سورة البقرة، الآیة: ۲۰۷.

[۶۸] سورة الزمر، الآیة: ۹.

[۶۹] سورة طه، الآیة: ۱۱۴.

[۷۰] سورة الکهف، الآیة: ۶۵.

[۷۱] سورة البقرة، الآیة: ۲۴۷.

[۷۲] سورة الأنبیاء، الآیة: ۷۹.

[۷۳] سورة الأنبیاء، الآیة: ۷۴.

[۷۴] سورة النمل، الآیة: ۱۵.

[۷۵] سورة القصص، الآیة: ۱۴.

[۷۶] سورة الأعراف، الآیة: ۱۴۴.

[۷۷] سورة المائدة، الآیة: ۱۱۰.

[۷۸] سورة البقرة، الآیة: ۳۱.

[۷۹] سورة مریم، الآیة: ۴۳.

[۸۰] سورة الأنبیاء، الآیة: ۷۹.

[۸۱] سورة یوسف، الآیة: ۳۷.

[۸۲] سورة النساء، الآیة: ۱۱۳.

[۸۳] سورة البقرة، الآیة: ۲۵۱.

[۸۴] سورة یوسف، الآیة: ۶۸.

[۸۵] سورة النساء، الآیة: ۱۰۵.

[۸۶] سورة الأعلی، الآیة: ۱.

[۸۷] سورة الأعلی، الآیتان: ۱۸ و ۱۹.

[۸۸] سورة الحاقة، الآیة: ۱۲.

[۸۹] سورة الإسراء، الآیة: ۸۴.

[۹۰] سورة الإسراء، الآیة: ۸۴.

[۹۱] سورة الکهف، الآیة: ۲۹.

[۹۲] سورة یونس، الآیة: ۳۵.

[۹۳] سورة المؤمنون، الآیة: ۹۶.

[۹۴] سورة البقرة، الآیة: ۲۶۹.

[۹۵] سورة الزمر، الآیة: ۶۵.

[۹۶] سورة الروم، الآیة: ۶۰.

[۹۷] سورة الإسراء، الآیة: ۷۱.

[۹۸] سورة الحشر، الآیة: ۹.

[۹۹] سورة الحشر، الآیة: ۹.

[۱۰۰] سورة البقرة، الآیة: ۲۶۵.

[۱۰۱] سورة الإنسان، الآیتان: ۸ و ۹.

[۱۰۲] سورة البقرة، الآیة: ۲۷۴.

[۱۰۳] سورة النساء، الآیة: ۵۴.

[۱۰۴] سورة النساء، الآیة: ۵۴.

[۱۰۵] سورة الأعلی، الآیة: ۱.

[۱۰۶] سورة طه، الآیات: ۳۲-۲۵.

[۱۰۷] سورة طه، الآیة: ۳۶.

[۱۰۸] سورة الأعراف، الآیة: ۱۴۲.

[۱۰۹] سورة الحجرات، الآیة: ۱۰.

[۱۱۰] سورة الحجرات، الآیة: ۱۰.

[۱۱۱] الحوباء: روح القلب أو النفس.

[۱۱۲] سورة التوبة، الآیة: ۳.

[۱۱۳] سورة التوبة، الآیات: ۳۱.

[۱۱۴] سورة التوبة، الآیة: ۵.

[۱۱۵] سورة البقرة، الآیة: ۱۲۵.

[۱۱۶] سورة الحج، الآیة: ۲۷.

[۱۱۷] سورة التوبة، الآیة: ۳.

[۱۱۸] سورة الإسراء، الآیة: ۸۱.

[۱۱۹] سورة الحجر، الآیة: ۷۵.

[۱۲۰] سورة یونس، الآیة: ۸۷.

[۱۲۱] سورة المائدة، الآیة: ۶۷.

[۱۲۲] سورة الأحزاب، الآیة: ۳۶.

[۱۲۳] سورة المائدة، الآیة: ۶۷.

[۱۲۴] سورة المائدة، الآیة: ۳.

[۱۲۵] سورة المعارج، الآیات: ۳۱.

[۱۲۶] سورة المائدة، الآیة: ۶۷.

[۱۲۷] سورة التکویر، الآیات: ۱۹ و ۲۲.

[۱۲۸] سورة ق، الآیة: ۳۷.

[۱۲۹] سورة الحاقة، الآیات: ۴۳-۴۰.

[۱۳۰] سورة المائدة، الآیة: ۳.

[۱۳۱] سورة آل عمران، الآیة: ۱۴۴.

[۱۳۲] سورة آل عمران، الآیة: ۱۴۴.

[۱۳۳] سورة البقرة، الآیة: ۱۸۰.

[۱۳۴] سورة الأحزاب، الآیة: ۳۶.

[۱۳۵] سورة البینة، الآیة: ۷.

[۱۳۶] سورة البینة، الآیة: ۶.

[۱۳۷] سورة آل عمران، الآیة: ۱۴۴.

[۱۳۸] سورة التوبة، الآیة: ۱۲.

[۱۳۹] سورة الحجرات، الآیة: ۹.

[۱۴۰] سورة طه، الآیة: ۹۷.

[۱۴۱] سورة النحل، الآیة: ۹۱.

[۱۴۲] سورة النحل، الآیة: ۹۱.

[۱۴۳] سورة النساء، الآیة: ۳۵.

[۱۴۴] سورة آل عمران، الآية: ۶۱.

[۱۴۵] سورة الكهف، الآيتان: ۱۰۳ و ۱۰۴.

[۱۴۶] سورة النحل، الآية: ۱۱۲.

[۱۴۷] سورة القيامة، الآية: ۱۴.

[۱۴۸] سورة القيامة، الآية: ۱۴.

[۱۴۹] وفى نسخة أخرى: كلمها.

[۱۵۰] وفى نسخة أخرى: خضم.

[۱۵۱] سورة القصص، الآية: ۸۳.

[۱۵۲] سورة المجادلة، الآية: ۲۲.

[۱۵۳] سورة البقرة، الآية: ۳۵.

[۱۵۴] سورة القصص، الآية: ۳۳.

[۱۵۵] سورة النمل، الآية: ۱۰.

[۱۵۶] سورة الأحزاب، الآية: ۲۳.

[۱۵۷] الحجزة بضم الحاء: الإزار أو معقد الإزار.

[۱۵۸] سورة النحل، الآية: ۱۲۸.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹